الثقافة النفسية المتخصصة

العدد الخامس والخمسون - المجلد الرابع عشر - تموز / يوليو 2003

سيكولوجية الحروب العربية

جماعة من الباحثين

- سيكولوجية الحرب النفسية الأميركية / ا.د. محمد حمدي الحجار.
- تقنيات الحرب النفسية في العراق / ا.د. محمد احمد النابلسي.
- هموم الاختصاص / ا.د. جمال التركي.
- بكاء أفهمه وبكاء لا أفهمه / ا.د. عبد الستار ابراهيم.
- الشخصية العراقية / الباحث أحمد موسى.

مركز الدراسات النفسية والنفسية - الجسدية

Centre d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S

طرابلس - لبنان- شارع عزمي - بناية قاديشا - ص.ب. 3062 - التل

تلفون: 961.6.441805

فاكس: 961.6.438925

E.mail: ceps 50 @ hot mail.com

الثقافة النفسية المتخصصة

العدد الخامس والخمسون - المجلد الرابع عشر - تموز / يوليو 2003

الثقافة النفسية المتخصصة

FRANCAIS

WWW.psyinterdisc.com

ENGLISH

Psychologie Interdisciplinaire

الطب النفسي | السيكوسوماتيك | العلاج النفسي | تحليل نفسي | أدوية نفسية | الكوارث | علم النفس

Interdisciplinary Psychology

السمنة وعلاجها النفسي

د. محمد احمد النابلسي

العدد الثالث والخمسون / يناير السعر: دولارات

يناقش العدد موضوع السمنة والبدانة بوصفها شكل من أشكال إدمان الأكل. عارضا لمختلف النظريات الطبية المفسرة للسمنة والطارحة لأسبابها. ودون إهمال لإقتراحات علاج السمنة الدوائية وحتى الجراحية فإن الملف يعرض للعلاجات النفسية المقترحة للسمنة. حيث يصنفها المؤلف ومعها إضطرابات الأكل عامة في إطار الإضطرابات السيكوسوماتية. للمزيد

المعلوماتية والعلوم النفسية

د.جمال التركي

العدد الثاني والخمسون/ أوكتوبر السعر دولارات

يناقش العدد موضوع استخدام المعلوماتية في مجال العلوم النفسية في البلاد العربية. حيث اللغة المشتركة تؤمن تضافر الجهود المعلوماتية في هذه البلاد. ويشرف على الملف الزميل التركي صاحب السبق في هذا المجال. للمزيد

إقرأ في العدد القادم

سيكوفيزيولوجية الألم

دراسة نفسية عصبية يشارك فيها ثلاثة من الباحثين الألمان المعروفين. ترجمها للمجلة الزميل سامر رضوان. كما يضم العدد مقابلة مع العالم فاخر عاقل وهو من رواد الاختصاص في المشرق العربي....

سيكولوجية أطفال الإنتفاضة

جماعة من الباحثين

العدد الخمسون / أبريل السعر: دولارات

يتضمن البحوث التالية: خصوصية الضغوط الناجمة عن الانتفاضة. قراءة في سيكولوجية طفل الانتفاضة. تصور خطة لعلاج الأطفال الفلسطينيين. ومتابعات الانتفاضة. للمزيد

أزمات المراهقة

أ.د. أنور الجرايحة

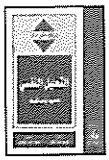

العدد الثامن والاربعون / اوكتوبر السعر دولارات

يحتوي الملف عاى البحوث والمقالات التالية: المراهق والسلطة. سلوكيات المراهق. المراهق والصحة النفسية. المراهق والتذبذب الأسري. والمراهق والامتحانات. للمزيد

شروط النشر

الهيئة الإستشارية

مؤتمرات المجلة

ملفات المجة

دليل الموقع

الصفحة التالية

مركز الدراسات النفسية والنفسجسدية
Centre d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S

الثقافة النفسية المتخصصة

رئيس التحرير
محمد أحمد النابلسي

INTERDISCIPLINAR PSYCHOLOGY
Editor in chie f: Naboulsi.M. (M.D. -Ph.D)

PSYCHOLOGIE INTERDISCIPLINAIRE
Chef Editeur: Naboulsi M. (M.D. ph. D.)

ان الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر كتابها وهي لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

يرجى مراجعة شروط النشر المنشورة في صفحة مستقلة.

تعطى افضلية النشر وفق خطة التحرير وبحسب المحاور المحددة مسبقا.

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على عنوان المركز المبين ادناه.

طرابلس ـ لبنان ـ شارع عزمي ـ بناية قاديشا
P.O. Box: 3026-Tal

تلفون: 961-6-441805 فاكس: 961-6-438925
E.mail:ceps 50@hot mail. com.

سكرتاريا التحرير

حسن الصديق — عبد القادر الاسمر

هيئة التحرير

روز ماري شاهين — سلمى المصري دملج
سامر رضوان — جليل شكور

الهيئة الاستشارية

احمد عبد الخالق ـ جامعة الكويت ـ كلية الاداب
احمد ابو العزايم ـ رئيس الاتحاد العالمي للصحة النفسية
اسامة الراضي ـ مجمع الراضي للطب النفسي
اليزابيت موسون ـ عضو شرف في محافل عالمية
انور الجراية ـ مستشفى الهادي شاكر للطب النفسي
بشير الرشيدي ـ رئيس مجلس امناء مكتب الامناء الاجتماعي
جمال التركي ـ استشاري الطب النفسي/ تونس
جيمي بيشاي ـ مشفى المحاربين القدماء/ الولايات المتحدة
خليل فاضل ـ استشاري الطب النفسي/ بريطانيا
صفاء الاعسر ـ مركز دراسات الطفولة/ عين شمس
طلعت منصور ـ جامعة عين شمس ـ كلية التربية
عادل الاشول ـ جامعة الكويت ـ كلية التربية
قتيبة شلبي ـ الولايات المتحدة
زايد الحارثي ـ جامعة ام القرى ـ السعودية
عبد الستار ابراهيم ـ جامعة الملك فهد/ الظهران
عبد الفتاح دويدار ـ جامعة الامارات
عبد العزيز الشخص ـ جامعة عين شمس ـ كلية التربية
عبد الرزاق الحمد ـ جامعة الملك سعود ـ كلية الطب
عبد المجيد الخليدي ـ جامعة عدن ـ كلية الطب
عدنان التكريتي ـ رئيس تحرير المجلة العربية للطب النفسي
علي زيعور ـ الجامعة اللبنانية ـ كلية الاداب
فاروق السنديوني ـ جامعة واغا واغا/ استراليا.
فرج عبد القادر طه ـ عضو المجمع العلمي المصري
فيصل الزراد ـ مستشفى الطب النفسي/ ابو ظبي
قدري حفني ـ قسم الدراسات الانسانية/ عين شمس
محمد حمدي الحجار ـ استاذ الطب النفسي السلوكي/ سوريا
محمد الطيب ـ عميد كلية التربية/ جامعة طنطا
محمد نجيب الصبوة ـ رئيس تحرير دراسات نفسية

قيمة الاشتراك السنوي

ـ الافراد ٤٠ دولار اميركي ـ للمؤسسات ١٠٠ دولار اميركي
ثمن النسخة عشرة دولارات اميركية او ما يعادلها.

قواعد نشر البحوث
في مجلة الثقافة النفسية المتخصصة

تعمل مجلة الثقافة النفسية المتخصصة على تقديم افضل مستوى ممكن من الاحاطة بمستجدات الاختصاص في كافة فروع العلوم النفسية، محاولة بذلك الاستجابة لحاجات المتخصصين والمهتمين خصوصا بعد تداخل تطبيقات الاختصاص مع مختلف فروع العلوم الانسانية. وذلك من خلال اطلاع القارئ على اتجاهات البحوث العالمية وتعريفه باخبار ومستجدات هذه البحوث وعبر بعض الترجمات المفيدة. اما بالنسبة للبحوث العربية فان المجلة تسعى لتقديم فرصة عرض الدراسات والبحوث الرصينة والمسايرة للمستجدات وللحاجات الفعلية لمجتمعنا العربي.

وصفحات هذه المجلة مفتوحة امام كل الباحثين العرب وهي ترحب بمساهماتهم الملتزمة بشروط النشر التي حددتها الهيئة الاستشارية وهيئة التحرير على الشكل التالي:

قواعد عامة

1 ـ الالتزام بالقواعد العلمية في كتابة البحث.
2 ـ ان يكون البحث مطبوعا ومراجعا من قبل كاتبه.
3 ـ ان لا يكون البحث قد سبق نشره او عرضه.
4 ـ ان يقدم الباحث اقرارا بعدم ارساله الى جهة اخرى.
5 ـ ان لا يزيد عدد صفحات البحث عن 20 صفحة.
6 ـ كتابة العناوين الرئيسية وسط السطر والعناوين الفرعية على الجانب الايمن.
7 ـ ارسال نسخة واحدة من البحث مع الديسك.
8 ـ السيرة العلمية المختصرة بالنسبة للكتاب الذين لم يسبق لهم النشر في المجلة.

قواعد خاصة

1 ـ كتابة عنوان البحث واسم الباحث ولقبه العلمي والجهة التي يعمل لديها على صفحة الغلاف.
2 ـ يراعي في اعداد قائمة المراجع ما يلي:
تسجيل اسماء المؤلفين والمترجمين متبوعة بسنة النشر بين قوسين ثم بعنوان المصدر ثم مكان النشر ثم اسم الناشر.
3 ـ تخضع الاعمال المعروضة للنشر للتحكيم العلمي السرى وفقا للنظام المعتمد في المجلة ويبلغ الباحث في حال اقتراحات تعديل من قبل المحكمين.
4 ـ توجه جميع المراسلات الخاصة بالنسر الى رئيس التحرير.
5 ـ الآراء الواردة في المجلة تعبر عن رأي كتابها ووجهات نظرهم.
6 ـ تلتزم المجلة بابلاغ الباحث عن قرار النشر وهي لا تعيد الابحاث المرفوضة لاصحابها.
7 ـ لا تدفع المجلة مكافآت مالية عن البحوث التي تنشرها.

المحتويات

□ عزيزي القارئ ٦

□ قضية حيوية / ثورة المجنون – يحيى الرخاوي ٨

□ علم النفس حول العالم / اعداد: نشأت صبوح – رمزية نعمان – سناء شطح ١٩

□ مقابلة العدد / لقاء مع مؤلف الكتاب الحرب النفسية في العراق ٢٧

□ المدرسة النفسية العربية / نحومشروع معلوماتي نفسي عربي / جمال التركي ٣٢

□ التعاطف فن الإحساس بالآخر / هايكوارنست – ترجمة سامر رضوان ٥٤

□ أخبار الجمعيات النفسية العربية ٦٥

□ مكتبة العدد

- أشكال الصراعات المقبلة/ ألفين وهايدي توفلر ٧١
- الطب النفسي/ عادل صادق ٧٨
- يهود يكرهون أنفسهم / محمد احمد النابلسي ٨١

ملف العدد
سيكولوجية الحروب العربية

□ سيكولوجية الحرب النفسية الأميركية / محمد حمدي الحجار ٨٨

□ تقنيات الحرب النفسية في العراق / محمد احمد النابلسي ١١٧

□ هموم الاختصاص / جمال التركي ١٤٦

□ بكاء أفهمه وبكاء لا أفهمه / عبد الستار ابراهيم ١٥٠

□ الشخصية العراقية / أحمد موسى ١٥٦

عزيزي القارئ

الكارثة العراقية أكبر من كل تصور. فمن السذاجة تشبيهها بالانقلابات الدموية لفترة الستينيات. لأن أهداف هذه الانقلابات كانت تحقيقاً لعمليات مخابراتية سوداء تهدف الى مجرد إبدال حاكم بآخر. في حين تذهب الطموحات الاميركية المعلنة الى الانطلاق من العراق لتغيير خارطة المنطقة وثوابت ثقافتها. كما تختلف الكارثة العراقية عن التغييرات الجغرافية والعقائدية التالية لسقوط جدار برلين. فقد إحترمت هذه التغييرات كرامة الشعوب فكان التغيير عن طريق الشعوب نفسها وليس بقوة تدخل عسكري يتحدى الشرعية الدولية ليعود فيحظى بموافقتها على تحوله الى احتلال ناجز للاراضي العراقية.

لامعقولية هذه الحرب وتحديها للمنطق تتبدى واضحة من خلال الهزة العالمية التي رافقتها. فالرأي العام العالمي والدول المعارضة للحرب من اجنبية وعربية لم تتحرك لنصرة الرئيس العراقي. الذي لا يشكل في النهاية سوى رئيس دولة نامية محاصرة دولياً بأوامر أميركية. وهي وضعية تعامل عادة بالتجاهل من قبل معظم هذه الأطراف. ومن هنا التأكيد على أن هذه المعارضة كانت تلحظ الكوارث اللاحقة للحرب العراقية ولا تقف عند حدود هذه الحرب. فالواضح ، المتحول لاحقاً الى واقع، هوأن الولايات المتحدة تريد إعادة العالم الى عصر الامبراطوريات الاستعمارية والى شرعية سطوة القوة العسكرية المدمرة.

إختصاصنا له دور في الكوارث عامة وفي هذا النوع من الكوارث خاصة. حيث الغموض مدعاة لإنفجار الغرائز البدائية العدوانية وفي طليعتها غرائز الانتقام ومعاداة المجتمع والفوضى المرافقة لهما. حيث تكون مهام تقنين هذه

الفوضى والسيطرة عليها مسؤولية ممثلي النظام. فإذا ما سقط النظام موضوع الاحتلال تتحول هذه المسؤولية الى المحتلين. وهؤلاء تغاضوا عن هذه المسؤولية لتشجيع الفوضى والغرائز العدوانية خشية تحولها لمعاداتهم بوصفهم محتلين. وتزداد تداعيات الكارثة مع غياب الاحصاءات المقصود حول ضحايا هذه الحرب من قتلى ومشوهين ومصدومين وأيتام وغيرها من فئات المتضررين. الأمر الذي يجعل تحديد حجم الكارثة وحجم الحاجات المطلوبة لمواجهتها أموراً مستحيلة.

أمام هذا الارباك تلقت المجلة صرخات الحمية ورغبة المساعدة والتدخل، من قبل زملاء مشاركين فيها، فكانت رسائل الزملاء جمال التركي وعبد الستار ابراهيم وغيرهم بمنزلة دعوات صادقة لتفعيل دور الاختصاص وتدخله في رعاية الضحايا العراقيين. خاصة وأن هؤلاء يبدون وكأنهم الدفعة الأولى من الضحايا العرب المرشحين لمعاناة كوارث شبيهة. لذلك خصصنا هذا العدد لمحور سيكولوجية الحروب مع اتخاذ الحرب العراقية نموذجاً. ويتضمن العدد جملة الرسائل والاقتراحات والمقالات التي وصلتنا بمناسبة الحرب العراقية. كما تضمن العدد موضوع " تقنيات الحرب النفسية " وهوالفصل الأول من كتاب رئيس التحرير المعنون: " الحرب النفسية في العراق – متابعة للجوانب النفسية للحرب الأميركية على العراق ". وذلك بالإضافة الى الأبواب الثابتة للمجلة.

على أمل خلاص الشعب العراقي من فوضى الغرائز السلبية وعودته الى استقرار نسبي يتيح له تحديد حجم الكارثة وخطورة جروحها نتمنى أن ينجووطننا العربي من العمليات المخابراتية القذرة المعدة له.

أسرة التحرير

قضية حيوية

ثورة المجنون

أ.د. يحيى الرخاوي

أستاذ الطب النفسي ـ جامعة القاهرة ـ مصر

إن الدنيا بالخارج تمطر حامض «دنا DNA» على شفة قناة أكسفورد،، أسفل حديقتي ثمة شجرة صفاف كبيرة، وهي تضخ في الهواء بذورا ذات زغب. ويتحرك الهواء بلا نظام، فتنجرف البذور إلى الخارج من الشجرة في كل اتجاه..

» وزغب القطن قد صنع أغلبه من السليلوز وهويحجّم كالقزم تلك الكبسولة الدقيقة التي تحوي حامض دنا.. وإذن فلماذا أقول إن الدنيا تمطر دنا، بدلا من أن أقول إنها تمطر سليولوزا، والإجابة هي أن دنا هوما يهم.»

«.. فهذه النقط ذات الزغب تنشر بالمعني الحرفي تعليمات بأن تصنع نفسها، وهي موجودة هناك لأن أسلافها قد نجحت في صنع نفس الشيء. إن الدنيا تمطر تعليمات هناك بالخارج، إنها تمطر برامج، إنها تمطر أرقاما شفرية تنمي الشجر وتنشر الزغب، وليست هذه استعارة مجازية، إنها الحقيقة الواضحة. ولا يمكن أن يكون الأمر أكثر وضوحا لوكانت الدنيا تمطر أقراص كمبيوتر لينة Floppy discs».

هذه مقتطفات من فقرة طويلة نسبيا، لم أقتطفها من قصيدة حديثة، ولم أرتبها من شطح خيال مريض فصامي يسمح له أن يري حامض دنا وهوينزل رذاذا كالمطر الطل، ليمطر الطبيعة بالمعلومات الجينية المبرمجة. إنها نص ما جاء في مقدمة الفصل الخامس من كتاب علمي عن «الجديد في الانتخاب الطبيعي»، تأليف ريتشارد وكنز، وهوكتاب كتب بحب شديد للحياة واحترام بالغ للتطور، كذلك ترجمه د.

مصطفي فهمي إبراهيم، بنفس الحب والجمال، وقد اقتطفته في مقدمة هذا المقال لأشهد القارئ ابتداء كيف أن الطبيعة في حركيتها التطورية لا تسير كيفما اتفق، وأن البرامج غير الواعية التي تتحكم في قوانين الحياة بما في ذلك قوانين البقاء والجمال هي ممنهجة بشكل يتحدى أي برامج كمبيوترية حديثة مهما بلغت رصانتها، وأن أمطار الأرقام الشفرية التي تنمي الشجر وتنشر الزغب ليست استعارات مجازية..»

■ ما الحكاية بالضبط؟

ما الفرق بين الفطرة والبدائية والعشوائية؟

وما الفرق بين البرنامج والمنهج؟

وهل لابد أن يكون المنهج معلنا حتى نعترف به، ونستطيع تقييمه؟

وهل لابد أن نعي بالفكر الظاهر: أي منهج نتبع؟

وهل يمكن أن نعرف المنهج «الذي كان» من خلال النتائج حتى لولم نعرف المقدمات؟

إن تعليل تخلفنا المتمادي المهدد لوجودنا، والمعوق لمسارنا بغياب المنهج وتمادي ما يسمي العشوائية هوأمر يحتاج إلى نظر طويل.

■ روعة التطور وقوانينه

إن تاريخ التطور الحيوي، فيه حل لألغاز كثيرة، إن الإنسان بكل ما يميزه، (وما يعيبه) هوهذا الناتج الرائع لمسيرة التطور عبر ملايين السنين، ومع ذلك فهوالذي راح يسخر معظم جهوده بأذكى أنواع الغباء لإنكار تاريخه صراحة أوضمنا، إنه لم يتخلق هكذا إلا بناء على قوانين محكمة جعلته يظهر حالا بهذا التركيب الذي لا يمكن أن يتحقق إلا بأدق القوانين وأسلمها عبر التاريخ.

إن مراجعة بسيطة لتاريخ التطور من أي نوع إلى نوع أرقي، سواء بالتشريح المقارن، أم بعلم الأجنة المقارن، أم بالنظر في ترتيب مستويات الدماغ هيراركيا وتراجع الأحدث أمام الأقدم في خبرة الجنون، أم بالتفهم اللائق لخيال دارون وولاس الذي حل لغز بزوغ هذا التصميم البديع المركب من تلك البساطة البدائية

الرائعة، إن كل ذلك لابد أن ينبهنا أن ما نسميه فطرة أوتلقائية أوحتى عشوائية ليست إلا إعلاناً عن جهل مركب بالقوانين الأعمق والبرامج الأذكى البعيدة عن إدراكنا المباشر حالا.

إن التدهور الذي يلحق بجماعة من البشر، أوبكل البشر، حسب المخاطر المتزايدة حديثا، لا يكفي أن يفسر ببساطة بأن القوانين التي أوصلتنا لما نحن فيه قد بطل مفعولها بانتهاء عمرها الافتراضي، إن ثمة تدخلا لاحقا يجري حاليا يتدخل في هذه القوانين ليفسدها ويعطلها.

إن البداية الحقيقية للبحث عن أسباب التدهور المحتمل، تستلزم محاولة الاستفادة الجادة من فهم هذا السبق الرائع لانتصار الحياة التي صنعت هذا الإنسان الذي يحاول ـ مؤخرا ـ أن ينكر تاريخه بسيطرة ظاهر وعيه.

■ محنة الوعي البشري

حين امُتحن الإنسان بمحنة الوعي، أصبح التخطيط بمنهج ما، والالتزام بتنفيذه من ضمن امتحانات البقاء التي طرحت سؤالا لم يسبق لما نعرف من الأحياء أن واجهوه، يمكن صياغة هذا السؤال على الوجه التالي:

هل نجح الوعي البشري الظاهر، بفضل اتساقه مع الفهم والتخطيط والتدبير وتصميمات الأناقة المركبة، هل نجح أن يستوعب تاريخه وهويضع برامجه، ويحدد المناهج التي يوجه بها فكره ليحدد مساره، أم أنه ضل الطريق حين أصبح وصيا على قوانين البقاء الطبيعية، هذه هي الإشكالة التي تواجه البشر هذه الأيام بحدة غير مسبوقة. إن تلقائية التطور قد نجحت عبر ملايين السنين بمنهج تلقائي محكم، قضي على من قضي، وأبقي على من أبقي. لكن الذي يحدث الآن ـ بعد أن تدخل الإنسان بروعة خطيرة في منهج التطور ـ أن حسابات أخري أصبحت تتدخل في كل من صياغات المنهج وتنفيذه. هذه نقلة تطورية بلا أدني شك، لكن من قال إن كل نقلة تحمل ضمان نجاحها، إن من الطفرات ما يمكن أن يقضي على جنس بأكمله.

القضية الآن، ولعلها ترجع إلى عشرات القرون، أن الإنسان يتصور أنه امتلك أدوات التخطيط لمساره ومصيره، (تحت مسميات متعددة حسب المجال واللغة، مثل: علوم المستقبل، ودراسات الجدوى، والتخطيط، والهندسة الوراثية، وعلم تحسين

النوع.. إلخ) مع انتباه أقل إلى وحدة الزمن التي يلزم أن نتعامل بها في هذا الصدد، والتي لا يمكن أن يتحقق تطور إلا من خلالها، وأيضاً: بأقل قدر من الاستفادة من تاريخ التطور الرائع.

لم يقتصر غرور الإنسان الحديث وهويخطط مساره ليحدد مصيره على توفير ما يحافظ على استمرار الحياة للبشر، أولبعض طبقاته، وإنما امتد إلى التخطيط لنوعية التواجد على هذه الأرض، بل وتمادي مؤخرا للتخطيط بالتدخل في نوعية البشر أنفسهم (بالهندسة الوراثية الرائعة المخيفة)، ثم لتحديد موعد وشكل «نهاية التاريخ».

■ طفرة خطيرة

نحن لا نعرف في تاريخ الحياة، ولا حتى في مملكة النحل، أن طبقة خاصة من نوع من الأحياء قد اختصت بالتخطيط لسائر نوعها حفاظا على استمراره، إن كل فرد من أفراد جنس ما كان دائما وأبدا مسئولا ـ دون وعي ـ عن سائر أفراد جنسه. وقد ظل الجنس البشري طول تاريخه ينقسم على نفسه إلى طبقات وعناصر تتصارع أكثر منها تتآلف حتى كادت تودي بالجميع في بعض فترات تطوره، لكن الثابت حتى الآن أن الأمور سارت إلى ما حافظ على استمرار الإنسان وأكد تفوقه.

لكن حسابات أحدث راحت تلوح بقفزة تطورية غير مسبوقة، وفي نفس الوقت بخطر الانقراض نتيجة لخطأ متسارع بشكل غير مقصود. ذلك أن الإنجازات الأحدث التي أتاحت فرص تضاعف قفزات التطور لصالح الأرقي، هي هي التي قد تسمح بخطورة تمادي الأخطاء بسرعة لا يمكن اللحاق بها قبل تمام الدمار الشامل.

البشر الآن يتصلون ببعضهم البعض دون إذن، وهم في نفس الوقت يرضخون لتشويه مبرمج دون اختيار، ومع تمادي محاولات السيطرة على ناحية، وتزايد المقاومة رغم ضعف إمكانياتها على الناحية الأخرى: يكاد العالم ينقسم إلى قسمين رئيسيين بطريقة غير مسبوقة، فـ «الذي يستطيع» «يفعل»، وما يفعله قد لا يكون هوالصواب، مهما بدت حبكة منهجه، وهوقد يضر نفسه بل وقد يعجل بنهاية نوعه، و»الذي لا يستطيع» يصيح أويرسم أويغني أويقوم بمظاهرة هنا أوينظم مؤتمرا هناك، وقد ينتحر احتجاجا أويأسا أوإنذارا. فيبدولأول وهلة أنها معركة خاسرة

للطرفين، فالأقوى هوالأغبى والأسرع، والمتخلف،) رغم قربه للطبيعة، هوعاجز تماما.

«الذي يستطيع» يزعم أنه صاحب منهج محكم، ورؤية مبرمجة، وخطة كاملة ترسم التاريخ حتى نهايته، لصالح فئته ورؤيته ومثله التي اصطنعها لنفسه، ولم يستلهمها من تاريخ الحياة. في حين أن «الذي لا يستطيع» يتهم بالفوضوية والتخلف والعشوائية، وهولم يعد قادرا على الاحتماء بقوانين الطبيعة التي أوصلته إلى هذا المركز المتفوق على الأحياء المعروفة، لأنه تنكر لها خفية.

إن الطبيعة لا تقاوم من ينكر قوانينها لكنها تلفظه وهوينقرض. كما أنها لا تدعم من يكسل عن اتباع قوانينها حتى العجز، وهي تلفظه أيضا بنفس الحسم.

النتيجة أن «الذي يستطيع» يتخلى عن الطبيعة أوهي تتخلى عنه، لتتركه مسجونا في منهج شديد الإحكام والنجاح، لكنه يفتقر الاتصال بالأصل الذي أوصله إلى قدراته تلك، فهويتنازل عن تاريخه الممتد ليتسلح بغروره المهلك، ثم هويقود العاجز إلى حيث لا يدري.

وبرغم كل ذلك، فمهما بلغ الشك في المنهج المحكم المغلق الجاهز القامع، فإنه لا يمكن أن يكون مبررا لأن يقف أي واحد ليدافع عن غياب المنهج، أوليقف بجانب العشوائية (كيفما اتفق). إن منهجا زائفا صلبا وقاهرا مهما بلغ طغيانه وغباؤه هوأفضل ـ مرحليا ـ من اللامنهج، فالمنهج الزائف يحمل مقومات هدمه من واقع زيفه، كما أنه قد يستثير ضده ليحل محله. أما (تصور) اللامنهج ـ مع الانفصال عن الطبيعة ـ فهوفرصة لعمل مناهج خفية مدمرة بلا أمل في رصدها لتجاوزها.

حـــذر

يمثل المرض النفسي من منظور تطوري فرصة نادرة للتعرف على تاريخ التطور الحيوي، وتكبيره والنظر فيه حالا، بعد أن يتعري الغطاء الأحدث، كما يمثل تاريخ تطور الطب النفسي نموذجا مصغرا يمكن القياس عليه بحذر شديد.

لقد مر الطب النفسي الحديث أثناء تطوره بمرحلة خطيرة، حين ظهرت وتمادت الحركة المناهضة للطب النفسي المسماة «ضد الطب النفسي Anti-Psychiatry». بدأ ذلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية في أكثر من بقعة في العالم معا (مثلا: في

إنجلترا: هـ. لانج، د. كوبر، وفي أمريكا: زاس، وفي إيطاليا: بازاجليا.. إلخ). ثم بالغت هذه الحركة في البحث عن «معنى للجنون» باعتباره موقفا احتجاجيا ضد الاغتراب المعاصر واعتبرت أن هذا الاغتراب هوالذي أدي ضمن مضاعفاته إلى الحرب العالمية الثانية. وأن العجز عن مواجهته هوالتفسير المناسب لغلبة هذا الاحتجاج المبرَّر (الجنون). لكن هذه الحركات التي حاولت البحث عن الغاية والمعني وراء «تناثر العقل وتفكك الذات» حتى الجنون تمادت في موقفها العدمي «ضد» المنهج «وضد» السلطة و«ضد» العقاقير، حتى كاد المتابع لسرعة انتشارها يعلن - ولوفي تردد - أن «الجنون هوالحل». ومثل كل حركات الأضعف، التي يغلب فيها الحماس على التخطيط. والنفي على الإبداع، انتهت إلى فشل ذريع، ليس لأنها خطأ مطلق، ولكن لاعتمادها على الهجوم على منهج جامد زائف دون (أوقبل) وضع منهج بديل. إن ثورة المجنون في بداية الرفض هي ثورة ما في ذلك شك، لكنها في النهاية تحطيم، على مبدأ «علي وعلى أعدائي»، وفي كثير من الأحيان تكون النتيجة هي «علي دون أعدائي».

لا يمكن إنكار أن للمجنون منهجه الخاص في الاحتجاج. فهومهما بدا متناثرا مفككا على السطح، إلا أن الممارس للعلاج العميق مع هذه الفئة التي نتصور أنها تمثل قمة عشوائية تناثر العقل، لابد أن يتعرف وهويغوص مع مريضه إلى أعماقه على مدي صلابة عناده، وقوة أسلوبه المتمادي في تحطيم ذاته وهويتصور أنه يحطم عدوه المتسبب فيما صار إليه. إن تمسك المجنون بالحل الفاشل لا يعادله إلا تمسك المغترب بالحل الزائف.

الذي يحدث عبر العالم الآن هونموذج أشبه بهذا الحل بالجنون مقابل الضياع بالاغتراب، الحل بالتفكك في مقابل التشويه بالزيف، وكلاهما يحمل منهجا خاصا به، وكلا الطريقين يشتركان في تهديد الجنس البشري بالانقراض.

يكاد التخلف المهترئ الذي يعيشه العالم الأفقر (الذي لم يعد محدودا بجغرافيا أوبتاريخ بذاته) أن يكون أقرب إلى الالتزام بمنهج الاحتجاج السلبي بهدف تحطيم العالم الذي يسحقه، ولا مانع عنده أن يتحطم معه.

كما أن التقدم الزائف الذي يتطاول كل يوم في البنيان بعيدا عن الأوطان والحكومات بل وحتى الأفراد، يبدووكأنه قد نسي هدفه تماما، فراح يتمادى «فيما

يفعل فقط». يتمثل ذلك في المسار الذي تمثله ما يسمي الآن «الشركات العابرة للأوطان، ثم للقارات، ثم لأصحابها». أصبحت القوي المتحكمة في العالم تسخر كل الأدوات والمناهج، بما في ذلك المناهج العلمية، والتجريبية والمعلوماتية وحتى الدينية (الأصولية والمستحدثة جميعا) لصالح «ما لا تعرف».

وللأسف، مثلما هوالحال في الجنون، تواجه قوي الاحتجاج الأضعف كل ذلك بإحياء العصبية البدائية والتسليم لمنهج التفكيك دون أية قدرة على إعادة البناء. وقد ترفع أثناء ذلك شعارات لافتة صحيحة لا فائدة منها، رغم حكمتها (مثل «حكمة المجانين») شعارات مثل: الرجوع للأصل والتمسك بالفطرة، والفخر بالقديم، وضرورة العدل.. إلخ.. (راجع بيانات قمة الأرض مؤخرا).

إن هذا الموقف الصعب ينبهنا أن علينا ألا نرجع باللائمة على أحد الطرفين دون الآخر، نحن نحتاج إلى نظر أعمق من مجرد التراشق بالاتهامات. إن فروضا قديمة ينبغي أن تتجدد، كما أننا نحتاج إلى فروض حديثة تسهم في جلاء الموقف أكثر فأكثر، ومن ذلك.

■ الفروض

أولاً: إن معظم الأحياء التي حافظت على بقائها تؤكد من خلال ذلك أنها اتبعت منهجا ممتازا سمح لها بذلك.

ثانياً: إن المنهج لا يحتاج دائما أن يكون معلنا، إنه قد يوجد سواء عرفناه قبل البدء في الفعل أم استنتجناه بعد تحقق فاعليته، إن المنهج يمكن أن يستنتج بنتائجه، بقدر ما يمكن أن يختبر بمقدماته.

ثالثاً: إن الوعي الذي ابتلي به الإنسان قد ميزه وشرفه، وفي نفس الوقت قد وضعه في مأزق خطير، فهويلزمه أن يتبع منهجا يتفق مع ما يمتلك من فكر وخيال وإبداع، ويمده بأدوات تقنية ومعلوماتية تضاعف قدراته على التحكم في التطور، لكنه يحمله مسئولية الوقوع في خطأ قد يكون كافيا لانقراضه.

رابعاً: إن التدهور الذي نعانيه نحن وأمثالنا لا يمكن أن يعزي - ببساطة - لغياب المنهج، بل إن الأصوب أن نبحث عن منهج خفي نمارسه في إصرار (بعناد مجنون) ونحن نتمادى في التحطيم والتحلل، في حين نتصور أننا نحتج ونختلف. إن

المسئول ليس مجرد غياب المنهج، بل اتباع منهج مدمر، حتى لولم نتبين معالمه بوضوح كاف.

خامساً: إن المدخل الصحيح هوإعادة النظر في علاقتنا بالطبيعة الآنية وأيضا، وربما أهم، هوحسن مراجعة التاريخ الطبيعي للأحياء، لعلنا نتدارك الأمر باستكشاف ماذا حفظ، ويحفظ، البقاء الحقيقي للأحياء بما في ذلك الإنسان بما حقق من تميز وقيادة وريادة ووعي وإبداع.

■ الإنسان والطبيعة

إن الممارسة الحياتية الآنية بكل أخطائها إذا ما نظر إليها من خلال دروس التاريخ الحيوي، وصولا إلى التاريخ _لبشري، لابد أن تؤكد لنا أن الفرصة مازالت سانحة للتجمع والتواصل لتدارك الخطأ قبل فوات الأوان.

المطلوب هوالبحث عن المنهج الذي يصالح الإنسان على تاريخه، وفي نفس الوقت يحافظ على استمرار تنمية كل ما أسهم في نجاح رحلته التطورية حتى صقل أحدث مناهجه وأدواته من خلال قدراته ووعيه الفائق الحديث.

ليس معني اكتسابنا للوعي أن ننفصل عن الطبيعة ثم نكتفي بالاهتمام بتنظيفها بعد تسميتها «البيئة» لحساب استمرار ما نتصوره، إن التعامل الأسلم مع الطبيعة هوالتعمق لاستخراج منهجها الذي أفرزنا بفضل الله. إن الطبيعة هي المنبع، والطبيعة هي المصب، ونحن جزء لا يتجزأ من هذا وذاك.

إن الطبيعة ليست محيطا منفصلا عنا مثل بيت نسكنه ونحن نحرص على ترتيبه على مزاجنا. إنها ليست مجالا خارجا عنا يتلوث أوينظف حسب حرصنا على ما نلقي فيه أوننفث عبره، الطبيعة هي نحن شخصيا.

لا يمكن أن نمنع تلوث الطبيعة بالتعاقد مع شركات مثل شركات النظافة في الإسكندرية ثم القاهرة، المطلوب هوالتصالح مع الطبيعة والحوار المتصل وإياها لتواصل مسيرتها لصالح ما نعد به كما علمنا التطور.

■ المواجهة والأمل

كما جاء في المقدمة، فإن ما يمر به الإنسان من تهديد بالانقراض ليس جديدا،

وحتى لوكانت الأدوات المتاحة تنذر باحتمال التسارع بالنهاية قبل المراجعة، فإن نفس هذه الأدوات هي القادرة على رأب الصدع وتعديل المسار.

الأمل هوأن نرفض التفسيرات المتعجلة مثل تبرير تخلفنا بافتقارنا إلى المنهج والتمادي في العشوائية، أتصور أننا نمارس منهجا لا تجاري كفاءته لتحطيم أنفسنا، إن ما يجري في «لا وعينا» ليبرر الكسل والتقاعس وإلقاء اللوم على غيرنا (التفسير التآمري) كما يبرر التأجيل والبيانات والاكتفاء بالتصريح والتلويح بالفعل دون الفعل، وغير ذلك، هومن معالم هذا المنهج السلبي الخفي القادر على تدميرنا، دون أي جهد منهم. وهم أحوج ما يكونون إلينا.

إن الزعم بأن ما آل إليه حالنا هونتيجة للافتقار للمنهج وليس نتيجة لممارسة منهج خفي مدمر، يبدووكأنه دعوة ضمنية لاتباع منهج مستورد حسب احتياجاتهم لاستعمالنا، لتحقيق ما يتصورونه نموذجا لغاية ما يمكن للإنسان أن يحققه (نهاية التاريخ).

لا مانع أن نكون خدما إذا كنا غير قادرين على غير ذلك، ولا مانع أن نتبع منهجهم إذا كنا لا نملك إلا منهج تدمير أنفسنا بأنفسنا، لكن ليكن هذا معلنا بدلا من استسهال التفسير بغياب المنهج، مع التلويح بوعود لتحقيق أهداف لم نشترك في صياغتها، ولا هي تنفعهم، ولا هي تحقق ما هونحن أوما خلقنا الله له.

■ **إذن ماذا،**

ليس عندي أية رغبة في المغامرة بعرض منهج بديل، لعجزي عن ذلك من جهة، ولأن أي منهج لا يمكن البدء في تطبيقه الآن، يصبح ـ على أحسن الفروض ـ يوتوبيا معطلة. كل ما أستطيع تقديمه هوأن أعرض خطوطا عريضة مستلهمة من تاريخ التطور الحيوي الرائع.

إن أي منهج يهتم بجزء دون الكل، أوينمي مستوي من الوعي على حساب آخر، حتى لوكان هذا المستوي هوالأحدث قد ينجح في تحقيق مهمته المحدودة، لكنه أبدا لا يحقق إنسانية الإنسان كما خلق.

إن ما يبدومن افتقارنا ـ نحن المتخلفين ـ إلى منهج واضح لا ينبغي أن يلهينا عن حقيقة أننا نتبع منهجا مدمرا يسرع باستبعادنا وهلاكنا أولاً، ثم يحرمهم من

جدل محتمل قد ينقذنا معهم من تدهور حتمي إذا اقتصر الأمر على زيفهم الأوحد..

ومع ذلك فإنه من الأفضل لنا أن نتقن منهجا زائفا من أن نخدع أنفسنا باحتجاج عدمي ميت. أونتصور أننا لا نمارس منهجا أصلاً، في حين أن جهدنا كله موجه ـ في الخفاء ـ للاستمرار في ممارسة مناهج سلبية تقوم بالواجب في تسهيل تحطيمنا وتهميشنا، وتوفر عليهم جهد محاولة الخلاص منا إذا ما يئسوا من استعمالنا.

ملحوظة: هم، ترجع إلى أهل الزيف العابر للقارات والبشر والتاريخ، و»نحن» ترجع إلى المستضعفين في الأرض، ظالمي أنفسهم، من كل جنس ولون ودين).

إن المنهج الذي نحتاجه، بل ويحتاجه كل البشر، يبدأ من إعادة النظر للتعمق في فهم كيف نجحت مسيرة التطور حتى الآن. إن وضوح علاقتنا بالطبيعة، وتحديد طريقة ممارسة هذه العلاقة بالفن والإيمان المبدع وشحذ العبادة، واحتمال تنمية هذه العلاقة بالممارسة الحقيقية عبر تربية متكاملة، هي التي تجعل للمناهج المحكمة الأحدث معني وقيمة في إثراء الحياة واستكمال مسار التطور الحقيقي الذي يعد به تاريخ هذا الجنس البشري الرائع.

الأمل الآن هوأن يحقق الانقسام الذي حدث في العالم ما بين القوي المسيطرة على ما لا تعرف، وبين القوي المقاومة لما تعرف، هوأن تسهل وسائل التواصل والتوصيل في تحديد أهداف جديدة للجنس البشري تليق بتاريخه، أهداف يمكن أن تقاس بمحكات جديدة غير المحكات الكمية الاستهلاكية، وبالتالي يمكن أن نحققها بمناهج جديدة.

كان الإنسان قديما يحتاج بين الحين والحين إلى وحي من السماء يصحح مساره كلما انحرف، وكانت رحمة الله ترسل له الرسول تلوالرسول (صلوات الله عليهم جميعا وسلامه) يحقق ذلك في بقعة جغرافية بذاتها، ثم تنتشر أولا تنتشر رسالته بقدر ما لم تتشوه ولم تستولِ عليها حركات مضادة باسمها، ثم ختم الله النبوات بمحمد عليه الصلاة والسلام ليحمل الإنسان مسئولية تعديل مساره دون انتظار دين جديد. (هذا تفسير فيلسوف الإسلام الشاعر محمد إقبال لختم النبوات).

الفرصة الآن أرحب بعد أن أصبح الناس من كل حدب وصوب، على كل دين ولون، قادرين على التواصل لرفض وصاية المناهج، المغلقة، ورفض الاقتصار على غلبة وعي كمي، ورفض التسليم لنوعية حياة رخوة أولذية بحتة، ورفض الانخداع بتصور غياب المنهج وفي نفس الوقت أصبح الناس قادرين على التعاون فيما بينهم لابتداع مناهج جديدة، حتى لا يقعوا في مأزق يشبه مأزق الجنون الذي يقتصر على الرفض دون البديل.

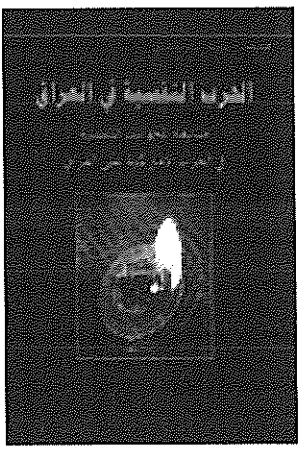

الحرب النفسية في العراق

متابعة للجوانب النفسية في الحرب الاميركية على العراق

المؤلف: محمد احمد النابلسي

الناشر: مركز الدراسات النفسية ـ ٢٠٠٣

متوافر للبيع على الانترنت

/الفرات/ النيل والفرات/ أدب وفن.

بعد تحليله لشخصيات بوش وصدام حسين وعرضه للجوانب الاعلامية والشائعات والنكات الموظفة في الحرب الاميركية على العراق يطرح النابلسي السؤال اللغز والاكثر غموضا وهو المتعلق بكيفية تحقيق الانتصار الاميركي بهذه الصورة المذهلة؟.

وهو سؤال يستتبع قائمة من الاسئلة الملغزة مثل: كيف انهارت الدفاعات العراقية بهذه الصورة المأساوية؟. ما هو مصير القيادة العراقية؟. هل استقرت اميركا في العراق ام انها تورطت فيه؟. هل يمكن لمقاومة عراقية ان تنتظم في مواجهة الاميركيين؟. واخيرا سؤال حول ما اذا كان نموذج حرب العراق كافيا لنصرة نظرية الحرب الاستباقية ام انه يدحضها بالرغم من الانتصار الذي حققته اميركا في هذه الحرب؟. وعليه فهل تستمر اميركا في حروبها الاستباقية ام تنغمس في ورطة عراقية غير متوقعة؟. ان القراءة النفسية للحرب على العراق هي مهمة ملقاة على عاتق فروع اختصاصية متداخلة. وهي ستشغل العاملين في هذه الفروع على مدى سنوات قادمة. وعليه فإن ما تقدمه هذه الدراسة ليس سوى مقدمة لقراءات نفسية لاحقة تنتظر ظهور معلومات جديدة عن خلفيات هذه الحرب واسرارها وصفقاتها الخفية.

اعداد: نشأت صبوح، رمزية نعمان، سناء شطح

دراسة عن محاولة للتوصل الى كشف الكذب عن طريق مراقبة المخ

اظهرت دراسة نشرتها شبكة الاخبار الامريكية (سي.ان.ان) اليوم محاولة بعض العلماء التوصل الى اختراع قد يقودهم الى كشف الكذب لدى، الانسان عن طريق مراقبة نشاط المخ. واضافت الشبكة عبر موقعها بالانترنت ان هناك بعض التجارب الناجحة ومنها استخدام رباط الرأس والاشعة تحت الحمراء واستخدام جهاز التصوير بالرنين المغناطيسي.

واوضحت ان التجربة الاولى التي اشرف عليها الدكتور بريتون تشانس والتي استخدم ،فيها رباط الرأس والاشعة تحت الحمراء لمراقبة الجزء الامامي من الدماغ وهوالجزء الذي يحتوي على خلايا التفكير والخلايا التي تولد الكذب عند اختبار هذا الجهاز.

واشارت الى انه تم الطلب من المتطوعين ان يضعوا الرباط على رأسهم ثم قسموا الى، فريقين فريق يجيب على الاسئلة بصدق والاخر يجيب عليها بالكذب موضحة انه قبل ان يقرر الشخص النطق بكذبته يقوم الجهاز بمراقبة التدفق الدقيق للدم في الدماغ.

وقالت انه تتم قراءة متوسط هذا التدفق عن طريق جهاز ينقل المعلومات الى شاشة ،الكمبيوتر الذي يكشف اذا كان هذا الشخص كاذبا ام لا. واعرب الدكتور تشانس عن امله بنجاح المشروع الا انه توقع وجود بعض المشاكل ،الاخلاقية خاصة عند استعمال

الجهاز لاننا "نكون قد اخترقنا اخر حاجز للخصوصية لدى الانسان"، اما التجربة الثانية التي بثتها الشبكة هي عبارة عن تصوير بالرنين المغناطيسي، باشراف الدكتور دانييل لانغليبين من ولاية بنسلفانيا الامريكية حيث طلب من المتطوعين عدم البوح بورقة اللعب التي لديهم ثم يوضعون تحت جهاز التصوير ويقوم،الكمبيوتر باستجوابهم فاذا كذب احدهم يضئ الجهاز الموضوع على رأسهم.

من جهة اخرى اخترع احد علماء الاعصاب في ولاية ايوا الامريكية لورنس فارويل ،جهازا يسمى بصمة الدماغ يقوم بالتركيز على موجة عصبية واحدة في الدماغ تسمى (٣٠٠ ب) يضيء اذا رأى الدماغ مشهدا اوموقعا تمت رؤيته من قبل. وقد تمت تجربة الجهاز بالفعل للتعرف على احد المتهمين بالقتل خلال ادلائه بشهادته ليثبت براءته وقد اظهرت النتائج انه لم يتعرف على موقع الجريمة الا ان ،،القاضي رفض استخدام هذه النتائج كدليل على براءته.

يذكر ان اجهزة كشف الكذب الحالية والمعروفة (بالبوليغراف) تعتمد في عملها على ،مراقبة نبضات القلب وقياس درجة التنفس عند الانسان وبالرغم من ان معظم المنظمات، الفيدرالية تستعمله لمعاينة المتقدمين الى الوظائف لديها الا ان معظم المحاكم لا تقبل به كدليل لمحاكمة المتهمين.

توتر الحامل يجهضها

منذ مدة طويلة ربط العلماء بين حالات التوتر بين الحوامل وإسقاط الجنين، كما أشارت دراسات عديدة إلى أن الحوامل اللواتي يعانين من التوتر الشديد يفقدن الجنين ولكن العلماء لم يتوصلوا بعد إلى سبب ذلك وفيما يعتبر إنجازا هاما تمكن فريق من العلماء من جامعة تفتس ومن اليونان من تحديد سلسلة من التفاعلات التي تبين بالتفصيل كيف أن هرمونات التوتر وغيرها من المواد الكيماوية تقوم بتدمير الرحم والمشيمة.

ونشر العلماء نتائج دراستهم في مجلة الغدد الصماء ، ومن شأن الدراسة أن تشرح أسباب خسارة الحوامل لأجنتهن دون معرفة العوامل الطبية التي تقف وراء ذلك بشكل واضح وكذلك السبب وراء تكرار هذه المشكلة ويمكن أن تساعد نتائج الدراسة على الوصول إلى إجراءات لمنع حدوث هذه المشكلة التي تسمى الإجهاض التلقائي.

وعرض الباحثون منذ مدة طويلة انه أثناء فترات التوتر يطلق الدماغ العديد من

الهرمونات بما في ذلك واحد يدعى CRH وكشفت دراسات سابقة أن الحوامل اللواتي انجبن أطفالا قبل موعد الإنجاب أوأطفالا ذوي أوزان متدنية كانوا يعانون من مستويات عالية من هرمون CRH في الدم. كذلك أظهرت دراسات أخرى أن الحوامل اللواتي يعانين من التوتر يتعرضن لأخطار اكبر من الإجهاض التلقائي وهرمون CRH يفرزه الدماغ استجابة للتوتر ويوجد في رحم المرأة الحامل والمشيمة مما يثير تقلصات في الرحم ويؤدي بالتالي إلى الإجهاض.

لكن الدراسات الجديدة تشير إلى أن الهرمون وغيره يمكن أن يفرز في أجزاء أخرى من الجسم حيث يستهدف بشكل خاص الخلايا الثديية مما يحدث نوعا من الحساسية وتوجد الخلايا الثديية بكثرة في الرحم وفي أثناء فترة التوتر فان إفراز هرمون CRH يجعل الخلايا الثديية تفرز مواد تسبب الإجهاض التلقائي.

ولكشف العلاقة بين الهرمون والحساسية أجرى الباحثون دراسة شملت ٢٣ امرأة ووجدوا أن النساء اللواتي تعرضن للإجهاض التلقائي عدة مرات كن يعانين من مستويات عالية من هرمون CRH وهرمون آخر يسمى يوروكورتين في أنسجة المشيمة مقارنه مع اللواتي تعرضن للإجهاض التلقائي مرة واحدة أولم يتعرضن لذلك أبدا.

قال رئيس الفريق الباحث، "أن ما يدعوالاستغراب بشكل خاص وجود كميات كبيرة من هرمونات التوتر في الخلايا الثديية في الرحم فقط وليس في دم المرأة الحامل مما يضيف المصداقية إلى النظرية القائلة بان الهرمون يمكن أن يفرز محليا".

أما بالنسبة لحدوث الإجهاض المتكرر والذي يعد مشكلة كبيرة تؤثر على الحياة الزوجية وتسلب سعادة الزوجية ويجب أن تؤخذ المشكلة بعين الاعتبار من قبل الطبيب المعالج سواء في المراكز الصحية أوالمستشفيات الكبيرة خصوصا إذا كان عمر المريضة يناهز الثلاثين عاما لأنه مع زيادة عمر المرأة تقل نسبة نجاح الحمل وتزداد نسبة الإجهاض.

يعرف الإجهاض في الطب بأنه خروج محتويات الحمل في أي وقت قبل الأسبوع ٢٤ ويحدث بنسبة ١٠ ـ ١٥% بين الحوامل ويعد الإجهاض متكررا عند حدوث ثلاث أوأكثر من الاجهاضات المتتالية ونسبته ١ . ٢% بين الحوامل.

وإن فرص استمرار الحمل تبلغ حوالي٨٠% لمن تعرضت لإجهاض واحد وتقل هذه النسبة إلى ٧٠% لمن تعرضت للإجهاض ثلاث مرات متتالية، وتعتبر النسبة أفضل

بكثير لمن سبق لها الحمل واستمر عندها الحمل.

هناك أسباب عديدة لهذا الإجهاض المتكرر ونسبته حوالي ٣٠% وتكون النسبة الباقية غير معروفة ولا يمكن تشخيصها عن طريق الفحوص المعملية.

أحد هذه الأسباب هووجود خلل في البويضة الملقحة وأهمها خلل في الصبغات (الكروموسومات) الوراثية، ويعتبر من أهم أسباب الإجهاض التلقائي إذ أنه يشكل نسبة ٦٠% - ٧٠% من الحالات، وهذا الخلل في الكروموسومات يؤدي إلى حدوث عيوب خلقية في الجنين مما يؤدي إلى عدم تقبل الرحم لهذا الحمل وطرده، ويتم تشخيص هذه الحالات عن طريق فحص خاص مجهري لصبغات الوالدين وأحيانا للجنين المجهض بمختبرات خاصة.

السبب الثاني هووجود عيوب خلقية بالرحم أووجود أورام ليفية مما يجعل الرحم غير قادر على احتواء الجنين. أيضا ضعف العضلة القابضة لعنق الرحم يؤدي للإجهاض بعد الشهر الرابع، ويكون سبب هذا الضعف إما خلقيا أونتيجة تمزق بولادة سابقة أوعملية توسيع أومعالجة جراحية سابقة لعنق الرحم. وعند الفحص يتبين أن عنق الرحم أقصر وأوسع من المعتاد مما يجعل العضلة غير قادرة على احتمال ثقل الجنين.

ويتم تشخيص هذه الحالات عن طريق عمل الأشعة الصوتية للجهاز التناسلي. ويمكن أيضا عمل منظار استكشافي للرحم لتشخيص العيوب الخلقية وإصلاحها، أما حالات ضعف الرحم فيتم إصلاحها عن طريق عمل رباط لعنق الرحم تحت البنج خلال الحمل بعد الشهر الثالث.

ومن الأسباب الأخرى حدوث عدوى فيروسية (الحصبة الألمانية والهربس)، وبكتيرية (الزهري)، وداء المقوسات للمرأة الحامل قد تكون مسؤولة عن حدوث الإجهاض المتكرر، ولكن جرثومة كلاميديا واليروبلازما تعتبر من أهم الجراثيم المسببة لتكرر الإجهاض.

أما علاجها فيتم عن طريق أخذ جرعات من المضادات الحيوية بعد عمل الفحوص المخبرية سواء عن طريق عمل مزرعة للجرثومة أوعن طريق قياس الأجسام المضادة للجرثومة بالدم.

اضطراب جهاز المناعة ووجود أجسام مضادة بدم المرأة الحامل تدعى (APA) (انتي فوسفوليد انتي بودي) تؤدي للإجهاض المتكرر بنسبة ٥% ويتم تشخيصها عن

طريق قياس نسبة هذه الأجسام المضادة. أما معالجتها فتتم عن طريق أخذ حقن الهيبارين أوإعطاء حبوب الأسبرين أوأخذ الاثنين معا. إن إفراز هرمون البروجسترون من المبيض ضروري لتدعيم بطانة الرحم وتهيئتها لاستقبال الجنين حتى تتمكن المشيمة بعد ذلك من هذا الدور الذي يتم عادة بعد الأسبوع الثامن من الحمل. ووجد أن نقص الهرمون يؤدي إلى بعض حالات الإجهاض المتكرر وليس كلها وتكون معالجتها عن طريق إعطاء التحاميل (بروجسترون) للحامل بعد توضيح إمكانية عدم فعالية هذه الطريقة لأنها لم تثبت عن طريق الدراسات.

الأمراض العامة المزمنة غير المعالجة وغير المشخصة مثل مرض السكري وكذلك زيادة أونقصان إفراز الغدة الدرقية تؤدي إلى حدوث بعض حالات الإجهاض المتكرر.

وجد أيضا أن التدخين وشرب الخمور يؤدي إلى تكرار الإجهاض، وتزداد النسبة والخطورة بمقدار الكمية، ولذلك على المرأة الحامل أخذ الحيطة والبعد عن هذه المواد السامة.

التدخين يؤثر على الذاكرة

وجد الباحثون في كلية لندن الجامعية، أن المدخنين يظهرون تدهورا سريعا في أدائهم في فحوصات واختبارات الذاكرة اللفظية والكلمات خلال فترة الأربعينات إلى الخمسينات من حياتهم، مقارنة بغير المدخنين. وأشار الخبراء في المجلة الأمريكية للصحة العامة، أن العلاقة بين التدخين وفقدان الذاكرة ظهرت أقوى وأوضح بين الأشخاص الذين دخنوا أكثر من ٢٠ سيجارة يوميا، وبقيت هذه العلاقة موجودة حتى عندما ضبطت عوامل مؤثرة أخرى مثل الحالة الاقتصادية والاجتماعية والجنس والحالة الصحية والمرضية.

ومن جانب آخر، يخير الباحثون الأميركيون من جامعتي ستانفورد وبوسطن المدخنين بين السجائر وآلام المفاصل والشلل الناجم عن نزف الدماغ. فهناك كما يبدوعلاقة واضحة بين التدخين والتهاب المفاصل والسكتة الدماغية.

ويقول أطباء جامعة ستانفورد إن روماتيزم المفاصل يصيب المدخنين أكثر مما يصيب غير المدخنين، لكن العجيب في الأمر هوأن هذا الأمر لا ينطبق على المدخنات وإنما على المدخنين فقط. وتوصلوا إلى هذه النتيجة بعد دراسة شملت ٢٦٠٠ متطوع وعملوا خلالها على مقارنة "تاريخهم النيكوتيني" بنسبة تعرضهم لعوامل الإصابة

بالتهاب المفاصل. والمعني بعوامل الروماتيزم هي الأجسام المضادة التي تحفز نظام المناعة ضد جسم الإنسان.

وثبت للباحثين أن عوامل الروماتيزم في دماء المدخنين هي أعلى بشكل ظاهر منها في دماء غير المدخنين. لكن هذه النسبة لم تفرق بين النساء المدخنات وغير المدخنات. وفسر الباحثون هذه الظاهرة باحتمال أن تقوم الهورمونات النسائية بقطع سلسلة عملية تكون عناصر الروماتيزم في الجسم. من ناحيتهم يقول الباحثون الأميركيون من بوسطن إن دراسة طويلة الأمد شملت ٢٢ ألف طبيب في الولايات المتحدة تثبت أن تدخين علبة سجائر في اليوم تضاعف مخاطر تعرض الإنسان لخطر النزف الدماغي.

وحسب مصادر طبيب الأمراض العصبية المتخصص كلاوس بيرغر من معهد " الأوبئة والطب الاجتماعي" في جامعة مونستر فإن مقارنة عادات التدخين بالعلاقة مع أمراض الدماغ كشفت عن العلاقة بين النيكوتين والنزف الدماغي في الحال.

ولخص بيرغر نتائج الدراسة بالقول إن التدخين يلعب دورا مهما في حدوث النزيف الدماغي الذي يشكل نسبة ١٥ ـ ٢٠% من حالات السكتة الدماغية. وتشير الدراسة إلى أن الأطباء الذين كانوا يدخنون علبة سجائر واحدة في اليوم ارتفعت لديهم مخاطر النزف الدماغي بنسبة ٦٠%. أما الأطباء الذين كانوا يدخنون أكثر من علبة سجائر في اليوم فقد تعرضوا لمخاطر نزف بالدماغ بنسبة ٢١٠%. ومن جانب آخر، أظهر بحث طبي جديد أن النساء المدخنات يعانين، بسبب التدخين، من مشاكل في التنفس والجهاز التنفسي أكثر من الرجال.

وتبيّن من البحث، الذي شمل نحوستين ألفا من الرجال والنساء، أن ظواهر صعوبة التنفس، مثل السعال والحشرجة وقصور النفس أثناء الشهيق والزفير، كانت أعلى عند النساء المدخنات مقارنة بالمدخنين. يشار إلى أن المدخنين، رجالا ونساء، يعانون من مشاكل التنفس بمعدل يقترب من الضعف قياسا بغير المدخنين، وكلما طالت فترة التدخين كلما كبرت فرص التعرض لهذه الظواهر. وتستنتج الدراسة، التي قادها فريق بحث علمي من معهد الصحة العامة في النرويج، أن النساء أكثر عرضة لمضار التدخين وعوارضه الظاهرية مقارنة بالرجال. وتشير الدراسة إلى أن النساء يُستدرجن إلى السجائر بنفس درجة ضغط العادة الادمانية التي يتعرض لها الرجال، وإذا ما أخذ

تباين الحجم بين الاثنين، فهذا يعني أن درجة تركيز مكونات ونواتج السيجارة في المجاري الهوائية عند المرأة ستكون أكبر وأكثر خطورة.

وأظهر البحث أيضا أن معدلات الإصابة بالربوعند المدخنات كانت أكبر من الرجال، وكلما زاد عدد السجائر التي تدخنها المرأة ازداد تعرضها لمرض الربو.

كما ظهر أن نسبة الربوتبلغ نحومن عشرة في المائة عند المدخنات اللاتي يستهلكن أكثر من عشرين سيجارة يوميا، بينما لم تظهر نفس النتائج عند الرجال.

ويتوقع الباحثون أن تكون نتائج الدراسة مؤشرا لما قد يحدث في المستقبل، إذ من المحتمل أن تكون المرأة المدخنة، وخصوصا الشابة، عرضة للإصابة بأمراض خطيرة ذات علاقة بالتدخين بسبب قلة مقاومتها قياسا بالرجل. وتقول الباحثة بيتي وايت الاستشارية في وزارة الصحة البريطانية إن هناك دلائل متزايدة على كون النساء أكثر عرضة لمخاطر التدخين مقارنة بالرجال. هذا ويذكر أن دراسات وبحوث سابقة كانت بينت وجود زيادة وبنسبة واضحة في الأمراض الخطيرة الناتجة من التدخين، hالتهاب القصبات الحاد وانتفاخ الرئة، عند النساء مقارنة بالرجال.

الذكاء موروث وليس مكتسب

تشير آخر الدراسات العلمية، أن درجة الذكاء تتحدد مسبقا، وقبل الولادة، في دهاليز الأساس الأول للتكوين وهوالمورثات، أوالجينات. وتقول الدراسة، التي أجريت على عدد من التوائم، إن قابلية تحقيق درجات عالية في اختبارات الذكاء ترتبط بكثافة ودرجة ما يعرف بالمادة الرمادية في الدماغ، وهوأمر يعتمد إلى حد كبير على المورثات. وخلص العلماء إلى أن الاختلافات أوالتشابهات الجينية هي العامل المحدد للفروق بين الأفراد في أشياء ذات أهمية حاسمة كدرجة الذكاء، والقدرات اللغوية. ويشير الفريق العلمي إلى توصله لنتيجة مفادها أن التركيب الهيكلي للدماغ يخضع لسيطرة جينية صارمة وواسعة وهذه السيطرة تغطي المناطق المسؤولة عن نموتطور المقدرة اللغوية والذكاء الموجودة في مقدمة الدماغ. والفريق العلمي برئاسة الدكتور بول تومبسون من جامعة كاليفورنيا في لوس انجليس، وقد نشر مقتطفات من دراسته في العدد الأخير من مجلة نيتشر نيوروساينس العلمية.

الندوات والمؤتمرات

المؤتمر العاشر للأطباء النفسانيين العرب

بغداد العراق – ٣–٤/ ديسمبر ٢٠٠٣

المؤتمر الفرنسي الجزائري الأول للطب النفسي

باريس فرنسا – ٣–٤/ أكتوبر ٢٠٠٣

المؤتمر العالمي الخامس والعشرون للصرع

تونس – ١٢–١٦/ أكتوبر ٢٠٠٣

مؤتمر الجمعية العالمية للصحة النفسية
ولجنة الطب النفسي العبر ثقافي بـ ج ع ط ن

إيطاليا / نارني ٩–٢٠٠٣/٠٦/١٥

الملتقى الدولي الفرنكفوني الثالث للأطباء الخواص

سوسة، تونس – ١–٣/ ماي ٢٠٠٣

المؤتمر الخليجي الأول للصحة النفسية

مدينة الكويت الكويت – ٨–١٠/ ديسمبر٢٠٠٣

المؤتمر الدولي الأول للإنترنت والطب عن بعد

القاهرة مصر – ١٢–١٤/ مارس ٢٠٠٣

لقاء مع
مؤلف كتاب الحرب النفسية في العراق
الدكتور محمد أحمد النابلسي

الحرب العراقية لم تكن بحال حربا تقليدية، ونهايتها تطرح الأسئلة التي قد لا نجد لها الأجوبة في المدى المنظور، والمؤكد أن الجانب النفسي لهذه الحرب كان طاغيا، بل أن هذه الحرب كانت أول امتحان لقدرة ثورة الاتصالات على تخطي سبل حجب المعلومات وتقنيتها. وهذا ما يعطي للقراءة النفسية لهذه الحرب أهمية مميزة، لذلك التقينا الدكتور محمد أحمد النابلسي لمناقشة حول كتابه الصادر عن مركز الدراسات النفسية تحت عنوان: الحرب النفسية في العراق.وكان لنا معه اللقاء التالي:

● **سيل من الأسئلة تطرحه الحرب العراقية بدون أجوبة وكتابك يحاول تقديم رؤية تطرح أسئلة جديدة. أريد أن أبدأ بالسؤال عن سبب قولك بلا عسكرية هذه الحرب، حتى إنك اعتبرتها حربا افتراضية؟**

□ أنا لم اعتبرها حربا افتراضية ولكني عدت إلى كتاب " انبثاق سياسة المعرفة " للاستراتيجيان الأميركيان روزنفلت وأركيلا ووجدت أن الحرب العراقية تستجيب لمبادئ وشروط ما يسميه المؤلفان بالحرب الافتراضية.

● **ما هي هذه الشروط والمبادئ ؟**

□ يعتبر المؤلفان أن عصر الحرب العسكرية التقليدية قد ولى. إذ لم يعد النصر للأقوى بل أصبح النصر لمن يستطيع أن يربك عدوه إرباكا أكبر. وحوادث ١١ أيلول لم تتحول إلى الكارثة إلا بسبب الإرباك الذي سببته للحكومة الفيدرالية وهوإرباك مستمر بالمناسبة حتى الآن. فحوادث الثلاثاء بحد ذاتها لا تشكل خسارة كبرى. إذ

تخسر الولايات المتحدة ألف شخص أسبوعيا في حوادث السير. وهي تخسر مثلهم في حوادث أخرى وبمعنى آخر فإن ضحايا ١١ أيلول كانوا من حيث عددهم مساويين لحوادث أسبوع عادي من حياة الولايات المتحدة. هذا من حيث الحجم الموضوعي للحوادث، لكن أصداءها المعنوية جعلتها كارثة عبر الإرباك والمفاجأة. حيث تنتمي حوادث الثلاثاء الى الكارثة الاصطناعية التي يصنعها عدومحدد ومهدد. ومن هنا تضاعف ردود الفعل ورغبات الانتقام ومعهما خوف التكرار.

● كيف تطبق ذلك على الحرب العراقية؟

□ قلنا أن غاية الحرب الافتراضية هي إرباك العدو، ولقد عملت أميركا على توليد هذا الإرباك عبر جميع القنوات والأساليب المتوافرة لها. وهنا نحتاج إلى مراجعة انتقائية للمعلومات الأميركية المسربة أثناء الحرب لنتوقف عند الإرباك الناجم عن التسريبات التالية:

– تعجل الأميركيون بدء الحرب بغارة تهدف لاغتيال صدام وأعضاء قيادته.

– تبدأ الحرب بتحرك بري من الكويت شمالا باتجاه الجنوب العراقي بما تسبب بإرباك كبير بسبب الاعتقاد بعدم تحريك القوات البرية الحليفة قبل التمهيد لها بقصف عنيف.

– حافظ الأميركيون على تكتم إعلامي شبه كامل خلال الأسبوعين الأولين للحرب، ذلك أن أخبار الحرب في تلك الفترة كانت ستربك الداخل الأميركي.

– في الأسبوع الثالث بدأ الإعلام الأميركي بتسريب معلومات عن وجود اتصالات مخابراتية مع مسؤولين عراقيين كبار، إلى أن أعلنها رامسفيلد. وإن كان واضحاً قبلها ان الاميركيين ينتظرون تحركاً ما في الداخل العراقي. كما بدى واضحاً أنهم غير مستعدون لخوض أية معارك تقليدية.

– اضطر الأميركيون لتغيير خطط الحرب الأساسية كي يتجنبوا الدخول في قتال تقليدي، ولعل اللجوء إلى القنابل العنقودية وتخطي مبدأ الحرب النظيفة، كان بهدف تجنب القتال التقليدي.

– التفاف الجيش الحليف على المدن العراقية المقاومة وعدم محاولته دخولها تجنبا للوقوع في شرك معارك عسكرية تقليدية.

– التشكيك المستمر بموت صدام، أي قطع رأس النظام، والإرباك الشديد المصاحب لذلك.

● **المعلومات المتناقلة تشير إلى معركة طاحنة في المطار فهل كانت معركة المطار المعركة الوحيدة في هذه الحرب؟**

□ أية معركة منها فقد جرت معركة المطار على مراحل وفق ما تفترضه الحرب الافتراضية ،المرحلة الأولى دفع أعداد قليلة من الجنود لتوريط العدوفي معركة افتراضية تجعله يكشف مواقعه، وعندها يتم قصف هذه المواقع ، بحيث يصبح قدوم الموجه الثانية من الجنود ممهدا، ثم يحصل الاحتلال من قبل الموجة الثالثة. والواقع أن هذه المعركة كانت صدمة للأميركيين إذا صدقت صحة الروايات حول عدد قتلاهم لكنها كانت كارثة للعراقيين حيث تسبب سقوط المطار بموجة وبائية من الذعر والإرباك داخل بغداد، وتزامنت هذه الموجه مع قصف مجمع المنصور وإعلان موت صدام فيه، مما جعل بعض كبار الضباط يتراجعون عن المواجهة ويسرحون جنودهم.

● **ما هوتقويمك للإعلام العراقي وهل ساهم بإحداث موجة الإرباك؟**

□ أنت تقاتل إلى جانب مدنيين أصحاب أرض في مواجهة مستعمر يريد احتلال الأرض ،وهذا يعني أنك في وضع يحظى بدعم شعبي وبتغاضي عن خلافات الماضي يزداد مع زيادة حدة القصف والتخويف. لذلك فإنه من السهل أن تتفوق في الحرب النفسية والإعلامية عندما تكون في هذه الوضعية. واليوم إذ نراجع التصريحات نجد أن الإعلام العراقي كان في البداية أكثر مصداقية من الأميركي ،ولكن ذلك لا يعني انعدام الأخطاء، حيث عرض التلفزيون العراقي صورا لبعض الجواسيس العراقيين ممن كانوا ينقلون معلومات مخابراتية عبر هواتف الثريا، وكان هذا الإعلان مربكا لأهالي بغداد ومثارا لإرتباك سكانها ممن باتوا يشكون بكل حملة هذه الهواتف.

● **ما هوتحديداً دور الطب النفسي وعلومه في الحرب النفسية؟**

□ تلقى مسؤوليات الحرب النفسية والحرب النفسية المضادة على عاتق إختصاص الطب النفسي العسكري. وهوالفرع المسؤول نظرياً عن إنتقاء المقاتلين والعاملين في أجهزة الأمن والدفاع المدني والإسعاف والإنقاذ وغيرها عبر

اختبارات للشخصية. وهي اختبارات تساعد في قياس قدرة التحمل لدى الفرد وصلاحيته للأدوار المطلوبة منه. وفي مرحلة الاستعداد للحرب يكون الطب النفسي العسكري مسؤولاً عن متابعة محاولات الاختراق النفسي للعدو. ومن هذه المحاولات الشائعات والنكات وما يسمى بالطابور الخامس وتوابعه التجسسية في الداخل والخارج. مع العمل على ترسيخ محاولات اختراق مضادة للعدو.

● **هل ينتهي هذا الدور مع بداية الحرب الفعلية؟**

□ مع البداية الفعلية للحرب يتضاءل دور الاختصاص ويتراجع لصالح الدور القتالي العسكري. فتنحصر المسؤولية النفسية في علاج صدمات الحرب لدى المقاتلين وتحصين الجمهور من نوبات الذعر الجماعية. إضافة لمراقبة الجانب الاعلامي والجماهيري للحرب. حين تزدهر شائعات الحرب وفي مقدمتها شائعات التمرد والخيانة.

● **كانت شائعة هروب طارق عزيز مثالاً عملياً على شائعات الخيانة. فهل تصرف الاعلام العراقي بصورة صحيحة مع هذه الشائعة؟**

□ المسألة هنا تتعلق بالقدرات الاعلامية. ولما كان التفوق الاميركي كاسحاً فقد كان من الأفضل استغلال قوة العدو ضده كما في لعبة الجودو. مثال ذلك أن تتم تغذية الشائعة باطلاق شائعة مكملة لها تربك اعلام العدو. كمثل الحديث عن اعدام طارق عزيز بعد محاولة الهرب ، وهي شائعة يضطر العدو لتبنيها، ويعلن بعدها تكذيب الشائعة. وكذلك تعلن اصطناعية الشائعة المكملة بما يحرج جهاز الشائعات المعادي ويجعله عرضة للسخرية ولفقدان المصداقية.

● **لكن الكتاب لا يتطرق الى هذه التفاصيل والشروحات فيبدوناقصاً. فهل تنوي اكمال هذه النواقص في طبعة لاحقة؟**

□ إن هذه التفاصيل ستشكل مواد دراسات نفسية عسكرية وغيرها على مدى سنوات قادمة. وهذه الدراسات ستزدهر مع تبين بعض أسرار وخلفيات هذه الحرب. لذلك رأينا أن نكتفي بعرض ما يمكنه أن يشكل مدخلاً لفهم مراحل الحرب النفسية العراقية. مع ملاحظة أننا لسنا قادرين على نشر بعض التفاصيل الدقيقة والحساسة لأسباب مختلفة.

● هل يمكن عرض هذه الأسباب؟

□ وجدنا انه من غير المناسب ان ننشر التفاصيل عن دراستنا لشخصيات بوش وصدام. لذلك اكتفينا بنشر الملامح العامة لهاتين الشخصيتين دون الدخول في التفاصيل. وذلك لجملة أسباب منها عدم الرغبة في تقديم خدمات سهلة للمخابرات العاملة على تحليل سياقات الحرب النفسية وتفاصيلها وربطها بشخصيات القادة السياسيين في زمن الحرب.

● ما هي الإضافات التي تراها ضرورية للطبعة التالية للكتاب؟

□ مبدئياً أكتفي بالعرض الحالي للمعلومات. وبإنتقاء الصالح منها للنشر. والإضافات يمكنها أن تأتي مع تسرب معلومات جديدة عن هذه الحرب وعن أهدافها القريبة والبعيدة الأمد.

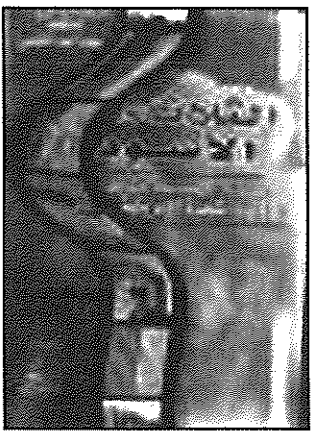

الثلاثاء الاسود

خلفية الهجوم على الولايات المتحدة الاميركية

المؤلف: محمد احمد النابلسي

الناشر: دار الفكر/ بيروت ـ دمشق/ ٢٠٠٢

متوافر للبيع على الانترنت/ الفرات/ النيل والفرات/ ادب وفن.

لقد كان للهجوم على الولايات المتحدة الاميركية في الحادي عشر من ايلول ٢٠٠١ وقع الصاعقة على المجتمع الاميركي والدولي. ذلك انها المرة الاولى التي تتعرض فيها الولايات المتحدة الى هجوم على رموزها الاقتصادية والعسكرية المتمثلة في مركز التجارة الدولي والبنتاغون وكادت طائرة من الطائرات المهاجمة ان تصل الى البيت الابيض لولا انها اسقطت قبل وصولها الى واشنطن.

الانوار: .. من المفاجآت المتوقع لبوش مواجهتها قيام اضطرابات داخلية في الولايات المتحدة.. مقالة في ١/٣/٢٠٠١ (أي قبل شهر واحد من حوادث سينسيناتي)

.. ان الولايات المتحدة لن تكون بلدا آمنا خلال السنوات المقبلة. فهذا البلد سوف يعرف سنوات قادمة شديدة الصخب تذكر بصخب العشرينات من القرن الماضي...

نحو مشروع معلوماتي نفسي عربي على شبكة الإنترنت

الدكتـور جمـال التركـي
E.mail: turky.jamel@gnet.tn

الملخص :

ونحن على عتبة الألفية الثالثة أصبح لزاما على أخصائيي العلوم النفسية في العالم العربي ولوج عالم المعلوماتية والإنترنت وتطويع أدواتها وبرمجياتها لخدمة هذا الاختصاص ولا عذر لنا في تخلفنا عن اللحاق بثورة المعلوماتية وفي هذا الإطار يدخل سعينا لتأسيس مشروع على شبكة الإنترنت. من خلال هذا البحث نعرض للطرق والوسائل التي توخيناها للاتصال بالأطراف المعنية سواء من أهل الاختصاص (الأطباء والأخصائيون) أومن المهتمين بالعلوم النفسية (الجمعيات، المجلات، دور النشر، أقسام علم النفس والطب النفسي بالجامعات العربية)، ثم نقدم الاستنتاجات الأولية والتي جاءت مشجعة ومتحمّسة للمشروع من جميع الأطراف، كما نعرض بصفة مفصّلة للطموحات والأهداف المتمثلة أساسا في إعداد: دليل العناوين الإلكترونية، دليل الأطباء والأخصائيين النفسانيين، دليل الجمعيات النفسية العربية، دليل المجلات والدوريات العربية النفسية، دليل المكتبة _لنفسية العربية، دليل أقسام علم النفس والطبنفسي بالجامعات العربية، بنك الأبحاث النفسية الأكاديمية والجامعية، دليل المؤتمرات النفسية العربية العالمية، صفحة المعجم الشبكي للعلوم النفسية، دليل الطالب العربي في العلوم النفسية، دليل مراكز الاستشفاء الطبنفسية العربية، دليل مراكز الأبحاث النفسية العربية، دليل المريض

النفسي العربي، دليل الوظائف النفسية العربية، دليل النشر الإلكتروني النفسي العربي إضافة إلى صفحة الروائز والاختبارات النفسية العربية.

مقدمـــة

اقتحمت المعلوماتية مجتمعنا في الربع الأخير من القرن العشرين، مقدّمة خدمات في غاية الأهمّية، مجدّدة العلوم ومحدثة تغييرا في العقليّات. ولم يكن الميدان الطبّي بمعزل عن هذه الثّورة المعلوماتية حيث وصلنا إلى نقطة اللا عودة يكون فيها موقع الطّبيب الرّافض لخدمات الإعلامية في وضعيّة متخلفة شأنه شأن الأطبّاء الذين رفضوا استعمال السّمّاعة الطبّية في عهد ليناك.ذلك لما تحمله ثورة الاتّصالات من وعود التّغيير المرتكزة على سرعة نقل المعلومات، حيث تكتسب المعلومة قيمة متضاعفة بمضاعفة سرعة انتقالها الطرق والوسائل يعود التفكير لإعداد هذه الصفحة إلى منتصف التسعينات (بداية عهد انتشار الإنترنت) كانت هذه الفكرة تعتبر حلما بعيد المنال إن لم نقل أنها من باب الترف الفكري فأنّا لنا نحن العاملين في ميادين العلوم النفسية في الوطن العربي والمنهمكين ليل نهار بين العيادات والمصحات لمعالجة المرضى النفسيين أوبين أروقة الجامعات للتدريس ،أن نفكر في المعلوماتية وأدواتها وما يمكن أن تقدمه لنا من خدمات يعود نفعها على الأخصائي والمريض والطالب.وفي ظل انشغالنا بهموم هذا الإختصاص كانت المعلوماتية تكتسح جميع ميادين المعرفة وكانت البرمجيات تتحكم في كافة الأجهزة المسيرة لحياتنا وإذا بشبكة الإنترنت تمسك قبضتها على كافة مصادر المعلومات مقدمة خدمات في غاية التنوع والثراء حتى أصبح بإمكانك متابعة الأخبار، الدراسة، التسوق، حجز تذاكر الطائرات، تبادل البريد، متابعة المؤتمرات العالمية،إنطلاقا من كمبيوتر شخصي مرتبط بخط هاتفي وأنت لم تغادر مكتبك أوغرفتك. وبدأت ميادين ومجالات اهتمام شبكة الإنترنت تتسع وتتسع لتشمل أغلب ميادين الحياة إن لم نقل جلها.

ومع الأيام وبفضل تطور البرمجيات أصبحت المعلوماتية في متناول غير الأخصائي وبدأ البعض من أهل الاختصاص في العلوم النفسية يلجون هذا العالم المعلوماتي (الذي كان إلى زمن قريب يعد عالما مجهولا كله رموز لا يقدر على فكها غير أخصائي هذا الفرع من العلوم (طورا باحتشام وطورا آخر بحذر شديد ، فإن

امتلك أحدهم جهاز كمبيوتر تراه يتلكأ في التعامل معه، وإن اشترك في شبكة الإنترنت تجد تعامله معها لا يتعدى تبادل البريد الإلكتروني أوالتصفح العشوائي لبعض المواقع دون دليل يوجهه ويرشده.

وفي غمرة هذه الثورة المعلوماتية أصبح لزاما على الأخصائي العربي في العلوم النفسية الاستفادة إلى أقصى حد من الخدمات التي يمكن أن تقدمها المعلوماتية وشبكة الإنترنت إلى ميادين العلوم النفسية في الوطن العربي، وفي هذا الإطار يدخل سعينا لمحاولة تأسيس الصفحة العربية للعلوم النفسية cio شبكة الإنترنت لتكون مرآة عاكسة لهذا الاختصاص في الوطن العربي وأصبح هذا المشروع الذي كان مجرد فكرة بعيدة المنال لسنوات خلت قابلا للإنجاز، وبدأت معالمه تتضح أكثر وأكثر مع مرور الزمن إلى غاية بداية جانفي ٢٠٠٠ حيث بدأ الإعداد العملي لتأسيس الشبكة وذلك بالاتصال مع جميع الأطراف المهتمة بهذا الفرع من العلوم سواء عن طريق رسائل البريد الورقي أوالبريد الإلكتروني وكان دليلنا في التعرف على عناوين هؤلاء مصادر متعددة أهمها :

– كتاب «الدليل لنفسي العربي» للأستاذ محمد أحمد النابلسي والذي أصدره مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية بطرابلس لبنان ١٩٩٢

– «المجلة العربية للطب النفسي» الصادرة باسم اتحاد الأطباء النفسانيين العرب

– «الثقافة النفسية التخصصية» الصادرة عن مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية – لبنان

– مجلة «علم النفس» الصادرة عن الهيئة المصرية للكتاب.

وقد شمل الإتصال الأطراف التالية :

١– الأطباء والأخصائيين النفسانيين :

وجهنا مجموع ٣٦١ رسالة إلي الأطباء والأخصائيين النفسانيين وكان جلها بالبريد الورقي منها :

– ٢١٩ رسالة إلى الأطباء النفسانيين وكان التوزيع حسب البلد الذي يمارس العمل فيه كالآتي :

السعودية	مصر	الجزائر	لبنان	الأردن	الإمارات	سوريا	تونس	البحرين	العراق	اليمن	السودان	ليبيا	المغرب	أخرى	المجموع
٤٢	٤١	٢٣	٢٢	١٣	١٥	١١	٣٨	٦	٤	٤	٣	٢	٣	٤	٢١٩

مجموع الرسائل المرسلة للأطباء النفسيين	الردود	رجوع رسائل	بدون إجابة
٢١٩	٤٠	١٨	١٦١
%١٠٠	%١٩	%٩	%٧٢

– ١٦٦ رسالة إلى الأخصائيين النفسانيين جلها بالبريد الورقي وكان التوزيع حسب البلد الذي يمارس العمل فيه كالآتي:

المجموع	لبنان	مصر	السعودية	سوريا	الكويت	الأردن	الإمارات	قطر	تونس	أخرى
١٦٧	٤٣	٤١	٢٦	١٤	١٥	٩	٧	٥	٢	٥

مجموع الرسائل المرسلة للأخصائيين النفسيين	الردود	رجوع رسائل	بدون إجابة
١٦٧	١٧	٥	١٤٤

وكنا قد طلبنا من كل طبيب وأخصائي ما يلي :

– عنوان البريد الإلكتروني الشخصي لإدراجه ضمن "قائمة البريد الإلكتروني للأطباء والأخصائيين النفسانيين العرب" التي نسعى لإنشائها.

– السيرة العلمية ولمحة عن النشاط العملي ومحاور الاهتمامات لإدراجهم ضمن "دليل الأطباء والأخصّائيّين النفسانيين العرب".

– قائمة الإصدارات العلميّة (أبحاث، مقالات، كتب علميّة) مع ملخّصات موجزة باللّغة العربية والإنكليزية أوالعربية والفرنسية لإنجاز "بنك المعلومات النّفسيّة العربيّة".

٢– الجمعيات العربية الطبنفسية والعلمنفسية :

بلغ عدد الجمعيات المهتمة بالعلوم النفسية التي وجهنا لها رسائل للمساهمة في إعداد الصفحة ١٩ جمعية موزعة كالآتي:

– ٩ جمعيات عربية طبنفسية وهي :

– الاتّحاد المغاربي للطبّ النّفسي – الجمعيّة الأردنيّة للطبّ النفسي– الجمعيّة التونسيّة للطب النفسي – الجمعيّة العالميّة الإسلامية للصحّة النفسيّة – الجمعيّة المصريّة للصحّة النفسيّة – الجمعيّة المصريّة للطّب النفسي – المركز الوطني للصحة العقليّة – رابطة الأطبّاء النفسيّين بالخليج – جمعيّة الأطبّاء النفسيّين العراقيّين.

– ١٠ جمعيات عربية علمنفسية وهي:

– الاتّحاد العربي لعلم النفس – الجمعيّة التونسيّة لعلم النفس – الجمعيّة اللبنانيّة للدّراسات النفسيّة – الجمعيّة المصريّة للدّراسات النفسيّة – الجمعيّة النفسيّة اليمنيّة – المركز العربي للدّراسات والتدريب الأمني بالرياض – رابطة الأخصّائيّين النفسيّين في مصر – مركز الدّراسات النفسيّة والنفسيّة–الجسديّة / لبنان – مركز دراسات الطّفولة / مصر.

جمعيات طبنفسية وعلمنفسبة	جمعيات عربية علمنفسية
9	10
47%	53%
0	1

وكنا قد طلبنا من كل جمعية ما يلي :

١–عنوان البريد الإلكتروني للجمعيّة لإدراجه ضمن "قائمة البريد الإلكتروني للجمعيّات النفسيّة العربيّة ".

٢– عنوان موقع الجمعيّة على شبكة الإنترنت للتّعريف به ولإدراجه ضمن قائمة "مواقع الجمعيّات النّفسيّة العربيّة على شبكة الإنترنت ".

٣–لمحة موجزة عن تاريخ الجمعيّة، أنشطتها، برامجها، ملتقياتها، أعضائها لإدراجها ضمن "دليل الجمعيّات النّفسيّة العربيّة ".

٤– قائمة إصدارات الجمعيّة (مجلاّت، كتب، أبحاث، مقالات) مع ملخّصات موجزة باللّغة العربيّة والفرنسية أوالعربية والإنكليزية لإنجاز "بنك المعلومات النّفسيّة العربيّة".

٣- المجلات والدوريات النفسية العربية:

سعيا للتعريف بالمجلات العربية النفسية وجهنا رسائل إلى ٢٤ مجلة ودورية عربية منها المختصة في الطب النفسي وعلم النفس وأخرى علمية غير مختصة للمساهمة في إعداد الصفحة وهي كالآتي :

- ١٠ مجلات مختصة في الطب النفسي :

الثّقافة النفسيّة التخصصية/ لبنان - الصحّة النفسيّة/ اليمن- المجلة المغاربيّة للطب النفسي/ المغرب - المجلّة العربيّة للطب النفسي/ الأردن - الإنسان والتطور / مصر ، المجلة المصرية للطب النفسي / مصر ، الحوليات التونسية للطب النفسي/ تونس ، المجلة التونسية للطب النفسي/ تونس، النشرة الإخبارية للإتحاد العربي للجمعيات غير الحكومية للوقاية من الإدمان / مصر - نشرة الجمعية المصرية للطب النفسي/ مصر.

-٦ مجلات مختصة في العلوم النفسية :

الإرشاد النفسي/مصر - النفس المطمئنّة/مصر- دراسات نفسيّة/مصر- علم النفس/مصر - مجلّة الجمعيّة المصريّة للدّراسات النفسيّة/مصر ،الأخصائي النفسي العربي /مصر.

-٨ مجلات علمية - ثقافية تعرض لمواضيع تهتم بالعلوم النفسية :

عالم الفكر/ الكويت - كتابات معاصرة/ لبنان - الفكر المعاصر/ لبنان ، دراسات عربية/ لبنان (توقفت مؤخرا) - المستقبل العربي/ لبنان ، العربي/ الكويت، المجلة العربية للطفولة/ الكويت - الإبداع والعلوم/ لبنان.

مجلات مختصة في الطب النفسي	مجلات مختصة في العلوم النفسية	مجلات علمية-ثقافية تعرض لمواضيع تهتم بالعلوم النفسية
١٠	٦	٨
٩	٢	٣

وكنا قد طلبنا من هذه المجلات والدوريات ما يلي : – عنوان البريد الإلكتروني للمجلّة لإدراجه ضمن "قائمة البريد الإلكتروني للمجلاّت المختصّة أوالمهتمة بالعلوم النفسية " التي نسعى لإنشائها.

– عنوان موقع المجلة على شبكة الإنترنت للتّعريف به وإدراجه ضمن قائمة "مواقع المجلات النّفسيّة العربيّة".

– لمحة موجزة عن تاريخ المجلّة، توجّهاتها، أهدافها، لغة إصدارها مع التعريف بهيئة أعضاء التّحرير. لإدراجها ضمن "دليل المجلات النّفسيّة العربي.

– فهرس الأعداد الماضية لإنجاز "بنك المعلومات النّفسيّة العربية" مع ملخصات الأبحاث المنشورة والكلمات المفاتيح الخاصة بها.

٤– دور النشر العربية :

إن الإصدارات العربيّة في حقل العلوم النفسية تعدّ ضئيلة جدّا مقارنة سواء بالإصدارات الأجنبية في هذا الميدان أوبالإصدارات العربية في الميادين الأخرى (أدب، سياسة، تاريخ، دين ،) ومن أجل الإطّلاع والتعرف على جل الإصدارات النفسية العربيّة عملنا على الاتصال بالبريد الورقي بأكثر عدد ممكن من دور النشر وكان مجموعها ١٧٧ موزّعة حسب العربي كالآتي:

البلد	لبنان	سوريا	مصر	الأردن	السعودية	تونس	الكويت	المجموع
دور النشر	٧٢	٤٥	٤٣	٩	٤	٢	٢	١٧٨
الردود	٤	٣	٣	١	٠	٠	٠	١١
عودة الرسائل	٢٥	٥	٢	٠	٠	١	٠	٣٣
بدون إجابة	٤٣	٣٧	٣٨	٨	٤	١	٢	١٣٣

طلبنا من دور النشر ما يلي :

– العنوان الإلكتروني للدّار لإدراجه ضمن "دليل العناوين الإلكترونية لدور النشر العربية".

– عنوان موقع الدار على شبكة الإنترنت للتّعريف به ولإدراجه ضمن قائمة "مواقع دور النشر العربيّة المهتمة بالإصدارات النّفسيّة ".

– لمحة موجزة عن تاريخ الدار ،نشأتها ، توجّهاتها ،أهدافها، منشوراتها. لإدراجها ضمن " الدليل الإلكتروني لدور النشر العربيّة ".

– قائمة الإصدارات النفسيّة للدّار مصحوبة بفهرس كلّ إصدار، مع التعريف بالكاتب وبتاريخ الصّدور لإنجاز "بنك الإصدارات النّفسيّة العربيّة". مع التعريف بالإصدارات النّفسيّة الحديثة بصفة دوريّة حتّى يتمكّن المتصفّح من الإطّلاع على آخر الإصدارات في ميدان العلوم النّفسيّة.

٥– أقسام الطب النفسي وعلم النفس بالجامعات العربيّة :

رغبة في التعريف بأقسام علم النفس والطب النفسي بالجامعات العربية، نحن الآن بصدد توجيه الرسائل إلى هذه المؤسسات الجامعية طالبين منهم مشاركتنا إنجاز هذه الصفحة وإرسال المعلومات التالية:

– عنوان البريد الإلكتروني لأقسام علم النّفس/ الطب النّفسي بالجامعة لإدراجه ضمن "قائمة البريد الإلكتروني لأقسام علم النفس والطب النفسي بالجامعات العربيّة " التي نسعى لإنشائها.

– عنوان موقع الجامعة على شبكة الإنترنت لإدراجه ضمن قائمة "مواقع الجامعات العربيّة".

– قائمة أعضاء هيئة التّدريس مع عناوينهم الإلكترونية ولمحة موجزة عن دائرة اهتمامهم وتخصّصاتهم الدقيقة لإعداد "قائمة الأساتذة الجامعيين المختصين في العلوم النفسية "

– لمحة موجزة عن البرامج المعتمدة في أقسام علم النفس والطب النفسي في هذه الجامعات، مدّة الدّراسة، شهادات ختم الدروس الجامعيّة.

– قائمة الأبحاث والأطروحات الجامعيّة مع ملخّصاتها باللّغة العربية والإنكليزية أوالعربية والفرنسية لإنجاز "بنك المعلومات النّفسيّة العربيّة ".

الاستنتاجات الأوّلية

إلى حد إعداد هذه الدراسة تعتبر الردود التي وصلتنا ضئيلة مقارنة بمجموع الرسائل التي وجهناها إلى هؤلاء كما نسجّل وجود نسبة مرتفعة من البريد الراجع لأسباب عديدة)أهمّها تغيّر العنوان، عنوان ناقص، غير معروف، غادر

الجامعة،) وفيما يلي نسوق جملة من الملاحظات الأولية اعتمادا على الردود التي وصلتنا:

١- على مستوى الأطباء والأخصائيين نسجل الترحيب الكامل والإشادة بهذه المبادرة لإنجاز الصفحة العربية للعلوم النفسية، تلك هي السمة المشتركة لجميع الردود التي وصلتنا مع طلب المشاركة والمساهمة الفعّالة في إعداد الصفحة بالنسبة للبعض منهم، هذا وقد أمدّنا كل الزملاء سيرتهم العلمية وقائمة أبحاثهم ومنشوراتهم والأمر الملفت للنظر غزارة الإنتاج العلمي لأكثرهم إلا أن سوء التواصل العلمي كان سببا في جهلنا جل أبحاث هؤلاء ولعل من أهداف الصفحة المعلوماتية العمل على تحقيق التواصل بين الأخصائيين ومعرفة أبحاث الزملاء العرب.

٢- بالنسبة للجمعيات العربية الطبنفسية وأقسام علم النفس والطب نفسي بالجامعات العربية نسجل أننا لم نتلقى إلى حد الآن إلاّ إجابة واحدة وهي من مركز دراسات الطّفولة/مصر ولعل هذا الأمر يعزى إلى أن جل البريد الموجه إلى هذه الأطراف زامن فترة العطلة السنوية بالنسبة لهذه المؤسسات (شهري جويلية وأوت).

٣- بالنسبة لمجلات الطب النفسي والمجلات النفسية المختصة اتصلنا برد من المجلة العربية للطب النفسي وأرسل لنا الأستاذ الدكتور وليد سرحان (نائب رئيس التحرير) مشكورا جميع أعداد المجلة بداية من تاريخ صدورها إلى العدد الأخير وإنّا لشاكرين فضله وتعاونه معنا للإعداد هذه الصفحة وقد شرعنا في تحويل ملخصات أبحاثها إلي لغة رقمية لإدراجها بالصفحة ، كما وصلنا رد المجلة العربية للطفولة الناطقة باسم بالجمعية العربية لتقدم الطفولة حيث أمدّنا الدكتور إبراهيم حسين (رئيس التحرير) بكافّة المعلومات المتعلّقة بالمجلة والجمعية.

إننا ونحن نسوق هذه الاستنتاجات وعلى رغم الإجابات القليلة التي وصلتنا فإننا نسجل الصدى الإيجابي والوقع الطيب لهذه المبادرة من جميع الأطراف الذين تفضّلوا بالرد وفي انتظار الاتصال ببقيّة الردود مازلنا نعمل على استكشاف الأطراف التي لم نهتدي بعد للتعرف عليها والمهتمّة بالعلوم النفسية في العالم العربي للاتصال بها لمشاركتنا إعداد الصفحة حتى تشمل الصفحة جميع العاملين في المجال النفسي العربي.وإني أوجه الدعوة إلى كل عامل في حقل العلوم النفسية في الوطن العربي (الأطباء ، الأخصائيون، الجمعيات، الدوريات والمجلات ، أقسام

علم النفس والطب النفسي بالجامعات ، مراكز الأبحاث ، المشافي النفسية ، دور النشر) للاتصال بنا معرفين بأعمالهم وأبحاثهم وأنشطتهم.

الأهداف والطموحات

نطمح من وراء إنجاز شبكة على الإنترنت إلى إنجاز وتحقيق جملة من الأهداف تتمثل أساسا في إعداد المشاريع التالية :

قائمات البريد الإلكتروني

نسعى لإنشاء قائمات متجانسة حسب ميادين اهتمام جميع الأطراف وذلك لتحقيق التواصل في الزمن الحقيقي بين هؤلاء ولمتابعة أي تغيرات تطرأ على عناوينهم حتى لا تنقطع الصلة بهم وحتى يقع إثراءها بصفة دائمة بكل ما يطرأ من جديد ، وفيما يلي أهم القائمات الإلكترونية التي نسعى إلى إنشاءها :

- قائمة العناوين الإلكترونية للأطباء النفسانيين
- قائمة العناوين الإلكترونية للأخصائيين النفسانيين
- قائمة العناوين الإلكترونية للجمعيات النفسية العربية
- قائمة العناوين الإلكترونية للدوريات والمجلات النفسية
- قائمة العناوين الإلكترونية لأقسام علم النفس والطب النفسي بالجامعات العربية.
- قائمة العناوين الإلكترونية لدور النشر العربية المهتمة بالإصدارات النفسية
- قائمة العناوين الإلكترونية لمراكز الاستشفاء الطبنفسية العربية.

دليل الأطباء والأخصائيين النفسانيين

نعمل في هذه الصفحة على التعريف بالأطباء والأخصائيين النفسانيين العرب: اهتماماتهم العلمية، ميادين عملهم، تاريخهم العلمي والعملي، قائمة أبحاثهم وإصداراتهم الطبنفسية، نشاطهم الجمعياتي، مع عرض جوانب من شخصياتهم الإنسانية واهتماماتهم الثقافية (أدب، شعر، موسيقى، مسرح، رسم،) لهدف توطيد أواصر التعارف بين الأطباء والأخصائيين الذي يتجاوز حدود التعارف العلمي

إلى التعارف الإنساني الرحب الشامل لكل مجالات حياة الإنسان.وسنعمل علي أن تكون الوصلة البينية لهذه الصفحة مشفّرة بحيث لا يتمكن من الولوج إليها إلا الأطباء والأخصائيون باستعمال مفتاح العبور الخاص بها.

نسعى أن يشمل هذا الدليل جل العاملين في ميادين الصحة والعلوم النفسية حيث نعرض فيه للسيرة العلمية والعملية للأخصائيّين ودائرة اهتمامهم في نطاق الإختصاص، وكنا أرسلنا استمارة قائمة الاهتمامات الطبنفسية والعلمنفسية تتعلق بجميع ميادين العلوم النفسية طالبين من الأخصائيين الإجابة عليها بذكر اهتماماتهم العلمية واختصاصهم الدقيق للعمل علي تكوين مجموعات متجانسة من الأخصائيين حسب اهتماماتهم الطبنفسية والعلمنفسية لتحقيق التعارف والتواصل العلمي فيما بينهم، كما نسعى من خلال هذا الدليل إلى متابعة أنشطة الزملاء العرب والإطلاع على آخر أبحاثهم وإصداراتهم وإلى تحقيق التواصل المعرفي والإنساني بين الأخصائيين لربط علاقات صداقة تساهم في معرفة العمق الإنساني وما يتحلّى به الأخصّائي من صفات إنسانية.

استمارة قائمة الاهتمامات الطبنفسية والعلمنفسية

NO YES	
SCIENTIFIC INTERESTS	الإهتمامات العلمية
Affective Disorders	الإضطرابات الوجدانية
Anxiety disorders	اضطرابات القلق
Behaviour and cognitive therapies	العلاج المعرفي والسلوكي
Biological psychiatry	الطب النفسي الحيوي
Child and Adolescent psychiatry	طبنفس الطفل والمراهق
Clinical psychology	علم النفس السريري
Clinical psychopathology	الامراضية النفسية السريرية
Diagnosis and classification of psychiatric disorders	تشخيص وتصنيف الاضطرابات النفسية
Drug dependency and alcoholism	الإدمان على المخدرات والكحولية

Eating disorders	الاضطرابات الغذائية
Epidemiology of mental disorders	وبائيان الاضطرابات النفسية
Ethics of psychiatric practice and research	أخلاقيّات البحث والممارسة الطبنفسية
Forensic psychiatry	الطب النفسي الشرعي
Geriatric psychiatry	طبنفس الشيوخ
History of psychiatry	تاريخ الطب النفسي
Informatics ,Internet in psychiatr	المعلوماتية والانترنت في الطب النفسي
Mental health policy and economics	اقتصاديات وسياسة الصحة النفسية
Mental retardation	التأخر العقلي
Military and disaster psychiatry	طب نفس الكوارث والطب النفس العسكري
Neurosciences and neuropsychiatry	العلوم العصبية والطبنفسعصبي
Obsessive compulsive disorders	اضطرابات الوسواس القسري
Personality disorders	اضطرابات الشخصية
Postgraduate psychiatric education	الدراسات الطبنفسية العليا
Preventive psychiatry	الطب النفسي الوقائي
Psychiatry, law and ethics	القانون وأخلاقيات الطب النفسي
Psychological aspects of persecution and torture	المظاهر النفسية للإضطهاد والتعذيب
Psychometry in psychiatric care	القياسنفسي في الرعاية الطبنفسية
Psychoneurobiology	علم الأحياء النفسعصبي
Psychoneuroendocrinology	علم الغدد النفسعصبي
Psycho-oncology	علم الأورام النفسي
Psychopathology of expression	الإمراضية النفسية للتعبير
Psychopharmacology	علم الأدوية النفسية
Psychophysiology	علم الفسلجة النفسي
Psychotherapy and psychoanalysis	العلاج النفسي والتحليل النفسي
Public policy and psychiatry	السياسة العامة والطب النفسي

Religion and psychiatry	الدين والطب النفسي
Schizophrenia and other psychotic disorders	الفصام والاضطرابات الذهانية الأخرى
Sexual disorders	الاضطرابات الجنسية
sleep and wakefulness Disorders	اضطرابات النوم واليقظة
Somatoform disorders	الاضطرابات الجسدية المظهر
Transcultural psychiatry	الطب النفسي عبر الثقافي
Women's mental health	الصحة النفسية للمرأة

كما نسعى من خلال هذا الدليل أن يكون متطوّرا ومتجدّدا بصفة تفاعليّة مع تطوّر وضعية الأخصائي العلمية والعملية وبإضافة الأطباء والأخصائيين الشبان حديثي العهد بالتخرّج.ونأمل أن يكون هذا الدليل بعد فترة من إطلاقه على الشبكة شاملا لكل الأطباء والأخصائيين النفسانيين في الوطن العربي

ويعكس دائرة اهتماماتهم ومستوي أبحاثهم العلمية وهمومهم الإنسانية.

دليل الجمعيات النفسية العربية :

نسعى في صفحة دليل الجمعيّات إلى أن نعرّف بجميع الجمعيّات العربيّة العاملة في حقل العلوم النفسية سواء منها الطبنفسية أوالعلمنفسية أوالنفستماعية (النفسية الاجتماعية) محاولين تسليط الأضواء على أهدافها وأنشطتها معرّفين بأعضائها، ساعين إلى تعريف الجمعيّات العربية ذات التوجّهات الواحدة ببعضها لتبادل التجارب والخبرات، كما سنعمل على أن تكون صفحة الجمعيات تفاعليّة متابعة لآخر المستجدات والأحداث الجمعيّاتية.

دليل المجلات والدوريات النفسية :

نسعى في صفحة دليل المجلاّت والدوريات العربية المختصّة بالعلوم النفسيّة إلى التعريف بجل المجلاّت العربيّة سواء منها المختصّة في الطب النفسي أوعلم النفس، ساعين إلى عرض فهارس جميع أعدادها بداية من تاريخ صدورها، مع عرض ملخص موجز للأبحاث الواردة فيها والكلمات المفاتيح الخاصة بكل بحث، كما سنعمل أن تكون الصفحة متابعة لآخر إصدارات هذه الدوريات، معرّفة مع صدور كل عدد أهم الأبحاث التي يحتويها. وسعيا وراء انتشار الصحافة النفسية

المختصة سنعمل إلى جانب التعريف بهيئة تحرير هذه الدوريات وجهة إصدارها إلى تشجيع المتصفح للاشتراك بها من خلال تسهيل إجراءات الاشتراك وذلك بعرض قسيمة اشتراك كل الدوريات المختصة على الصفحة وإرشاد المتصفح عن كيفية سداد معلوم الاشتراك إلكترونيا.

دليل المكتبة النفسية العربية :

نأمل أن يعمل هذا الدليل إلى سد فراغ كبير في المكتبة العربية، فالكتاب النفسي العربي رغم ندرته يبقى مهمشا مقارنة بالإصدارات الأدبية والتراثية والدينية وغيرها، كما أنه يشكومن سوء التعريف به والإشهار المحدود الذي لا يكاد يتجاوز المدينة أوالبلد الصادر فيه وسعيا وراء تجاوز هذه النقائص الجمّة سنعمل في إطار هذه الصفحة على التعريف بجل الإصدارات النفسية العربية القيّمة سواء منها المكتوبة باللغة العربية أوالفرنسية أوالإنكليزية، حيث نعرض لملخصات محتوى الكتب مع تعريف موجز بالمؤلفين ودار النشر. كما سنعمل على تصنيف العناوين حسب الاختصاصات النفسية الدقيقة (طبنفس، علمنفس، علاجنفسي، تحليلنفسي، علمنفس الطفل والمراهق،،،) لتيسير بحث المتصفح على العناوين حسب اهتماماته. وسعيا وراء تشجيع الإصدارات النفسية الحديثة سنعمل علي إحداث جائزة سنوية لأفضل كتاب نفسي عربي صدر في السنة الجارية حيث يساهم متصفحي الموقع في ترشيحه واختياره ليفوز بجائزة الموقع (جائزة مالية تحدّدها هيئة الموقع لاحقا).

كما نهدف من خلال إنجاز هذه الصفحة إلى تأسيس نواة "بنك الإصدارات النفسية العربية" الذي يتطلّب إعداده سنوات jk البحث والتقصّي ليشمل جميع الإصدارات النفسية العربية قديمها وحديثها.

وسعيا وراء تحقيق هذه الصفحة كنا قد راسلنا دور نشر متعدّدة وطلبنا منهم مدّنا بعناوين جميع إصداراتهم النفسية مصحوبة بفهارسها وبتعريف موجز بمؤلّفيها، وإرسال نسخ من هذه الإصدارات النفسية إن أمكن ذلك حتى تتمكّن هيئة الموقع من الاطّلاع عليها وتقييم أهميّتها العلمية قبل التعريف بها في الصفحة.

بنك الأبحاث النفسية الأكاديمية والجامعية :

إن الأبحاث العربية الأصيلة في حقل العلوم النفسية رغم ندرتها تبقى مبعثرة

وغير مجمّعة، ومن خلال تأسيس هذه الصفحة نسعى لتكوين نواة لـ " بنك الأبحاث العربية الأكاديمية "حتى يكوّن قاعدة بيانات شاملة لغالبية الدراسات النفسانية، وهي مكوّنة أساسا من عناوين الأبحاث، أسماء الباحثين، الملخصات والكلمات المفاتيح الخاصة بها مع ذكر مصادرها. كما سنعمل على إدراج العنوان الإلكتروني لكاتب الدراسة (إن تيسّر ذلك) حتى يكون في إمكان المتصفّح الاتصال به لمناقشته بعض جوانب البحث أوطلب نسخة منه ، آملين أن يكون بعد سنوات مصدرا رئيسيا من مصادر البحث سواء بالنسبة للأخصائي أولكل طالب يسعى لإعداد دراسة أوأطروحة للإطلاع على أحدث الدراسات العربيّة المتعلّقة بموضوع بحثه.

يعتمد البحث في البنك الإلكتروني للأبحاث النفسية أساسا على الكلمات المفاتيح الخاصة بكل دراسة، وقد لفت نظرنا أن عديد الدراسات الأكاديمية العربية تفتقر إلى هذه الكلمات وهذه عقبة رئيسيّة نعمل على تجاوزها سواء بالاتصال بكاتب البحث (إن أمكن ذلك) لمدّنا بها، أوتجتهد هيئة الموقع في وضع كلمات مفاتيح لهذه الدراسة انطلاقا من نص البحث إن توفّر أومن الملخّص عندما يتعذّر الحصول عليه.

وفي سبيل إنجاز بنك الأبحاث الأكاديمية والدراسات الجامعية كنا قد راسلنا عديد الأطباء والأخصائيين النفسانيين وأقسام الطب النفسي وعلم النفس بالجامعات العربية طالبين منهم مدّنا بقائمة أبحاثهم العلمية مصحوبة بالنص الكامل إن أمكن أوملخصاتها مع الكلمات المفاتيح والدوريات الصادرة بها. وإننا نوجّه إلى الجامعات التي تعذّر الاتصال بهم لمشاركتنا إعداد هذه الصفحة بإرسال قائمة الأطروحات والأبحاث الخاصة بهم مصحوبة بفهارسها وملخّصاتها والكلمات المفاتيح الخاصة بها.

دليل المؤتمرات النفسية العربية والعالمية :

تهتم هذه الصفحة بدارسي العلوم النفسية (الطب النفسي وعلم النفس) في الوطن العربي. حيث نعرف بأقسام الطب النفسي وعلم النفس بمختلف الجامعات العربية ، بالمقرر الدراسي الخاص بكل كلية مع التعريف بهيئة إطار التدريس في كل جامعة ، مدة الدراسة، الشهادات الجامعية التي تمنحها عند التخرج، شروط الانتساب، معاليم الرسوم، شروط الانتساب، طاقة الإستيعاب، مع تقديم بسطة عن

آفاق سوق الشغل لهذه الاختصاصات في مختلف البلاد العربية.

دليل مراكز الاستشفاء الطبنفسية العربية :

نسعى في هذه الصفحة إلى التعريف بأهم المؤسسات الإستشفائية الطبنفسية في العالم العربي سواء منها الخاصة أوالحكومية، طرق العلاج المتبعة فيها، الطاقم الطبي، طاقة استيعابها من المرضى، تاريخ المؤسسة، نشاطها العلمي...

دليل المريض النفسي العربي : (لم يؤسس بعد)

هذه الصفحة موجهة إلى المريض النفسي العربي حيث تعرّف في صورة مبسطة أهم الأمراض النفسانية (الفصام، الاكتئاب ، الرهاب، الوسواس القهري،..) وذلك لتخليص المريض النفسي من الخرافات والشعوذات التي صحبت الاضطرابات النفسية ردها طويلا من الزمن ، كما تهدف الصفحة إرشاد المريض إلى الطرق السليمة التي ينبغي أن يتوخاها للعلاج حتى يوفر أكثر الضمانات لتحقيق الشفاء.

إن هدف هذه الصفحة أساسا توعوي ولا تسعى بأي حال إلى تقديم وصفات علاجية أوإرشادات دوائية فكل ما تسعى إليه هوإنارة طريق المريض النفسي حتى يدرك طبيعة مرضه والطريق السوي الذي ينبغي اتباعه للعلاج كي لا يتيه بين سراديب الدجالين والمشعوذين.

صفحة الثقافة المعلوماتية : (لم تؤسس بعد)

إن امتلاك قدر أدنى من " الثقافة المعلوماتية " بالنسبة للطبيب والأخصائي أصبح أكثر من ضرورة ونحن على أعتاب الألفية الثالثة، فالتعامل مع جهاز الكمبيوتر والأدوات التابعة له وفهم البرامج وكيفية الاستفادة منها لتطوير أسلوب العمل ولتطور الأبحاث النفسية يعد أمرا أساسيا فلا عذر للأخصائيين بـ " الأمية المعلوماتية"

سنعمل من خلال هذه الصفحة على تبسيط مصطلحات المعلوماتية وتشجيع الأخصائيين على امتلاك كمبيوتر شخصي والاشتراك بالإنترنت لامتلاك عنوان إلكتروني ، وكيفية إعداد صفحة ويب شخصية يعرض فيها سيرته العلمية ويعرف بشخصه واهتماماته. إنّ معرفة حد أدنى من البرامج شأن برامج معالجة النصوص،

برامج قواعد البيانات، برامج التصفح على شبكة الإنترنت، برامج إعداد صفحات الويب،. يعدّ من أبجديات الثقافة المعلوماتية، إنّ هذه الثقافة التي لم يتلقاها جل الأخصائيين في الجامعة زمن دراستهم، يمكن استيعابها بصفة تدريجية وامتلاك ناصيتها ولا خيار لنا في ذلك إن أردنا دخول هذه الألفية من الباب الكبير وإلا سنبقى في دائرة الظل في عصر العولمة، عصر محوالآخر إن لم يعلن عن وجوده ويعبّر عن ذاته وكيانه وخصائصه.

هذه الوصلة مخصّصة إلى المبتدئين الذين يرغبون امتلاك حد أدنى من الثّقافة المعلوماتيّة للتعامل مع الحاسوب، وإلى الذين لديهم قسط من الثّقافة المعلوماتيّة للارتقاء بمستواهم المعلوماتي، فهي ترشدهم عن أهم البرامج الضرورية لمعالجة النصوص ،لتقديم الأبحاث،لإعداد الجداول، لإعداد صفحات الويب شخصيّة، لاستعمال البريد الإلكتروني، كيفيّة العمل بشبكة داخليّة بلغة HTML ، كيفيّة استعمال الأجندة الإلكترونية الشّخصيّة، كما تعرض لآخر الإصدارات على مستوى البرامج ولآخر المستجدات على مستوي المعدّات إضافة إلي عرض لأهم عناوين المواقع التي تساهم في التّثقيف الكمبيوتري، ولأهم المواقع التي يمكن من خلالها الحصول علي البرامج المجانيّة.

صفحة الروائز والاختبارات النفسية :

تعمل هذه الصفحة على التعريف بأهم الروائز التي طوعت إلى البيئة العربية وتسعى إلى تشجيع برمجتها ومعالجتها معلوماتيا والتعريف بها وبأصحابها كما ستعمل في وقت لاحق

على عرض بعض الاختبارات النفسية المبسّطة على الصفحة حيث يكون بإمكان المتصفح إجرائها على الشبكة والحصول على نتيجة الاختبار للتعرف على بعض جوانب شخصيته أواكتشاف بعض سمات مظاهر الاضطراب النفسي إن كانت لديه.

صفحة منتدى الحوار للأطباء والأخصائيين :

نسعى لأن تكون هذه الصفحة التفاعلية منتدى إلكترونيا يعرض فيه الأخصائيون وجهة نظرهم حول المواضيع التي تشغل بال البعض منهم لتبادل الآراء العلمية.وسنعمل علي أن تكون محمية بمفتاح العبور حتى لا يلج إليها غير أهل الإختصاص.

دليل الوظائف النفسية العربية :

إن العقبة الكأداء التي تجابه حديثي العهد بالتخرج في ميدان العلوم النفسية تتمثل أساسا في الحصول على وظيفة تناسب اختصاصهم ومؤهلاتهم ،وهذه المسألة تعدّ أكثر حدّة بالنسبة لأخصائيي العلوم النفسية مقارنة بالأطباء النفسانيين، فحاجة العالم العربي سواء إلى الأطباء أوالأخصائيين مازالت كبيرة جدّا ، لكن ندرة المطالبة بهؤلاء الأخصائيين تعود لعدم الوعي بأهمية هذا الاختصاص في وطننا العربي وإن حدث أن طلبت بعض المؤسسات العربية هؤلاء الأخصائيين فسوء التواصل بينها وبين أخصائيي العلوم النفسية يكون عائقا رئيسيا في توظيف الطبيب والأخصائي المناسب في المكان المناسب، الأمر الذي أدى إلى ارتباك في توظيف هؤلاء. حتى أصبحنا نجد أخصائيي علم النفس في بعض البلدان العربية يقومون بوظائف أبعد ما تكون عن اختصاصهم كأن يوظفوا كأساتذة للغة العربية أوالأجنبية في بعض المعاهد أويهجرون تماما اختصاصهم إلى وظائف حرة لا علاقة لها بعلم النفس والعكس يشاهد أيضا حيث أن بعض المؤسسات توظّف أخصائيين غير مؤهلين لوظائف نفسية.

ولرأب صدع الهوة بين الأخصائيين والمؤسسات ومن أجل تحسيس المؤسسات بأهمية هذا الإختصاص نسعى من خلال هذه الصفحة إلى التعريف بالمجالات التي يمكن للأطباء والأخصائيين أن يقدموا فيها خدماتهم إضافة إلى المؤسسات الإستشفائية شأن المؤسسات التعليمية ، المؤسسات الصناعية، المؤسسات المالية، المؤسسات الإدارية ،كما نسعى إلى تعريف المؤسسات بالأخصائيين والأخصائيين بالمؤسسات من خلال عرض طلبات المؤسسات للوظائف الشاغرة لديها في مجال علم النفس والطب النفسي وأيضا من خلال عرض طلبات التّوظيف لحديثي العهد بالتخرج في العلوم النفسية حتى نوفر فرص توظيف الأخصائيين في ميدان اختصاصهم وحتى نعمل على وقف نزيف هجرة الأخصائيين ميادين العلوم النفسية بعد أن أعياهم البحث وعجزوا عن إيجاد وظائف تناسب مؤهلاتهم فكل طبيب أوأخصائي يعمل خارج نطاق اختصاصه هوخسارة لهذا الإختصاص في العالم العربي الذي نحن أحوج ما نكون فيه إلى أمثال هؤلاء لرفع مستوى اللياقة النفسية للمواطن العربي التي هي في أدنى درجاتها. وما النتائج

المزرية التي تحصل عليها الرياضيون العرب في الألعاب الأولمبية الأخيرة بأستراليا إلا دليل تردي نفسية المواطن العربي، ففي حين يحصد الآخرون الميداليات كنا نحن العرب نحصد الهزيمة تلوالأخرى وأنّي ينتصر الرياضي العربي وهومهزوم نفسيا، وهويعاني عقدا لا حصر لها.

دليل النشر الإلكتروني النفسي العربي :

إنّ النشر الإلكتروني أوالكتاب الإلكتروني يكاد يكون منعدما في العالم العربي ولا عذر لنا في تخلفنا عن هذا الميدان ونحن على عتبة الألفية الثالثة ، هذه الألفية _لمتميزة بثورة المعلوماتية ، فالكتاب الإلكتروني التفاعلي أصبح أكثر من ضرورة، ضرورة للطفل ليتعلم، ضرورة للطالب ليعمق تكوينه ، ضرورة للباحث ليبدع في بحثه. ضرورة لاختصار الزمن فالدراسة التي تتطلب سنة أوأكثر يقضيها الباحث في اللهث بين رفوف المكتبات والجامعات ومن بلد إلى آخر لجمع المصادر لا تتطلب أكثر من أسابيع معدودة ، تأتي المصادر إليه وهوفي مكتبه أمام كمبيوتره الشخصي مبحرا في الشبكة العالمية للمعلومات، متصفحا آلاف الوثائق المتعلقة ببحثه، متنقلا من موقع إلى آخر ومن مكتبة إلى أخرى مختصرا الزمن والمسافات متحصلا على مراجع لم يكن ليحلم بها لواعتمد البحث التقليدي الورقي.

إن أهمية الكتاب الإلكتروني والبحث الإلكتروني لا تلغي بأي حال الكتاب الورقي والبحث المكتبي ولكنها مكمّلة له وتقدم للأخصائي خدمات تفاعلية يعجز عنها الكتاب الورقي ، فلا التلفزيون ألغى الراديوولا الفيديوألغى التلفزيون ولا الراديوألغى الصحيفة اليومية ، فكل شكل من أشكال الإعلام والمعرفة والنشر والبحث له مكانته ولكل عصر أدواته ولغته.

سنعمل من خلال هذه الصفحة على تشجيع الأخصائيين على النشر الإلكتروني سواء كانت أبحاثا أواختبارات أوبرمجيات أوملخصات مؤتمرات أودوريات ومجلات إلكترونية سواء بواسطة الأقراص المكثفة أوعلى الشبكة. ،، ذلك أن طاقة خزن البيانات والمعلومات بالأقراص المكثفة CD أوDVD لا تقارن إطلاقا بالكتاب الورقي فقد يحوي قرص سي دي واحد ما يعادل سبعين ألف ورقة، إضافة إلى التكاليف المتدنية للنشر الإلكتروني مقارنة بالنشر الورقي. وفي هذا الإطار

نعرض في صفحة المعاجم الإصدار الكامل للمعجم المعلوماتي للعلوم النفسية الذي تجاوزت فترة إعداده العشر سنوات محتويا على أكثر من ١١٣ ألف مصطلح. وقد صدر حديثا في أقرص سي دي بإصداراته الأربع.

خاتمـــــة

إن نجاح هذا الإنجاز المعلوماتي يتطلب تضافر جهود جميع العاملين في ميادين العلوم النفسية حتى يكون مرآة عاكسة لحالة هذا الاختصاص في الوطن العربي وحتى يعرّف بالمستوى العلمي الذي وصل إليه ويساهم في ربط صلة التعارف العلمي والإنساني بين الأخصائيين.

إنّي أوجّه دعوة إلى جميع الأطباء والأخصائيين العرب المهتمين بالعلوم النفسيّة سواء العاملين منهم في الوطن العربي أوالمغتربين والذي تعذّر الاتصال المباشر بهم سواء عن طريق البريد الورقي أوالإلكتروني مشاركتنا إعداد الصفحة، بإرسال سيرتهم العلمية وقائمة أبحاثهم مع ملخصاتها والكلمات المفاتيح الخاصة بها، كما أوجّه دعوة إلى الجمعيات والمجلاّت والجامعات المختصة بالعلوم النفسية (طب نفس– علم نفس) في الوطن العربي للمساهمة معنا في إعداد الصفحة من خلال التعريف بأنشطتهم وبرامجهم وأبحاثهم. إنّ الأمل كبير في تظافر جهود جميع العاملين في ميادين العلوم النفسية في العالم العربي لإنجاز هذا المشروع المعلوماتي ونرحب بكل من يرغب في التعاون الدائم معنا ومتابعة مراحل إعداد الصفحة إلى حين إطلاقها على الشبكة.أما فيما يخص موعد عرض الصفحة على شبكة الإنترنت فليس بوسعنا في الوقت الحاضر الإعلان عن زمن محدد لأن إنجاز هذا العمل رهين مشاركة وتعاون أطراف متعددة ، ولكن سنعمل قدر الإمكان على ألاّ تطول فترة الإنجاز بفضل تضافر مجهودات الجميع.

ملاحظـات

أتقدم بالشكر والاعتراف بالفضل إلى كل من ساهم معي في إنجاز هذا المشروع المعلوماتي الذي لولا دعمهم لما جاءت هذه _لبوابة بالثراء والتنوع التي هي عليه وأخص بالذكر كل من الأساتذة محمد أحمد النابلسي (لبنان)، يحيى الرخاوي (مصر)، حسيب الدفراوي (مصر)، طارق عكاشة (مصر)، نبيل سفيان

(اليمن)، معن عبد الباري (اليمن)، سامر رضوان (سوريا)، حسان المالح (السعودية)، الزين عمارة (الإمارات)، مساعد النجار (الكويت)، وليد سرحان (الأردن)، عدنان الفرح (الأردن)، سفيان الزريبي (تونس) إضافة إلى أخصائيي البرمجة والمعلوماتية السيد ماهر اليانقي، السيد عبد السلام الحكيم والسيد عبد العزيز التركي لدعمهم المتواصل ولاجتهادهم في التغلب على صعوبات تقنية البرمجة العربية.

كما أشكر رؤساء المؤتمرات الطبنفسية والعلمنفسية سواء منهم الذين أفسحوا المجال لعرض مشروع الشبكة والمعجم الإلكتروني في ورشات العمل أوفي المحاضرات أوالذين تكرموا بدعوتي لمؤتمراتهم وأخص بالذكر من هؤلاء :

– الأستاذة سعيدة الدوكي (المؤتمر العربي التاسع للأطباء النفسانيين العرب / تونس ، ماي ٢٠٠١)

– الأساتذة آمال صادق، بديوي علام وإسماعيل الفقي (المؤتمر العربي التاسع لعلم النفس / القاهرة ، جانفي ٢٠٠١)

– الدكاترة جليل بناني ومحمد الجماعي (المؤتمر الثاني للأطباء النفسانيين الخواص الناطقين بالفرنسية / المغرب ٢٠٠٢)

– الأستاذ الدكتور يحيى الرخاوي (الندوة العلمية لجمعية الطب النفسي التطوري / القاهرة ، فيفري ٢٠٠٢)

– الدكتور سفيان الزريبي (المؤتمر الثالث للأطباء النفسانيين الخواص الناطقين بالفرنسية / سوسة ، ماي ٢٠٠٣)

– الأستاذ الدكتور عدنان العيدان الذي تكرم بدعوتي للمؤتمر الأول للصحة النفسية بالخليج (الكويت أفريل ٢٠٠٣) والتي حالت وضعية المنطقة دون انعقاده.

كما أود التعرض لسؤال طرح في عديد المؤتمرات حول مصادر تمويل المشروع وكلفته والجمعيات التي يمثلها، أما الإجابة فإن التمويل شخصي وقد اعتذرت عن قبول دعم العديد من المؤسسات ومخابر الأدوية حفاظا على استقلالية الموقع أما عن كلفة المشروع فإني أترفع عن ذكر الأرقام وأكتفي بالإشارة إلى أن إعداد الموقع كلفني زيارة عديد الدول العربية إضافة إلى العمل بمعدل أربع ساعات يوميا على مدى ثلاث سنوات كاملة مع طاقم مكون من ثلاث سكرتيرات (واحدة كامل

الوقت واثنين نصف وقت) وأخصائيي البرمجة والتصميم (٨ ساعات أسبوعيا على مدى ثلاث سنوات). أما فيما يخص الجمعيات الداعمة لهذا المشروع فهولا يعبر عن وجهة نظر أية جمعية علمنفسية وطبنفسية عربية ولكن أشيد بالدعم المعنوي والعلمي لعديد الجمعيات وأخص بالذكر اتحاد الأطباء النفسانيين العرب، المركز العربي للدراسات النفسية، جمعية الطب النفسي التطوري والجمعية التونسية للطب النفسي.

وبعد كل هذا وقبل كل شيء فالفضل كل الفضل لله سبحانه وتعالى أن وفقني ورزقني الصبر والاحتمال حتى جاء الموقع على ما هوعليه.

التحليل النفسي ماضيه ومستقبله

المؤلف: حسين عبد القادر، محمد احمد النابلسي

الناشر: دار الفكر/ بيروت ـ دمشق/ ٢٠٠٢

متوافر للبيع على الانترنت/ الفرات/ النيل والفرات/ ادب وفن.

بدأ التحليل النفسي بوصفه وسيلة جديدة لعلاج الاضطرابات النفسية والعصبية مع فرويد، الذي وضع اسس هذا العلم وآلياته وطرق ممارسته ومصطلحاته.

لكن هذا المنهج عانى ما تعانيه المناهج الفكرية حين تنتقل من المؤسس الى اتباعه ومنهم الى مناطق جغرافية شتى تختلف مرجعياتها الفكرية والاجتماعية، لذلك تباينت الرؤى والافكار والتصورات حول القضايا الواحدة، بالرغم من بقاء المجرى الفكري الاساسي الذي يغذي كل هذه الروافد واحدا.

في هذه الحوارية المتميزة يقدم لنا عالمان جليلان من علماء التحليل النفسي للرؤية الواضحة والعميقة لهذا العلم الذي يعد واحدا من العلوم الاساسية التي اثرت في القرن العشرين وما زالت فاعلة الى الان. فاوضحا المعالم الاساسية للتحليل النفسي ومسيرته التاريخية وطرقه وتقنيته والتيارات التي نشأت عنه، ومن هم تلاميذ فرويد الذين ابدعوا مدارس جديدة في التحليل النفسي، واين وصلت الابحاث المستمرة لهذا العلم؟ ومن العلماء المعاصرون، وما هي اسهاماتهم في المجالات الفكرية من فنون وآدب وفلسفة.

التعاطف: فن الإحساس بالآخر

هايكو إيرنست

ترجمة أ. د. سامر جميل رضوان

متى نستطيع أن نقول بالفعل لشخص آخر " أنا أفهمك " أو " أشعر بما تحس به" أو"أفهم ما يدور بداخلك"...عندما نكون حساسين. التعاطف Empathy هو أكثر من مجرد المشاركة الوجدانية Sympathy – إنه القدرة على الإصغاء والتبصر بهدف التعرف على أفكار ومشاعر الآخر. وتعد هذه القدرة مولودة وليست مكتسبة ومع ذلك فإننا قليلاً ما نستخدمها.

" أشعر بخوفكم I can feel your pain "، قالها بل كلنتون بعيون مغرورقة بالدمع في حديث مع أسرة إحدى ضحايا انفجار. وفي هذه الجملة، التي كان ينطق بها بصور مختلفة في مناسبات مشابهة، يعتقد المراقبون والمحللون أنهم اكتشفوا سر الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية؛ والذي يتمثل في الموهبة الخاصة بمنح الناس الشعور بأنه يفهمهم. حتى أن معارضوه السياسيون وصفوه بالجذاب المتعاطف empathically Charmer، وبأنه منفتح على الآخر (وليس على النساء فحسب)، ويبحث عن التقارب الجسدي وينظر بعمق في عينيه، ويشد على يديه بحرارة ويبث له: أنا مصغ لك بالفعل، أنا مهتم بمشكلتك! ويبدوأن كلينتون كان يستخدم هذه القدرة أوالمهارة حسب الحاجة في مقابلاته الشخصية.

ولكن هل هذا الشعور هوالتعاطف Empathy أم مشاركة وجدانية Sympathy الذي يتم الخلط بينه وبين المفهوم الأشمل والأوسع التعاطف (التماهي العاطفي) في كثير من الأحيان؟.

التعاطف أكثر من مجرد الإحساس العفوي بالآخر، الذي يغمرنا أويستحوذ

علينا استناداً لمشاعر الآخر، وقد يدفع أعيننا لذرف الدموع. فالمشاركة الوجدانية هي مجرد مرحلة سابقة للتعاطف. فعندما نشارك الآخر وجدانياً نتذكر كيف "يكون" الحزن أوالسعادة أوالحنق إننا نتقاسم هذه الخبرات ويمكننا لهذا أن نعزي أنفسنا، أن نفرح أونتوتر. وهكذا ينشأ بين الناس تشارك مصبوغ بالانفعال أوالمشاعر، إلا أنه من حيث المبدأ تشارك سطحي.

إلا أن التعاطف أكثر من مجرد التشارك الوجداني. إنه يصف القدرة على فهم خبرات الآخر والاستجابة بناء على هذا الفهم بالشكل المناسب.

التعاطف ليس مجرد المشاركة في المشاعر فحسب إنه يحاول فهم ما هوكامن خلف هذه المشاعر. لهذا يشترط التعاطف الإصغاء الدقيق والملاحظة الدقيقة. فإذا أردنا أن نكون متعاطفين فإننا نريد أن تفهم بدقة ما الذي يجري في الآخر. لهذا نحاول أن نرى العالم بعيونه " أن نرتدي حذائه ". وهذا التبديل للمنظور (والتخلي العابر عن منظورنا) يفتح لنا تفهماً يتجاوز المشاركة الوجدانية لآخر. وبمجرد نستطيع "قراءة"، ما الذي يفكر فيه الآخر ويحسه وما ينويه وما هي الدوافع والعقد التي دفعه وهوموقفه نحونا، عندئذ يمكننا أن نتعاطف معه. وهذا يعني: أننا نستطيع عندئذ مساعدته –أوحتى حماية أنفسنا من نواياه ومخططاته. إذ أنه يمكن استخدام التعاطف لصالح الآخر أولإلحاق الضرر به. فمن يعرف بشكل جيد ما "يدور" في رأس المحيطين به فإنه لا يستطيع نصحه أوحمايته فحسب وإنما توجيهه واستغلاله.

ويعرف باحث التعاطف وليم إكس William Ickes القدرة التعاطفية على النحوالتالي: الاحتضان التعاطفي (من الذات نحوالآخرين) ليس أكثر من شكل من قراءة الأفكار الذي نمارسه في حياتنا اليومية....إنه على ما يبدوثاني أكبر الإنجازات القادر عليها دماغنا، حيث أن الوعي نفسه هو الإنجاز الأكبر"

فالتعاطف يمكِّننا مشاركة الآخرين حياتهم وتوسيع أنفسنا وبالحرف تجاوز حدودنا. فمن خلال تجاوز تفكيرنا لذاتنا ووضع أنفسنا مكان الآخر فإننا لا نوسع عالم رؤيتنا فحسب وإنما أيضاً فهمنا لأنفسنا. التعاطف هوالرابطة التي تربطنا بالآخرين – إذ كنا سنكون بدون التعاطف إما فردانيين Mona أومنغلقين Autistic، منغلقين على أنفسنا. وبدون التعاطف لا يمكن أن يوجد التفهم، ولا

علاقات دائمة ولا حميمية بين الناس.

ويمكن اعتبار التعاطف Empathy كفاءة أوقدرة مهمة من أجل البقاء مبرمجة في دماغنا –سواء في "دماغنا الانفعالي" أم في أم في الجهاز اللمبي أم في قشرتنا الدماغية Neo cortex.

فالجهاز اللمبي ووبشكل خاص اللوزة amygdale تستجيب للمحيط بشكل سريع وانفعالي: إما بالهرب أوالمواجهة، بالدموع، بالشره والطمع أم بالرغبة. وفي مجرى ملايين السنين من التطور المستمر تشكلت القشرة الدماغية لتصبح الجهة المسؤولة عن التفكير والاستجابة. وتعمل القشرة الدماغية المرتبطة بصورة وثيقة مع جذع الدماغ الأقدم من الناحية النشوئية بشكل أبطأ من جذع الدماغ. إذ أن وظيفتها هي التفكير والاختبار وعكس الواقع المعقد. فالقشرة الدماغية تعمل بشكل يشبه المكابح بالنسبة للاستجابات الآلية المتسرعة في الغالب لجذع الدماغ. وبالتدريج تطورت من الانفعالات الأساسية كالخوف والحنق والفرح والحزن أشكال أكثر تمايزاً من التعبير: فمن الحنق " المجرد " تطورت مشاعر معقدة كالغضب أوالغيظ، الرثاء أوالخجل؛ ومن الرغبة نشأ الحب، الحنان، ومشاعر الانتماء. وقد أصبح مهماً بالنسبة للحياة المشتركة التعرف على هذه المشاعر وتفسيرها بشكل صحيح.

وضمن الظروف العادية يعيد الإنسان تاريخه التطوري في سنواته الأولى من العمر: فحتى المواليد الجدد يستجيبون لبكاء الأطفال الآخرين وويبدءون هم أنفسهم بالبكاء. – على نحو يمكن تسميته "بالعدوى الانفعالية"، وفي عمر الشهرين يبكي الطفل عندما يرى دموع الغرباء، أويستجيب بابتسامة. فالأطفال فهم يمكنهم في وقت مبكر التعرف على المشاعر و"يعكسون" – في أية حال المشاعر "البسيطة" فحسب، كالفرح أوالحنق أوالحزن، وليس المشاعر المعقدة كالخجل أوالازدراء. وفي عمر السنوات الست يدرك الأطفال أنه يمكن أن يكمن خلف التعبير عن شعور ما شعور آخر مختلف كلية. وفي عمر السبع سنوات يفهمون المواقف المعقدة، التي تظهر فيها مشاعر على نحوالغيرة والذنب والفخر أوالتواضع. وبالتدريج يصبح لهم أيضاً دور الدوافع والمقاصد الكامنة خلف تعبير ما أكثر وضوحاً. وبين سن التاسعة والحادية عشرة يمكن للأطفال أن يتعرفوا من الإشارات غير اللفظية إذا أراد

شخص ما خداعهم أوخداعهم واستغلالهم.

ويحتل التعبير عن المشاعر في السنوات الأولى من الحياة أهمية كبيرة بالنسبة لنموالتعاطف: إذ علينا أن نكتشف مشاعرنا عبر مرآة والدينا –علينا أن نتعرف على أحاسيسهما كي نفهم مشاعرنا، كي نبني عالم مشاعرنا الخاص. فعندما نضحك ولا واحد يضحك معنا، وعندما نبكي ولا يبكي أحد يواسينا، فلن يتم "توكيد" أو"برهان" مشاعرنا. وبالتدريج نحصل على صورة مشوهة لعالمنا الداخلي، لذاتنا. ولكن في حال استجاب الوالدان تعاطفياً فإننا نشعر بأننا مقبولون وننظر لانفعالاتنا (والتعبير عنها) بأنها مقبولة ومبررة أومشروعة. وأخيراً فإننا نتمثل الاهتمام التعاطفي المتمثل في أننا نصبح غير متعلقين "بالانعكاسية"، أي باستجابات الوالدين الانفعالية علينا، وأننا نحن أنفسنا نستطيع أن نواسي أونعزز أونشجع أنفسنا بأنفسنا.

" أعرف ما الذي تحس به"، " أعرف ما يدور بداخلك"، – مثل هذه الجمل تساعدنا في بعض المواقف، إنا تعبر عن الحساسية Sensibility والمشاركة الوجدانية Sympathy، إلا أن التعاطف أكثر من مجرد هذا: فعندما نكون متعاطفين فإننا لا نمتص بصورة سلبية Passive المشاعر التي يعيشها الآخر الآن فحسب، إذ أن التعاطف أكثر من مجرد نوع من الواقع التقديري الذي نفكر ونشعر فيه كما لوكنا مكان الآخر. فالتعاطف يسأل: ما الذي يعنيه شعور ما؟ ما الذي أراه من خلال التبصر في العالم الروحي للشخص الآخر؟ لهذا يتطلب التعاطف –إلى جانب كل التشارك والإحساس بالآخر– درجة معينة من البعد. ويقول وليم إكس في هذا الصدد: التعاطف عبارة عن استنتاج مركب ترتبط فيه الملاحظة والذاكرة والمعرفة والتفكير من أجل الوصول لاستبصار في مشاعر وأفكار الناس الآخرين".

فمن يكون تعاطفياً أومتعاطفاً لا يذوب في مشاركة المشاعر أولا يشارك الآخر الغضب والفرح. التعاطف يعني التعلم من الحوار – والتصرف بعد ذلك. التعاطف ليس هدفاً بحد ذاته. إذ أننا بمساعدته نوسع معرفتنا وذخيرتنا السلوكية ونحسن تفهمنا للعالم والبشر كي نتمكن من حل المشكلات بشكل أفضل ووتجاوز الأزمات ووالتعرف على الأسباب الأعمق.

التعاطف ليس أمراً احترافياً مقصوراً على المعالجين النفسيين أوالأطباء وإنما

هو جزء من الذكاء الانفعالي الذي يجعل من العيش المشترك ممكناً ومحمولاً في الحياة اليومية ويوسع في الحالات المثلى التفهم والتسامح والنجاح عند أولئك الذين يمارسونه.

إلا أنه لابد من التمرن على هذه القدرة أوالمهارة المولودة وتحسينها وتطويرها، ولابد من عدم تركها تذبل أوتجميدها على مرحلة المشاركة الوجدانية.

التعاطف عمل نفسي أوجهد نفسي، أبعد من مجرد إحساس:"تسلق الجبال أوالوصول بالتعاطف نحوالكمال كلاهما عمل شاق ومرهق...فمن أجل الوصول للقمة نحتاج إلى نقاط استناد كثيرة ومعالم طرق كثيرة"، كما يذكر عالمي النفس الاجتماعيين سارة هودغس ودانييل فيغنير Sara Hodges & Daniel Wegner.

فالمستمع المتعاطف يستجيب لكل موقف بحساسية، ولا ينساق وراء القوالب الجامدة والأحكام المسبقة، ويسجل أدق التغيرات وأقل الأصوات انخفاضاً. وإلى جانب التدريب يتطلب التعاطف ومعرفة الذات التركيز والانتباه بشكل خاص. ويطلق بعض الباحثين على هذا الانعتاق من فيض الشعور بوصفه " الأنا المُراقِب " تسمية ما وراء الاستعراف Meta cognition. وقد نصح سيجموند فرويد باتجاه مشابه نحوالعمل العلاجي – الانتباه المُحلِّق بشكل حيادي". ويفضل بعض النفسانيين استخدام مفهوم " الوعي " والانتباه اللامتحيز للحالات النفسية للآخر والذات. ويعد هذا الانتباه الشرط الأولي للتعاطف.

ومن أجل إيجاد المدخل التعاطفي للآخرين علي في البداية ملاحظة أحاسيسي وسلوكي أنا: طيف أعبر أنن نفسي عن أفكاري ومشاعري كي أصل لقلب وعقل الآخر؟ كيف أظهر بالشكل الأمثل بأني "أفكر معه" بالفعل وأرغب بمساعدته؟.

إبطاء السيرورة

تجتاحنا في بعض الأحيان انفعالات غامرة، إنها تعمينا بالحرف عما يدور حولنا. والانفعالات السلبية كالخوف أوالغضب بشكل خاص تطلق هرمونات الإرهاق، تجعل العضلات تتشنج وتضيق الاستثارات الفيزيولوجية من الرؤية وتخفض بصورة مؤكدة من قدرات الإدراك. وعندما نشعر أن شخص ما يعاني من هذه الحالة نبدي التعاطف وذلك بأن نساعده على " التنفيس " عما بداخله وعلى ألا

يستخلص استنتاجات متسرعة. وتتجلى القدرة التعاطفية من خلال مساعدتنا لشخص ما على كيفية رؤية " الكل الأكبر " قبل أن يستسلم لتصرفات طائشة.

السؤال بصورة صحيحة

بعض الأسئلة تتضمن الإجابة، أوبشكل أدق: تتضمن الحكم، " أنت تعتقدين إذاً أن صديقتك الجديدة جيدة" تسأل الأم ابنتها بصوت متهكم، مسبقة بهذا ردة فعل دفاعية تصغيرية – البنت تصمت أوتتبنى الحكم السلبي. فإذا ما كانت الأم تريد أن تعرف ما الذي يدور بالفعل داخل ابنتها فعليها أن تطرح سؤالاً صريحاً – تعاطفياً: "ما الذي يعجبك بصديقتك بشكل خاص"؟. فالأسئلة الصريحة تقود لاستقصاء الذات عند المسؤول– وتبث في الوقت نفسه: أنا مهتم بالفعل بوجهة نظرك.

الانتباه للجسد

عندما نجلس مقابل شخص آخر متوتر فإن توتره سوف يمتد إلينا إن عاجلاً أوآجلاً. ويدفع غضبه ضغط الدم لدينا للارتفاع. ويمتد تأثير الجهاز الودي (السمبتاوي) الذي يعد جزءاً من الجهاز العصبي المسؤول عن حشد ردود فعل المواجهة أوالهرب، عبر ما يسمى بالتزامن الفيزيولوجي إلى أبعد من المصدر – وينقل الغضب الخارجي، أي غضب الآخر إلينا، إننا نصاب بالعدوى منه وقد نعتبر أنفسنا هدفاً لهذا الحنق، ونستجيب بصورة دفاعية بدلاً من التنقيب بشكل أعمق. أما الاستجابة التعاطفية للغضب الخارجي، غضب الآخر، فلن يكون ممكناً إلا عندما نتمكن من حشد الجهاز العصبي نظير الودي (الباراسمبتاوي) المسؤول عن الاسترخاء والحفاظ على الطاقة. وهذا ما نتمكن منه عندما نتمكن من تشغيل التفكير وتوجيه الذات – كأن نتذكر على سبيل المثال كيف كنا نحن أنفسنا غاضبين لأننا شعرنا بأننا معزولين أومساء فهمنا أومرهقين.

ومن هنا يمكننا أن نستخدم التزامن الفيزيولوجي بصورة واعية، بهدف إحداث تأثير معاكس، وذلك بأن نغير من تعابيرنا على سبيل المثال. فبدلاً من انتقال التعبير عن الغضب، نبقى مسترخيين، ومن ثم فإننا نؤثر بهذا على حالتنا.. وبالتدريج تنعكس سيرورة التزامن، ونؤثر على الآخر بشكل مهدئ. ونستطيع أن نظل من خلال الاتجاه التعاطفي منفتحين على إشارات الآخر، إننا نصغي بشكل أكثر دقة ونراقب

بصورة أكثر حدة مما لوكنا متوترين أومستثارين. وباختصار: إننا نستطيع فهمه بشكل أفضل، وأن نوصل له هذا التفهم.

الاحتفاظ بالماضي في المدى المنظور

في الاتجاه التعاطفي يمكن ألا يكون للسلوك الراهن لشخص ما علاقة بالوضع الراهن، وبشكل خاص إلا تكون له علاقة بنا. فقد لا يكون زميلنا المتجهم غاضباً منا، فقد يكون مثقلاً بصراع أسري غير محلول، أويعاني من غيظ متراكم بسبب مرتبه السيئ. إننا نجر وراءنا صراعاتنا غير المحلولة كلها أونتذكر فجأة مرحلة مخجلة من حياتنا. يلون الماضي الحاضر، وغالباً ما ينصب هذا على الناس الخطأ. وفي مثل هذه المواقف يكون من المفيد كبت الاستجابة، وعدم المعامل بالمثل، وهكذا يمكننا البقاء موضوعيين ونرى بدقة أكبر.

جعل القصة تتفتح

يتيح لنا التعاطف ترك الآخر يروي لنا قصته، دون التسرع في الحكم أومقاطعته أودون نلح عليه في قبول نصائحنا الجيدة. وهذا يعني في بعض الأحيان التمكن من الانسحاب وكذلك عدم تحريض الراوين المفرطين.

يتطلب التعاطف التوقيت الجيد: الإحساس بأنه "سيأتي شيء ما بعد ذلك"، الإنصات إلى أن الآخر يخفي خلف هذا الشعور شعوراً آخر. وعليه فالحنق أوالغضب غالباً ما يكون انفعالاً مقنَّع مختار – فخلفه تكمن على الأغلب الخيبة، والانجراح، واليأس ومشاعر العزلة وبشكل خاص غالباً ما يكمن خلفها الإحساس بعدم الفهم.

الرجال بشكل خاص كانوا قد تعلموا بأن ينبغي إخفاء المشاعر التي يمكن أن تعبر عن الضعف وراء واجهة من الحنق والغضب. ويشير عالم نفس النموواليم بولاك William Pollack في كتابه بعنوان "شبان حقيقيون"، بأنه غالباً ما يتم تدريب اليافعين بالتحديد بالتعبير عن طيف انفعالاتهم كلها بالغضب والعدوان. إلا أنه من خلال التعاطف يمكن تهديم هذه الواجهة: فبمجرد أن يتعرف اليافعون بأنه يمكن أن يكن لهم التفهم والتعاطف وأنه أمر طبيعي أن يشعروا بالوحدة والإحباط أوبعدم الفهم، فإنهم يتوقفون عن الخجل من هذا المشاعر التي يعتقدون أنها "مشاعر لا إنسانية".

وضع الحدود

لا يعني التعاطف الإفصاح للآخر عن مقاصدنا من أجل أن ندفعه للمصارحة. يعتقد الكثير خطأ بأنهم عندما يروون شيئاً ما من حياتهم الخاصة أومن محيط مشاعرهم ("لقد مررت مرة بخبرة مشابهة") فإنهم يحققون بذلك أساساً من الثقة. إن من يروي شيئاً ما عن نفسه يمكن أن يحقق بعض الراحة على المدى القصير إلا أنه على المدى البعيد فإن هذه المصارحة المساء فهمها غير فاعلة. فكل إنسان يرغب في أن يرى أن مشاعره محترمة بوصفها مشاعر أومشكلات فريدة من نوعها، ومن ثم فليس من المفيد عندما يؤكد له احدهم بأنه قد مر بالخبرة نفسها. وحتى عندما يبدوالأمر غير منطقي، إلا أن الحقيقة أن تبادل الحميمية يعيق التعاطف. فمن أجا التمكن من الإصغاء دون أحكام مسبقة علينا الانفصال لبعض الوقت عن خبراتنا: حتى عندما يبدولنا أن كثير مما نسمعه معروف لنا، فعلينا أن نكون منتبهين، وكأننا نسمع قصة الآخر للمرة الأولى. وسواء كان ذلك في العلاج أم في الحياة اليومية: ينبغي للتعاطف أن يمكننا من اكتشاف الفروق الدقيقة بيننا –وفهمها– وتقبلها. فالتعاطف عبارة عن تفاعل معقد بين المشاركة والإحساس بالآخر (مشاركة الآخر المشاعر) من جهة والاستقلالية والبعد Distance من جهة أخرى. – إنها توازن بين الالتزام ودور المراقب الموضوعي: إنها معرفة أين يتوقف " الأنا " ويبدأ " الأنت "، حتى في أكثر العلاقات حميمية. ومن أجل أن نكون حساسين علينا ألا نكون جزءاً قصة الآخر.

في دراسة حول فاعلية باعي سيارات الفورد ظهر أن الناجحون يتميزون عن زملائهم الأقل نجاحاً، بأنهم لا يتماهون مع الزبائن وإنما بقوا محتفظين بمسافة داخلية. وبما أن الإصغاء التعاطفي يعد كفاءة محورية للبائعين فإنهم يستطيعون استشفاف الحجج والاستراتيجيات التي يمكن أن تقودهم للهدف – أي لعقد الصفقة في هذه الحالة.

تقويم الآخرين بشكل صحيح

يتطلب الإصغاء التعاطفي تبني رؤية الآخر للعالم دون نظريات أوفرضيات مسبقة حول الآخر. من أجل خبرة حقيقته الذاتية التي هي الحقيقة حول نفسه. فنحن لا يمكننا أن نعرف شخصاً ما بالفعل لم نكن قد أصغينا إليه قبلاً لفترة طويلة وبشكل

مركز. وهنا يساعدنا من التأكد بين الحين والحين فيما إذا كان شريك المحادثة يشعر بأنه مفهوم بالفعل، وفيما إذا كان يعتقد بأنه قد عبر عن كل ما يعتبره مهم بالنسبة له. ويقترح كارل روجرز مؤسس العلاج النفسي المتمركز حول المتعالج استراتيجية خاصة بهدف تحسين فن الإصغاء. ففي نقاش ما أوجدل ينبغي استخدام القواعد التالية:" لا يحق لأي شخص أن يتحدث عن نفسه، قبل أن يكون قد أعاد أفكار ومشاعر محدثه أومحدثته بدقة" فعلى كل مصغ أن يكون إذاً قادراً على تلخيص رؤية أووجهة نظر الآخر بدقة. ويشير روجرز في كتابه بعنوان On" "Becoming a Person:"أيبدوببساطة غير حقيقي؟ ولكن عندما تحاول فسوف تستنتج أن هذا من أصعب ما قمت به في حياتك. إلا أنك عندما تكون قادراً على تبني منظور الآخر فلا بد لك من أن تغير رأيك بشكل كبير. وسوف تلاحظ كذلك كيف يهدأ التوتر في المواجهة فجأة وكيف تختفي الفروق، وما يتبقى من الفروق يصبح أكثر وضوحاً وعقلانية".

الجانب المظلم من التعاطف

القدرة على التعاطف ليست امتيازاً يختص به الناس ذوي النوايا الطيبة فقط. إذ يمكن أن يتم استخدام التعاطف ضدنا، من النصابين والأنانيين والمظللين. فقد كان هتلر تعاطفياً بطريقته الخاصة، وذلك عندما فهم رغبات وعقد وطموحات الألمان واستغله. فكلما استطاع شخص ما الولوج إلى جوهر عالمنا الداخلي، سهل عليه استغلالنا. ومن أجل مقاومة ذلك علينا أن نشحذ انتباهنا التعاطفي الخاص، عن طريق:

١- التفريق بين التعاطف الوظيفي والأصيل **authentically and functional Empathy**

غالباً ما نحس بدقة كبيرة فيما إذا شخص ما يريد سبرنا من أجل خداعنا أواستغلالنا أويغبننا. فالحدس والموقف يقولان لنا بوضوح فيما إذا كان علينا أن نتقبل عرضاً للمساعدة أم من الأفضل ألا نفعل ذلك. إلا أن التعاطف الأصيل قد يختلط – حتى في العلاقات الحميمة – مع التعاطف الوظيفي: فقد يبدوالشخص لنا لطيفاً، إلا أنه يربط المشاركة الحقيقية مع رغبات أنانية ("بما أنك تقول لي أنك تملك مبلغاً في البنك، فهل لك أن تقرضني مبلغاً من المال"....)، وهذا أمر عادي طالما نظل قادرين على فهم اللعبة ولا نشعر بالاستغلال.

٢- معرفة الرغبات الذاتية

من يعرف نقاط ضعفه، يحمي نفسه من الاستغلال. جميعنا يملك رغبات وأحلام وعقد وويميول تجعلنا حساسين للكلمات العاطفية الصادرة من الآخر. وكلما كانت معرفتنا "بالنقاط الرخوة" من نفسيتنا أفضل كنا أكثر حذراً عندما يبدولنا شخص ما متعاطفاً، إلا أنه داخلياً يسعى للاستغلال.

٣- تدريب النظرة الواسعة (اللامركزية)

تقوم اليقظة التعاطفية بتسجيل الأمور الدقيقة التي قد تبدوليست ذات أهمية في سلوك الآخرين. فالتناقضات الصغيرة والتباعد بين أقنية التواصل المختلفة - التعابير، الصوت، لغة الجسد - تعد معلومات مهمة، التي تكشف لنا بمجملها الحقيقة التعاطفية. لهذا يحتاج التقويم الدقيق لمقاصد الآخر الوقت. التعاطف عبارة عن نتيجة لخبرة - أها.

٤- منع الحميمية غير المطلوبة

لا بد للحميمية العفوية للبائع أورفع الكلفة المفاجئة دون مقدمات من مسافر ما يجلس بجانبنا، الذي نكاد لا نعرفه إلا من ساعة واحدة أن تجعلنا شكاكين. وكذلك هوالحال في كل حميمية التي لم "ندعو" لها. فمن لا يحترم حدودنا ويلح علينا انفعالياً ويستجيب باستياء لعدم اهتمامنا يكون قد كشف القناع. فالتعاطف الأصيل يحترم رغبة الآخر بالتباعد.

٥- التعاطف لا يعني: " اللطف مع الآخرين "

ليس هدف الإصغاء التعاطفي خبرة ذلك الشيء الذي نريد خبرته، ولا يعني كذلك الحصول على إعجاب الآخر ونعززه بأخطائه أوآراءه. التعاطف ليس العطف أوالإشفاق. الهدف هوالتقدير الواقعي والدقيق للآخر - بهدف مساعدته. فإذا لم يرد شخص ما أولم يتمكن من تقبل اتجاهاتنا التعاطفية، علينا ألا نشعر بالذنب بسبب ذلك.

" أنت لم تعرفني أبداً "

العشق، بكلمات المحلل النفسي إيلفن سيمارد Elvin Semard، هو"الشكل الوحيد المقبول من الذهان في ثقافتنا". وينطبق هذا بشكل خاص على الطور الأول

من الحب المتمثل في المثلنة المتبادلة Idealization. فنحن نكون صورة عن الشريك تتلاءم مع حاجاتنا ورغباتنا، وبشكل خاص الرغبة بأن نكون محبوبين. وبما أننا نصاب بالعمى عن كل ما يخالف هذه الصورة أوعن كل ما لا يتلاءم معها، فإننا نكون كأشخاص حابين جدد كل شيء عدا عن أن نكون موضوعيين. وفي هذه المرحلة النرجسية لا يمكننا أن نكون متعاطفين.

وبعد فترة من الزمن تبدأ وبصورة حتمية أولى التصدعات في الصورة غير الواقعية: فالشريك يشخر أثناء النوم، ويصدر أصواتاً من فمه أثناء الطعام، وفوضوي ويقهقه بصوت مرتفع لأسخف النكات...الخ. فإذا كنا الآن متعاطفين فإننا سوف نتحمل هذا. إذ أننا من خلال الملاحظات والملاحظات الذاتية بأنه ليس هناك من إنسان كامل. والتعاطف يستطيع أن يتحمل التناقضات بشكل جيد، ذلك أنه من حيث المبدأ تقنية التمايز أوالتنوع.. إنه لا يلون الأشياء إما بالأبيض أوالأسود. إلا أنه في هذه المرحلة من الصحوة غالباً ما ندفع الأمور نحوالاستقطاب، ونقلل من الشريك بشكل مخيب. وهنا تظهر العدوانية والخلافات المتكرر.

وفيما إذا كان هذا الطور الحرج سينتهي إلى طور التكامل، فإن ذلك يتعلق بفيما إذا كنا نحن نعرف على نقاط ضعفنا وأخطاءنا وألا نسقطها على الشريك وبفيما إذا كنا سنتعلم تقبل " عيوبه ". ويتيح التعاطف دمج الصفات المتناقضة في صورة كلية إيجابية. وهذا يعني، أننا نستطيع أن ندرك أنفسنا وشريكنا على أننا "ليسا كاملان، إلا أننا مع ذلك فنحن جديران بالحب". فالتعاطف المتبادل يصنع من العشق حباً، ومن المثلنة المدفوعة بشكل نرجسي، ومن "الخيبة" المبالغ بها ينشأ التوازن بين التقارب والتباعد. بالإضافة إلى ذلك فإن التعاطف يثري الشخصية، ونصبح شفافين في الحوار مع الآخر، ونطور أنفسنا من خلال تعلمنا دائماً فهم الآخر.

وقد يصبح الأمر وخيماً في بعض الأحيان، وذلك عندما تتجمد سيرورة التعاطف المتبادل هذه، لأن أحد الشريكين قد توصل في لحظة من اللحظات بأنه "يعرف الآخر كلية"، فلا يعود يصغي إليه بدقة ويتوقف عن السعي نحوتعلم الرغبات المتجددة ووجهات نظر المتغيرة للآخر. وغالباً ما تعبر الجملة القائلة " أنت لا تعرفني على الإطلاق" عن بداية النهاية، وتشير إلى حقيقة أن هذا هوالواقع بالفعل وأن الشريكين قد عاشا إلى جانب بعضيهما البعض بشكل لا تعاطفي.

أخبار الجمعيات النفسية العربية

يسر هيئة تحرير المجلة أن تفتح هذا الباب الثابت بإقتراح من الزميل معن عبد الباري قاسم / رئيس الجمعية النفسية اليمنية. الذي رأى امكانية استكمال دور المجلة كمنبر أكاديمي عربي جامع عن طريق هذا الباب الذي يتابع نشاطات الجمعيات النفسية العربية ويعرف قراءه بهذه النشاطات. بما يسهل التواصل العلمي العربي في ميدان التخصص ويدعم هذه النشاطات بالتعريف بها في أنحاء الوطن العربي.

والواقع أن المجلة كانت تمارس هذا الدور عبر صفحتها على الانترنت. إذ تتضمن الصفحة وصلات مع الصفحات الالكترونية للجمعيات النفسية العربية بالاضافة الى الصفحات المعنية بالاختصاص سواء التابعة للجامعات اولمراكز البحث اوالشخصية منها. كما كانت صفحة المجلة توزع اخبار الاختصاص العربية عبر شبكة العناوين الالكترونية لموقع مركز الدراسات النفسية (م.د.ن.). ويمكن الحصول على هذه الوصلات عبر صفحة المجلة وعنوانها: com.psyinterdisc.www

أما عن محتويات الباب في هذا العدد فهي التالية: – نشاطات الجمعية اللبنانية للدراسات النفسية.

- نشاطات الجمعية النفسية اليمنية.
- المؤتمر الأول للجمعية النفسية السودانية.
- مؤتمر الصحة النفسية في الكويت.
- نشاطات الجمعية المصرية للدراسات النفسية.
- الصفحة العربية للعلوم النفسية.
- صفحة المركز العربي للدراسات النفسية.

- صفحة مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية (م.د.ن).
- صفحة المركز العربي للدراسات المستقبلية (علم النفس السياسي).
- صفحة حياتنا النفسية.
- صفحة الجمعية السعودية لعلم النفس.
- الصفحة الخليجية لعلم النفس.
- صفحات شخصية للاختصاصيين العرب.

الجمعية اللبنانية للدراسات النفسية تنتخب هيئة ادارية جديدة للجمعية

عقدت الهيئة العامة للجمعية بحضور مندوب وزارة الداخلية اجتماعاً لإنتخاب هيئة ادارية جديدة. وذلك عند الساعة الخامسة من يوم الخميس الواقع في ٢٠٠٣/٥/٢٢ في مقر مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية بطرابلس.

وبعد التداول في الموضوع تم الاتفاق بالتزكية على الهيئة الادارية التالية اسماؤهم:

الدكتور محمد احمد النابلسي/ رئيساً وممثل الجمعية لدى الدولة.

الدكتورة روز ماري شاهين / نائباً للرئيس.

الدكتور حسن الصديق / أميناً للسر.

الدكتورة غادة حروق / أميناً للصندوق.

الدكتور سلمى المصري دملج / المحاسبة والعلاقات العامة.

وبناء على هذه الجلسة يتم تسلم الهيئة الادارية الجديدة لمهامها ابتداءً من تاريخ هذه الجلسة. على أن تتم مناقشة تعديلات القانونين الاساسي والداخلي للجمعية في جلسةلاحقة. عقب الانتخاب تداولت الهيئة العامة للجمعية خطة النشاطات المقبلة للجمعية مع التركيز على المواضيع التالية:

١- الاعداد لموسم الجمعية للدراسات النفسية عن العام الجاري. وإمكانية دعوة أساتذة عرب للمشاركة في هذا الموسم السنوي الذي تقيمه الجمعية بالاشتراك

مع قسم علم النفس بالجامعة اللبنانية في حرم الجامعة. حيث تم الاتفاق على تخصيص هذا الموسم لمحور " علم نفس الحروب والكوارث ".

٢ – إستكمال دورة التدريب على " رعاية ضحايا العنف " التي اقامتها الجمعية بالاشتراك مع جامعة المنار. وكانت هذه الدورة قد علقت لتعذر استمرار الاخصائيين الكويتين المشاركين فيها. حيث تم الاتفاق على معاودة الاتصال بالزملاء الكويتيين والتنسيق معهم حول سبل استكمال هذه الدورة.

٣ – مناقشة موضوع نشرة الجمعية المعنونة " دراسات نفسية " لجهة التحرير والطباعة والتوزيع. بعد أن توقفت هذه النشرة الشهرية لمدة ستة شهور متوالية. حيث تم الاتفاق على تكليف الزملاء: نشأت صبوح وسناء شطح ورمزية نعمان بتحرير النشرة على أن تتم طباعتها على نفقة مركز الدراسات النفسية.

٤ – مناقشة دعوات المشاركة في الندوات والمؤتمرات التي تلقتها الجمعية من الجهات المختلفة خلال الفترة السابقة. والمتضمنة دعوات المؤتمر الاول للجمعية النفسية السودانية ومؤتمر الاتحاد العربي للعلوم النفسية ومؤتمر الصحة النفسية في الكويت ومؤتمر الجمعية المصرية للدراسات النفسية ومؤتمر الارشاد النفسي ومؤتمر اتحاد الاطباء النفسيين العرب.

٥ – مناقشة دعوة العديد من الزملاء العرب لعقد اجتماع عربي لتفعيل دور الاختصاص في توعية الجمهور ودعم مناعته في مواجهة الكوارث العربية. وتفعيل جانب علم النفس السياسي والدور الاختصاصي فيه. حيث تم الاتفاق على الاتصال بالزملاء جمال التركي وعبد الستار ابراهيم وخليل فاضل لاستمزاجهم الرأي بامكانية تحقيق هذه الدعوة باتخاذ خطوات عملية مثل العمل على تأسيس الجمعية العربية لعلم النفس السياسي أولعلم نفس الحروب والكوارث.

٦ – مناقشة التطويرات المدخلة على صفحة الجمعية على الانترنت وعنوانها: html.alep/com.filnafs.www

حيث تم الاتفاق على اتمام نشر السير العلمية لاعضاء الجمعية وتسهيل الروابط مع الصفحات النفسية العربية لتسهيل وصول الباحثين الى هذه الصفحات. ومن أهم هذه الصفحات الصفحة العربية للعلوم النفسية (الزميل جمال التركي) وصفحة

حياتنا النفسية (الزميل حسان المالح) وصفحات الجمعيات العربية (التونسية واليمينة والمصرية والسعودية والخليجية). بالإضافة الى الصفحات المتفرعة عن الشبكة الالكترونية لمركز الدراسات النفسية.

الجمعية النفسية اليمنية في عامها الخامس

إحتفلت الجمعية النفسية اليمنية بالذكرى الخامسة لتأسيسها وأصدرت بالمناسبة عدداًخاصاً من مجلتها " الصحة العقلية ". كما صدر بالمناسبة دليل تعريفي بالجمعية واعضائها ونشاطاتها التي شملت انشاء الخط التلفوني الساخن لمساعدة الاشخاص الذين يمرون بفترات حرجة ولطالبي النصح والارشاد.

والواقع أن هذه الجمعية تستمد فعاليتها واستمراريتها من حماسة القائمين عليها من الاخصائيين اليمنيين. مما يتيح لهذه الجمعية تحقيق انجازات غير مسبوقة في الدول العربية.

فبالرغم من محدودية الامكانيات المادية وسلبية دعم شركات الادوية وغياب المراكز البحثية تمكنت الجمعية من اصدار مجلتها الخاصة واقامة الندوات العلمية واستقبال المؤتمرات العربية والعالمية عداك عن تأمين خدمات الخط الساخن المشار اليها أعلاه.

في عودة الى مجلة الصحة العقلية نقرأ إفتتاحيتها التي كتبها محافظ عدن طه احمد غانم. ويشيد فيها بإنجازات الجمعية وبمستوى خدماتها. ومن نشاطات الجمعية يعرض العدد لزيارة مندوب الإتحاد العالمي للصحة النفسية الى مقر الخط الساخن. ولقاء فرع البرنامج العالمي لمنهاضة العنف ضد المرأة في مدينة تعز. وإحتفال الجمعية باليوم العالمي للصحة النفسية في جامعة عدن. وتدشين وحدة الارشاد السلوكي المدرسي في فروع الجمعية بمختلف المدن اليمنية. وتمحورت بحوث العدد حول العنف الاسري في اليمن.

اساليب التصدي للعنف الاسري في المنهاج التعليمية الجامعية : يتناول الدكتور طه علي احمد في هذا البحث اساليب التصدي للعنف الاسري في المناهج التعليمية الجامعية. فيعرض لمساهمة مقررات علم الاجتماع العائلي والتربوي واقسام

الخدمة الاجتماعية والمشكلات الاجتماعية وغيرها في تحديد اصناف وممارسات العنف العائلي. وإسهام هذه الفروع في الوقاية من العنف العائلي عن طريق التوعية باضراره وانعكاساته على مستقبل العائلة ومستقبل اعضائها كما على جهاز العلاقات داخل الاسرة.

التصدي للعنف الاسري في مناهج كلية الحقوق: يتناول الدكتوران الجيزاني وقاسم موضوع التصدي للعنف الاسري في مناهج كلية الحقوق. وهي دراسة متابعة لقانون الاحوال الشخصية وتشريعاته تجاه العنف العائلي. ويخلص الباحثان الى اقتراح تركيز الاهتمام على تدريس النواحي القانونية للعنف العائلي مع اتاحة فرصة حضور التحقيقات للمعالج العائلي المختص بالتدخل والعناية الطارئة لضحايا هذا العنف.

العنف الاسري / دراسة تتبعية: يتناول الدكتور معن عبد الباري قاسم موضوع العنف الاسري ومتابعته في محافظة أمين اليمنية. عبر دراسة إحصائية تستند الى سجلات التحقيق في هذه الحالات. وتهتم الدراسة بتتبع تكرارية التعرض لهذا العنف وأساليب التدخل لحل هذه الأزمات. حيث تبين الدراسة أن نسبة الصلح تصل الى ٧،١٦% من الحالات. ويتوزع الباقي على إحالات للنيابة والسجن وغيرها.

اصلاح اوضاع مستشفى الامراض النفسية في عدن: وهي قضية العدد وتعرض مشروعاً من اجل اصلاح اوضاع مستشفى الامراض النفسية في عدن. حيث قدم المشروع مجموعة خطوات عملية متكاملة لتفعيل العمل في المستشفى وتحسين قدرته الاستيعابية ومستوى خدماته.

عبر هذه اللمحة السريعة نأمل أن نكون قد توصلنا لاعطاء فكرة عن عطاءات هذه الجمعية ومساهمتها الجادة في ابراز واثبات الفعالية الاجرائية للاختصاص. وفي تبيان حاجة المجتمع له كما في توضيح أهمية العلوم النفسية في دعم مستوى اللياقة النفسية لدى أفراد المجتمع. حيث يمكن للاختصاص التدخل في علاج ظواهر من نوع العنف الاجتماعي الممارس داخل الأسرة وعلى المرأة. وهي نماذج عن قدرة الاختصاص على مواجهة ظاهرة العنف بكل تجلياتها.

وهذه القدرات الاختصاصية يمكنها أن تنعكس سلباً على المجتمع عندما يتم تطبيقها بدون مراعاة الفوارق الثقافية وبدون اعادة تقنينها وتكييفها مع ظروف

المجتمعات وخصوصيتها. خاصة وأننا نشهد مثل هذه التطبيقات العشوائية في العديد من الاقطار العربية وعلى مختلف الظواهر الاجتماعية. ومنها العنف بميادينه والادمان والكوارث الطبيعية والاصطناعية وغيرها من الظواهر التي تعالج عبر تجمعات غير متخصصة تحت مسميات مختلفة. الأمر الذي يسيء الى سمعة الاختصاص. وذلك في ظل غياب ولامبالاة المتخصصين والمؤسسات الجمعية والبحثية.

من موقعنا في الأمانة العامة للاتحاد العربي للعلوم النفسية نهنيء الزملاء اليمنيين على تجاوز هذه العثرات. التي تشكل هاجساً ومصدراً لشكوى زملاء لنا في اقطار عربية مختلفة. ومنها شكوى احدها من تحول مسؤولية رعاية المعاقين والمصدومين والمدمنين وضحايا العنف الى جمعيات خيرية تتلقى التبرعات والمعونات دون أن تكون لديها قدرة على القيام بأدوارها المعلنة. وأحياناً مع غياب اي متخصص عامل في هذه الجمعيات. وهذا من أسوا وجوه إساءة استخدام الاختصاص والإتجار به. حتى تحول هذا الاتجار الى شكوى باتت مألوفة من قبل المشرفين على الجمعيات العالمية المتخصصة في هذه المجالات. التي تشكومن اضطرارها للتعامل مع جمعيات محلية فاقدة للمواصفات والشروط وغير مستكملة الشروط الاختصاصية.

في حين نجد أن هؤلاء المشرفين يقومون بزيارات لفروع الجمعية اليمنية ويطلعوا على انجازاتها وتطويراتها في المجال.

إن هذه المتابعة السريعة لفعاليات الجمعية النفسية اليمنية تبين مستوى جدية الزملاء العاملين فيها ومستوى الخدمات التي تقدمها هذه الجمعية. بما يعطيها مصداقية ويكسبها دعم الجامعات والمؤسسات والجمعيات العاملة في المجال.

مكتبة العدد

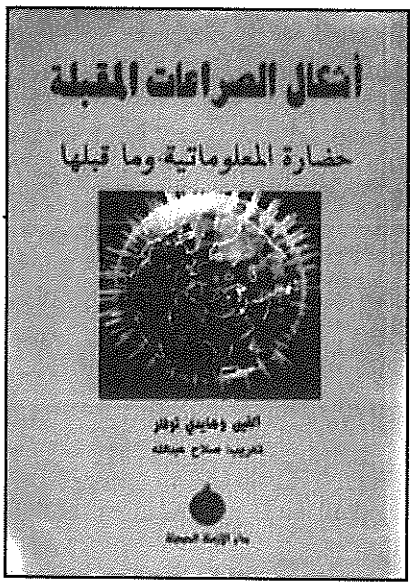

العنوان: أشكال الصراعات المقبلة.

المؤلف: ألفين وهايدي توفلر
تعريب صلاح العبد الله.

الناشر: دار الأزمنة الحديثة.

يعد ألفين توفلر أحد أهم الباحثين في مجال المستقبليات. حيث لاقت رؤيته لتحول السلطة رواجاً كبيراً دعمته صحة التوقعات المستقبلية المستندة الى فرضيته حول تحول السلطة. إذ يعتبر توفلر أن السلطة تسير في الاتجاه المعاكس للديمقراطية حيث القرار هومسؤولية العارفين (مالكي المعلومات) وليس حقاً للأكثرية الجاهلة. وهويعدنا بعالم يحكمه أصحاب الياقات الزرقاء (المعلوماتيين) ولا تحكمه الأكثرية.

ومع موافقتنا على الرصيد المتزايد للمعلومات فقد خالفنا بعض منطلقات توفلر (في سياق مناقشتنا لفرضيته) بإعتبار أن الغلبة والسلطة ستكون من نصيب مصنعي المعلومات وليست من نصيب منتجيها. فأجهزة الاستخبارات مثلاً هي التي تتولى إعادة تصنيع المعلومات وتسخرها لصالح المفهوم التقليدي للسلطة. وبذلك يصبح منتجوالمعلومات أشبه بمالكي النفط والمواد الأولية. بمعنى إفتقادهم لحرية توظيف وتسعير بضاعتهم وخضوعهم لسيطرة المصنعين. وهذا يعني تعديلاً في اتجاه السلطة وليس تحويلاً لمسارها.

اليوم وبعد مضي أكثر من عقد على صدور كتاب توفلر نقرأ له كتاباً جديداً بعنوان " أشكال الصراعات المقبلة". وهوكتاب يبحث في الحروب والحروب المضادة المقبلة (التالية لحرب البوسنة والهتزك). ويعتبر توفلر ان كتابه من أجل

الطفل البوسني الذي مزق الانفجار نصف وجهه، ومن أجل أمه التي ترقب بعين معشية ما تبقّى من منزلها. إنه من اجل ابرياء الغد الذين سيقتلون ويموتون لاسباب لن يفهموها.. انه كتاب عن السلام.. وهذا يعني انه كتاب عن الحرب في الظروف الجديدة والغريبة التي نحن بصدد صنعها في سباقنا نحومستقبل مجهول. حتى يبدواننا نغرق في عصور وسطى جديدة تملؤها الكراهيات العصبوية ويعم خرابها أنحاء المعمورة وتتالى فيها الحروب.. والطريقة التي سنتبعها في مواجهة هذا العنف المتفجر ستحدد إلى حد كبير كيف سيعيش اطفالنا، وربما، كيف سيموتون..

ويأتي هذا الكتاب كحلقة في سلسلة تطور الرؤية المستقبلية لتوفلر بعد كتبه الثلاثة وهي : كتاب (صدمة المستقبل) وتبعه كتاب (سياسات الموجة الثالثة) ثم كتاب (تحول السلطة) المشار له أعلاه. حيث شكلت فرضيات الكتب الثلاثة مدرسة منهجية جديدة ومغايرة لمناهج العلوم الاجتماعية والسياسية. إذ يعتمد توفلر مبدأ الربط بين نقد المطروح من النظريات والرؤى الاستراتيجية وبين محاولة استشفاف التطور المستقبلي لهذه النظريات.

في هذا الكتاب، وجرياً على عادته في كتبه السابقة، يلجأ توفلر للتذكير بفرضياته السابقة ليتم عملية الربط بينها وبين طروحاته الجديدة. فيذكرنا بالموجات الحضارية الثلاث التي اقترحها في كتابه " سياسات الموجة الثالثة " وهي: الموجة الأولى (أي الحضارة الزراعية والرعوية) والموجة الثانية (أي المجتمع الصناعي الحديث) والموجة الثالثة (أي مجتمع المعلوماتية والتقانة). ويعتبر المؤلف أن عالمنا المعاصر يتوزع على هذه الموجات بحيث تشكل مجتمعات كل موجة منها مجموعة لها ثقافتها وعلومها واقتصادها وادوات انتاجها ومعرفتها الخاصة. وبذلك يصبح من الطبيعي أن تتصادم هذه المجموعات في ما بينها كنتيجة لتصادم المصالح ولإختلاف الزمن المعيش بينها. وهذا التصادم يشمل ثقافة وعلوم وأفكار ودول هذه الموجات. بل يمكن إعتبار هذا التصادم نتيجة لعمق هذه التناقضات على مختلف هذه الأصعدة.

ويؤكد المؤلف على إستمرارية الأحقاد الناشئة عن الحروب الماضية. وعلى استمرارها في التأثير على حياتنا اليومية. ففيض الدماء التي جرت منذ قرون عدة لأسباب نسيناها، والاجسام المحترقة المحطمة، أوالتي بددها ضغط الانفجار،

والاطفال الذي تحولوا إلى بطون منتفخة فوق أعضاء ناحلة، كلها ذكريات مساهمة في صياغة عالمن الحاضر. وهي ستساهم في صياغة حروب المستقبل المتوقعة أوحتى المتخيلة والتي ستكلف _لانسانية مزيداً من الضرائب.

ويذكر توفلر بالحروب التي تتالت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فيعدد: الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣) والحرب الفيتنامية (١٩٥٧-١٩٧٥) والحروب العربية الإسرائيلية (١٩٦٧- ١٩٧٣-١٩٨٢) وحرب الخليج (١٩٩٠-١٩٩١). لكنه يرى أن القليلين يعرفون انه هناك ما بين ١٥٠ و١٦٠ صراعاً وحرباً أهلية اندلعت في أنحاء العالم بعد استتباب السلام في العام ١٩٤٥ .. وهويقدر عدد الجنود الذين قتلوا خلالها بـ(٧,٠٠٠,٠٠٠) دون حساب الجرحى والذين اخضعوا للتعذيب والمشوهين. وهذا الإحصاء لا يأخذ في الاعتبار عدد الجرحى الهائل الذين ماتوا خلال فترة الحرب أوبعد نهاية المعارك.

ومن سخرية التاريخ أن عدد الجنود الذين قتلوا خلال الحرب العالمية الأولى يتجاوز ذلك بقليل: (٨,٤٠٠,٠٠٠) تقريباً. وهذا يعني بطريقة مدهشة، بالنسبة إلى عدد الذين ماتوا في المعارك، ومع تركنا هامشاً كبيراً للخطأ، فإن العالم خاض ما يعادل الحرب العالمية الأولى منذ العام ١٩٤٥، وحتى الآن.

وإذا اضفنا إلى هذه الاعداد، الضحايا المدنيين، فإننا نصل إلى حاصل فلكي يتراوح ما بين ٣٣ و٤٠ مليون من القتلى، وهنا أيضا تجاهل للاعداد الكبيرة من الأشخاص الجرحى، أوالذين اغتصبوا أوشوهوا، وأولئك الذين تركتهم الحرب مرضى أواكثر فقراً مما كانوا عليه.. وإذا كانت الأمم المتحدة تعد اليوم ما يقارب المائتي عضواً، فإن اكثر من ستين بلداً منها اكتوت بنار الحرب.. وقد احصت مؤسسة السلام العالمية للابحاث في استوكهولم ٣١ صراعاً مسلحاً دار خلال العام ١٩٩٠ وحده. والواقع، فان الكرة الأرضية لم تعرف خلال الـ٢٣٤٠ اسبوعاً الممتدة بين ١٩٤٥ و١٩٩٠ كحد أقصى، سوى ثلاثة اسابيع بدون حروب.

التقاطع القاتل

حاول صانعوالحروب على مدى التاريخ زيادة مدى اسلحتهم. فقد ذكر مؤرخ صقلياً ديودور، أن الجنرال اليوناني ابيقراط، الذي حارب لحساب الفرس ضد

المصريين، في القرن الرابع قبل الميلاد (صنع رماحاً اكثر طولاً بمقدار النصف وضاعف تقريباً طول السيوف) بهدف مضاعفة مدى هذين السلاحين.

أما بالنسبة إلى القدرة القتالية، فقد إرتفعت قدرة الأسلحة التقليدية خمس مرات منذ بداية الثورة الصناعية لغاية الآن. أما بالنسبة إلى الأسلحة النووية، فيكفي تصور نتائج تكرار حادثة على غرار تشرنوبيل لتقدير التهديد المرعب الذي تمثله هذه الأسلحة.

وباختصار فان توفلر يؤكد على أن عصرنا قد شهد التقاطع المتفجر للمحاور الثلاثة المميزة لتطور الاسلحة. إذ ادرك تطورات المدى والسرعة والقدرة القتالية خلال الخمسين سنة الأخيرة. وهذه الحقيقة كافية لتوصيف هذه الفترة بعبارة " ثورة في فن الحرب ".

حروب الخدعة

في الفصل العاشر من القسم الثالث، يقدم لنا المؤلف رؤية استشرافية للمستقبل وشكل الحروب فيه. إذ ينبه توفلر لإمكانية حدوث تغييرات اكثر أهمية في فن الحرب. وهي توشك على إحداث تغييرات نوعية في الحروب والحروب المضادة المقبلة. بل أنها تطرح أسئلة جديدة وغريبة على كل أولئك الذين يحاولون تحقيق السلام أوارساءه. وبعض هذه الأسئلة يتاخم الخيالي.

فكيف سيواجه العالم تلك الحروب الصغيرة التي لا تكف عن الاندلاع،. ومن سيسيطر على الفضاء الخارجي وعلى أجواء الأرض،. وهل يمكن التنبؤ و/ أواحتواء حروب دامية قادمة ستخاض قريباً في ميادين قتال تزدحم بـ (الحقائق الصورية) و(الذكاء الاصطناعي) وتستخدم اسلحة مستقلة بذاتها،. وهي اسلحة تبرمج لتقرر من تلقاء نفسها متى تضرب ومن تضرب؟ فكيف يمكن للعالم موجهة تهديدات هذه الحروب،. وهل عليه أن (o%b – أوأن يقتني – فئة كاملة وجديدة من الأسلحة المعدة لحرب بدون إراقة دماء؟

إن شكلاً جديداً للحرب هوفي طريقه للإرصان. وهولا ينبثق مكتملاً من فكرة ما (مهما كانت صحة هذه الفكرة). كما أنه لا يخرج من دراسة تأتي بعد فوات الاوان (وقوع حرب واحدة وفق الشكل الجديد الغامض حتى الآن). لكن هذا الشكل الجديد

للحروب سيكون نتاجاً لجملة العوامل التي ستنتج نظاماً جديداً لتكوين الثروات (للمصالح). وهونظام سيتخذ صورة الحضارة الجديدة. وهوسيظهر ويتطور بمقدار نجاح تلك الحضارة وذلك النظام في تغيير العالم.

حروب الفضاء

يشير توفلر الى أحد الأشكال الجديدة للحروب القادمة وهوشكل حرب الفضاء. حيث الجيوش المتخاصمة لعدد كبير من البلدان، أصبحت شديدة الارتهان للصواريخ وللاقمار الاصطناعية، بحيث لا يمكنها تجاهل الفضاء.. فاتساع الفضاء سيكون عاملاً أساسياً في تحديد شكل حروب المستقبل. وبهذا يضيف توفلر بعداً رابعاً للحرب. ويعطي عليه المثال عبر حرب الخليج الثانية. حيث يذكر المؤلف بملاحظات أنسن وكومبنغس: " أن الفضاء حول المجرى العام للمعركة وانقذ بشراً، الفضاء اعطى صوراً تفصيلية للقوات العراقية وللخسائر التي سببتها غارات التحالف الجوية.. لقد انذرت بشكل مبكر عن اطلاق صواريخ سكود.. والفضاء أمّن نظام ملاحة ذا دقة مدهشة اثر على أداء كل مقاتل، وكذلك بقية صنوف الاسلحة ".

هكذا يستنتج المؤلف بإن حرب الموجة الثالثة كما الحرب – المضادة للموجة الثالثة – سترتبط اكثر فاكثر بالاعمال التي ستجري في البعد الرابع الذي يتعدى الأرض. وهكذا فإن إرساء السلام على سبيل الوقاية يجبرنا أن ننظر إلى ما يتعدى الزمن الحاضر. والمسألة هنا لا تتعلق ببساطة بالدولارات (المصالح) وإنما تتعلق بقدر الإنسانية ومصيرها. فإذا ما فشل دعاة السلام المعادين للحرب، في دفع العالم للاتفاق على تدابير وقائية من هذه الحرب، فإن اطفالنا سيشهدون التنافس الفضائي وهويأخذ ابعاداً اكثر عظمة وخطورة بكثير مما هوعليه راهناً.

حرب دون اراقة دماء

اكتشفت وسائل الإعلام في العالم اجمع الأسلحة الموصوفة بـ (الذكية) بعد استخدامها للمرة الأولى بعقود عدة. إلا أن وسائل الإعلام لم تكتشف حتى الآن الصنف الجديد كلياً من الاسلحة الذكية. التي تستطيع حين يقتضي الامر امتلاك مدى ذكاء اكبر من المعروف. إنها اسلحة صممت للقتل مع ابقاء الناس إحياء. ويمكن تسميتها الأسلحة الصامتة التي لا تظهر الدماء في وسائل الإعلام.

لقد دخلنا في مرحلة من التاريخ، وصلت فيها الطاقة الفضائية الى أقصى درجاتها الخارجية: مرحلة تستطيع فيها الأسلحة النووية ،على الاقل مبدئياً، أن تهدد وجود كوكب الأرض نفسه. هذا التهديد الذي شجع العمل لإزالة اسلحة التدمير الشامل. والذي انقلب على نفسه بعد أن ادركت القوتان العظميان أن سلاحهما الاستراتيجي كان مفرطاً في قدراته الافنائية. وهذه المرحلة هي في الواقع نقطة النفي الجدلي. إنها اللحظة التي يبدأ فيها التاريخ بالانقلاب. إن عالم اليوم على حافة سباق تسلح جديد. قوامه البحث عن أسلحة جديدة تسجل حداً أدنى من القتل والإفناء. مع تحقيق الحدود القصوى من الأذى الصامت.

أسلحة صامتة

اضافة إلى التقنيات غير المميتة التي يعكف الغرب على تطويرها ،والتي تتخذ من الكائنات البشرية اهدافاً لها، فإن تقنيات أخرى صامتة تستهدف عتاد العدووبرامجه المعلوماتية (بحيث تصاب بالشلل طائرات العدو، ودباباته ورادراته، لأنه لا يستطيع استخدامها حين يكون بحاجة إليها). وهذا التعطيل يشكل خسارة فادحة للعدوالذي قدم التضحيات لتكديس أسلحة لم يستطع إستعمالها عند حاجته اليها. وهكذا يكون تعطيل استخدام المعدات هوالتصور المحوري لنظرية الحرب الصامتة.

وهكذا بدأنا نلمح تدرجاً واضحاً. فحرب الخليج لم تقدم لنا سوى نبذة شاحبة عن التطورات اللاحقة للشكل الجديد للحرب. وهذا الشكل مدعوللامتلاء خلال العقود المقبلة، ليدمج الامكانات الجديدة التي تقدمها مظاهر تقدم التقنية.. ولكن الأمور لن تتوقف ولن تستطيع أن تتوقف هنا. ذلك أن تطور شكل حرب الموجة الثالثة لن ينتهي إلا حين تفهم وتنشر جيداً وسيلته المركزية. وهكذا ربما تكون المرحلة الأخيرة من حرب الموجة الثالثة، الاعداد الواعي لشيء لم ير مثله العالم حتى الآن. انها استراتيجيات معلوماتية منافسة.. وعندئذ تصل الحرب إلى عتبة جديدة كلياً.

جنود معلوماتية

عن هذه العتبة الجديدة يقول المؤلف: بينما يتكون شكل حرب الموجة الثالثة، تبدأ سلالة جديدة من (جنود المعلوماتية) بالانتشار: مثقفون بلباس عسكري أومن

دونه يكرسون أنفسهم لفكرة انه يمكن للمعرفة أن تربح حروباً أوتحول دون اندلاعها. واستراتيجيوالمعرفة العسكرية المستقبلية، يستطيعون جيداً تصور سياسات مرهقة وعلى المدى الطويل، بغية امتصاص، لمصلحة بلدهم، جزء من القوة الذهنية للبلدان المستهدفة.. وبخلاف ذلك، ستتضمن استراتيجيات المعرفة اكثر فأكثر مشاريع معدة لتثبيط عزيمة أومنع رجال العلم أومهندسين لا يستغنى عنهم من الالتحاق بمعسكر الخصوم المحتملين. وهكذا نتحقق من الآن فصاعداً من تقدم التفكير العسكري إلى ما يتعدى المفاهيم الأولى للحرب الالكترونية، وما يتعدى التعريفات الشائعة لـ(حرب القيادة والرقابة) إلى ما يتعدى التصور الأكثر عمومية لـ(حرب المعلومات)..

ففي خلال العقود المقبلة سيضطلع عدد من افضل الادمغة _لعسكرية بمهمة تعريف افضل لمكونات حرب المعرفة، وتحديد هوية اللوحة المعقدة لعلاقاتها المتبادلة وإعداد (نماذج معرفة) فاتحين بذلك الأبواب أمام خيارات استراتيجية.. وستولد من هذا الرحم استراتيجيات معرفة طبقاً للأصول الواجبة. ذلك أن اعداد استراتيجيات المعرفة، هوالمرحلة المقبلة لتطور شكل حرب الموجة الثالثة، هذا الشكل الذي ينبغي أن يعكس شكل سلام الغد.

إن مقارنة تصورات توفلر بوقائع الحرب العراقية ،الحاصلة بعد سنوات على ظهور كتابه، تبين صحة توقعاته بتأكيد هذه الحرب على أهمية المعلوماتية في الحرب (كانت القاعدة المعلوماتية في السيلية / قطر توجه الحرب). كما تتأكد هذه التوقعات من خلال استخدام القنابل الصوتية وخصوصاً من خلال تجنب معركة بغداد التي سقطت بمعركة صامتة وفق تعبيرات توفلر. كما أن الانصاف يدفعنا للتذكير بوعود أميركية بحرب نظيفة (صامتة) وإن لم يتمكن الاميركيون من تحقيق هذه الوعود.

لكننا سنختلف مع المؤلف في نقاط أساسية لونحن حاولنا قراءة هذا الكتاب على ضوء الحرب العراقية. ذلك أن القنابل الصوتية المستخدمة في هذه الحرب تجبر توفلر على إيجاد مصطلح بديل للحرب الصامتة لأن هذه القنابل تعتمد على الضجة الكبرى. كما نختلف معه على كمية الدماء المتوقع اراقتها في الحروب القادمة. حيث لم يقتصد الأميركيون في إراقة الدماء وفي إيقاع الأذى الجسدي بعشرات الآلاف من

العراقيين. مع تمكن وقدرة على منع ظهور هذه الدماء في وسائل الاعلام. لكننا نفضل التريث في مناقشة طروحات المؤلف حول الحرب المقبلة لإعتقادنا بإندفاع بوش وصقوره لإستغلال فرصة استخدام القوة التدميرية الأميركية قبل فوات الأوان.

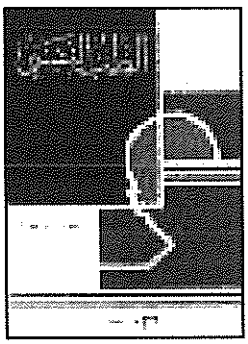

العنوان:الطب النفسي

المؤلف: د. عادل صادق

الناشر: الدار السعودية للنشر والتوزيع

أي مادة تتكون من ذرات.. وهذه الذرات تتماسك فيما بينها بواسطة شحنات كهربائية.. وهوتماسك من أصعب تفتيته.. وهذا التفتيت يعني تمزق وخراب.. والخراب الأكبر يأتي من تفتيت الذرة نفسها.. إنه الدمار الذي ينهي وجودها ذاتها ويمحق كل ما حولها.

وهكذا الإنسان.. كيان يتكون من خلايا تتلاقى وتتواصل وتتماسك بنظام متكامل متآزر متناغم يعمل تحت إمرة عضوعملاق يتكون من أثنى عشر بليون خلية اسمه المخ.. والمخ يسيطر على كل جزء في جسم الإنسان.. يتلقى المعلومات من الجسم ومن البيئة المحيطة به في صورة إشارات عصبية.. يحللها ويعيها ويدرك من خلالها احتياجات الجسم أوالموقف.. ومن ثم يصدر أوامره.. عن طريق إشارات عصبية حركية هابطة، أي تنزل من أعلى لأسفل فتتحرك اليد أوتنطلق القدم أوتنبسط عضلات الوجه باسمة أوتتهيج الغدد الدمعية باكية..

هكذا الإنسان كيان متماسك ومتواصل كهربائيا.. أوهكذا جسم الإنسان..

ولكن هناك بعدا آخر للإنسان.. هناك كيان آخر.. هناك ذات أخرى غير تلك الذات المادية التي تتحرك وتروح وتجيء وتنام وتستيقظ وتأكل وتتنفس وتشم وتسمع وترى.. ذات أخرى تفضل وتميز وتكرم بها الإنسان.. ذات علا بها الإنسان فوق نطاق المادة إلى عالم اللا أشياء، حيث لا أشياء تلمس باليد أوترى بالعين

أوتشم بالأنف أوتذاق باللسان.. إنما هي ذات ذراتها عواطف وأفكار وأخيلة وألحان وأنغام ومعان.. وهذه الذرات تتماسك وتتواصل بشيء آخر غير الكهرباء.. إنها تتماسك بالحب.

هذه الذات تسمى النفس.

.. وتهوي النفس مريضة أي متفككة إذا مات الحب بين خلاياه

.... وهوحب ثلاثي..

.. حب الإنسان لخالقه.. وحبه لنفسه.. وحبه الناس..

والموت يتم تشخيصه عن طريق جهاز رسام المخ الكهربائي. فإذا توقف المخ عن استقبال وبث الشحنات الكهربائية فإن هذا يعلن نهاية الجسد لأن كل خلية تصبح منفصلة عن بقية الخلايا.. الموت هوانعدام التماسك والتواصل بين خلايا الجسم.. وحين يمرض جزء من الجسد فإن هذا معناه أن خلايا هذا الجزء قد اختلفت وبالتالي قد انفصلت عن بقية النسق المتآزر المتناغم.. وهذا يؤدي إلى حدوث خلل في الوظيفة أوإلى الإحساس بالألم..

.. وكما يموت الجسد أويمرض فإن النفس أيضا تموت أوتمرض....

والمرض هوخلل في الوظيفة أوإحساس بالألم أوكلاهما.

وهذا الكتاب عن أمراض النفس.. عن النفس التي تتألم أوتضطرب في أداء وظائفها.. عن النفس التي تفقد تماسكها فتتفكك وتتبعثر.. ونبحث معا عن السبب فنجد أن هذا الإنسان إما أنه فقد حبه لخالقه فأصبح ريشة ضائعة تافهة تتقاذفها الرياح في كل اتجاه بلا هدف.. وإما أنه فقد حبه لنفسه فأصبح يرى ذاته عديمة الجدوى عقيمة، وبالتالي أصبح وجودها أواستمرارها بلا معنى، وإما أنه فقد حبه للناس فأصبح الوجود جحيما والاستمرار عذابا وتصبح اليد التي تصافحه كأنها معدن ملتهب والعين التي تطالعه كأنما تنفث فيه سحرا أسود يريد أن ينهي وجوده..

.. يعيش هذا الإنسان متألما أوميتا أوكارها ورافضا للحياة..

.. وبهذا- أيها القارئ- أكون قد قدمت لك ملخصا للكتاب في بدايته.. ملخصا لمعنى المرض.. اما التفاصيل فستأتي بعد ذلك تباعا في مزيد من الصفحات. وستنتهي إلى صفحة أخيرة وهكذا لكل شيء نهاية.. والنهاية تحمل تكثيف كل

المعاني.. والحقيقة الراسخة أن الإنسان ذاته معنى.. هناك معنى لخلقه.. ومعنى لوجوده على الأرض.. ومعنى لرحيله عنها.. سلسلة من المعاني البليغة اختص بها الإنسان ليحقق معنى المعاني وهوالحب..

ولهذا فللمرض أيضا معنى.. بل هويؤكد معنى المعاني.. وهوأن أي خلل يصيب مقدرة الإنسان على الحب يزلزل كيانه ويمرضه لأنه بذلك يخل بمعنى وجوده هوذاته..

وبالكلمة تعبر عن أفكارنا ومشاعرنا..

والتعبير ضرورة للإنسان لكي يتواصل مع الآخرين.. أي لكي ينقل عواطفه وأفكاره ولكي يترجم خيالاته وأحلامه، إنه مركز في المخ مسؤول عن ترجمة المعاني إلى كلمات منطوقة يتحرك بها اللسان وعضلات أخرى تصدر الصوت..

والمعاني أحيانا تكون عميقة أبعد من متناول الكلمات أوغزيرة أكبر من حجم الكلمات، أومعقدة متشابكة أوسع من حدود الكلمات، ولهذا يشعر الإنسان بالعجز.. فيبتسم فقط معبرا عن سعادة.. أوتنهمر دمعة معبرة عن حزن.. أويعبر بالموسيقى.. أوبالرسم.. أويقوم ينسج الكلمات في قوالب غير مألوفة، في محاولة لأن يعبر عما يجيش بداخله من أحاسيس وأفكار وتصورات وخيالات..

.. في محاولة لأن يقول..

.. ولا بد للإنسان أن يقول..

.. وهذا هومعنى الحرية..

ولأن المرض يكسر أويفتت جهاز التعبير- أي النفس- فإن المرض يصبح سلبا لحرية الإنسان..

وأتذكر مريضا وصف حالته لي بقوله: أشعر أنني في داخل سجن أصغر من حجم جسدي.. ومريضة أخرى قالت: أكره جسدي.. أشعر أنه قد تحول إلى سجن لنفسي.. ومريض آخر قال: أشعر كأنما تقطعت ساقاي وذراعاي.. إنه العجز بكل معانيه.. وحين يقول المريض: ضاقت الدنيا في عيني.. وحين تقول المريضة في كل مكان أذهب إليه يطاردونني، حتى أصبحت الدنيا بالنسبة لي سجنا كبيرا..

.. هذه الأنات توضح كيف أن هذه الأمراض تسلب الإنسان حريته.. حريته في

التفكير.. حريته في الإحساس.. حريته في التعبير..

وتصبح الحرية مرادفة للصحة النفسية.. وهناك حد أدنى من المعلومات الطبية في كل الفروع لا بد أن يكون متوافرا لكل إنسان.. ففي ذلك وقاية من المرض.. أووصول إلى اكتشاف المبكر قبل حدوث المضاعفات، أوتأكيد للمساهمة في العلاج حتى يتحقق الشفاء أومساعدة الآخرين ومساندتهم في محنتهم..

المعرفة في كل صورها نور وقوة.. والنور والقوة كلاهما دعامتا الحرية..

والحرية هي الصحة النفسية..

ولا يتحقق أي من هذه المعاني إلا بالحب.. حب الإنسان لخالقه.. وحبه لنفسه.. وحبه للناس..

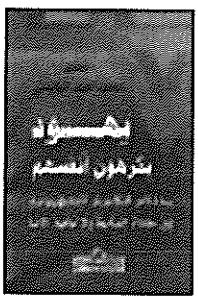

العنوان : يهود يكرهون أنفسهم

المؤلف: محمد احمد النابلسي

الناشر: دار الفكر / بيروت – دمشق

عرض بقلم: د. رفعت سيد أحمد

عندما قال شارون ذات يوم واصفاً حربه ومجازره ضد الانتفاضة الفلسطينية الباسلة المنطلقة منذ ٢٠٠٠/٩/٢٨ إن حرب ١٩٤٨ لم تنته بعد لم يكن في ذلك كاذباً رغم أنه سفاح كذوب، بل كان معبراً وبحق عما يختزنه عقله، وعقل كيانه السرطاني من رؤى وسياسات، ومؤامرات، فما يحدث اليوم في فلسطين وبمباركة أمريكية واضحة هو تأكيد فعلي أن هذا الصراع المستمر منذ ١٩٤٨.

كل ما يسمى بالسلام والمفاوضات والتسوية ليس سوى أوهام أريد بها التغطية على الاحتلال في طوره الجديد، وإكساب الغدة السرطانية العدوانية صفة الدولة والكيان المسالم الراغب في إحلال السلام وهذا غير صحيح بالمرة، يدرك أي عاقل حتى لو كان يهودياً، المهم أن يكون موضوعياً، وأن يكون غير مشارك في بناء هذا الكيان، ومن ثم غير مقيم فوق أرض فلسطين، فمجرد الإقامة من وجهة نظرنا عدوان ومشاركة في الظلم التاريخي الذي يمثله وجود هذا الكيان الصهيوني خير تمثيل بهذا المعنى يمكن قراءة إسهامات لفيف من المثقفين والمفكرين اليهود، الذين اكتشفوا زيف هذه الدولة ومدى عدائها لأبسط القيم الإنسانية المفترض أن

تحملها اليهودية كرسالة سماوية؟

في هذا الإطار يقدم د. محمد أحمد النابلسى في كتابه يهود يكرهون أنفسهم – الصادر في أكتوبر ٢٠٠٢ عن دار الفكر – دمشق نماذج مهمة من هؤلاء وأعمالهم، منهياً هذه النماذج بمن يسمون بالمؤرخين الجدد، منتقداً ظاهرتهم ومطالباً بعدم الانخداع فيها وبضرورة أن ينظر إليها بموضوعية وفي سياق الصراع ككل.

فماذا عن هذه النماذج؟.. ذلك موضوع سطورنا التالية:

١ – طائفة نيطوري كارتا: من الأسماء والحركات اليهودية التي ترفض قيام «إسرائيل» من الأصل يشير المؤلف إلى جماعة تدعى طائفة نيطوري كارتا ويتزعمها حاخام يدعى موشى هيرش، ويلتزم أتباع هذه الطائفة بما يسمونه بتعاليم الله الواردة في التوراة الأصلية، فالله من وجهة نظرهم وكما يقولون نصاً: قد منحنا أرض فلسطين ذات يوم، ولكنه عاد وانتزعها منا بسبب المعاصي التي ارتكبها اليهود والحرب التي أعلنت ضده، لذلك أمرنا ألا نعود إلى هذه الأرض بالقوة، وأن ننتظر أوامره كي نعود، لكن هذه الأوامر لم تظهر حتى الآن، وهذا يعنى أن استعادتنا لهذه الأرض هي خطر على الأمة اليهودية، وخصوصاً أن «إسرائيل» قد تأسست بالقوة، وكانت بذلك حرباً على الرب وعصياناً لأوامره، ونحن لا نشارك في هذه الحرب ولا في عصيان الله، لذلك نعلن أن لا علاقة لنا بالصهيونية، فنحن حراس التعاليم التي تنتهكها هذه الحركة، كما أننا لا نؤمن بإسرائيل ولا نؤيدها لأنها مخالفة للتعاليم، وهى مجرد مشروع استثماري تستفيد منه الصهيونية، ونحن إذ نعيش على أرض فلسطين فذلك من أجل خدمة الرب وليس من أجل اغتصابها كما تفعل الصهيونية الخالية من أية قداسة، فهي تتحدى الله وتصارعه وتعلن الحرب عليه، وهذا ما يجعلها خطراً على اليهود واليهودية، وبناء على ما تقدم فإن الطائفة تعتبر «إسرائيل» دولة غير شرعية وقيامها يعاكس إرادة الله وأوامره، ومن ثم فإننا لا نعترف بها، ونحن نعلن عدم اعترافنا هذا بالإصرار على نيل تأشيرة دخول فلسطينية على جوازنا الإسرائيلي للعودة إلى فلسطين بعد سفرنا منها، بالرغم من أن حملنا للجواز الإسرائيلي يسمح لنا بالعودة دون شروط.

٢ – الفيلسوفة حنا آراندت: حنة آراندت امرأة متميزة ليس فقط من حيث انتماؤها إلى ندرة من النساء اللواتي حظين بحضور مرموق في مجال الفكر

الفلسفي، وإنما أيضاً من حيث حيازتها على لقب عدوة اليهود ابتداء من عام ١٩٦١م وهو لقب أشد وقعاً واتهاميه من تسمية اليهودي كاره نفسه.

٣ – موريس جاكوبي: يبلغ هذا المفكر العجوز الخامسة والثمانين من عمره، وهو إسباني الأصل يعيش في فرنسا بعد أن ضاقت به إمكانية العيش في "إسرائيل" التي سجنته عدة مرات بسبب آرائه مما جعله يردد أن للديمقراطية الإسرائيلية أسناناً حادة، وهو يخاف من أسنانها على أولاده وأحفاده المستمرين في العيش داخل «إسرائيل». هذا العجوز لديه كتاب من ٦٥٠ صفحة لا يجد له ناشراً، والكتاب يحمل عنوان: " إسرائيل أرض حرب وفلسطين أرض سلام ".

٤ – ماتيو ليفين: الصحفي اليهودي الجنوب أفريقي (ماتيو ليفين) نشر في جريدة Evenning Standard اللندنية مقالة ذات طابع أدبي . وجداني كفيلة بتصنيفه في عداد اليهود كارهي أنفسهم وحملت المقالة عنوان لماذا أخجل من كوني صهيونياً؟.

٥ – فرويد يدحض الأساطير اليهودية: في كتابه المعنون موسى والتوحيد يتصدى فرويد لمناقشة عميقة للتراث اليهودي . الديني ولأساطيره، وهي مناقشة حاول اليهود المعاصرون لفرويد التقليل من شأنها، فاعتبروها خارجة عن مألوف كتابات فرويد ومجاله، كما ربط بعضهم بين موقفه من موسى وبين تمرده على أبيه، ومن ثم بين الدافع لكتابة هذا الكتاب وبين عقدة أوديب، ويرى آخرون منهم أريك فروم أن براهين الكتاب ضعيفة، وهي أقرب إلى براهين التماثلات، وأن الكتاب حافل بالاستدلالات الضعيفة.. إلخ.

لكن الصهيونية لم تستطع أن تهون من شأن الآراء الواردة في الكتاب، كون هذه الآراء تصيبها في صلب عقائديتها التي يكاد فرويد يدحضها دحضاً كلياً.

وأيضا لـ فرويد رؤية مهمة قدمها د. النابلسي في كتابه يدحض بها أسطورة شعب الله المختار.. في هذا المجال يقول فرويد: وإنه لمما يبعث على دهشة أكبر أيضاً أن ترى هذا الإله يختار لنفسه على حين بغتة شعباً من الشعوب ليجعل منه شعبه المختار، ويعلن أنه إلهه، هذه على ما أعتقد واقعة يتيمة في تاريخ الأديان الإنسانية، فالله والشعب والأديان الأخرى لا ينفصلان أحدهما عن الآخر، ويؤلفان كلاً واحداً منذ الأزل، وقد يحدث أحياناً كما هو معروف أن يختار شعب من الشعوب

إلهاً جديداً، ولكن لم يحدث قط أن اختار إله من الآلهة شعباً جديداً.

ثم يعود فرويد ويتساءل: لقد كانت الشروط السياسية لدى اليهود تتنافى مع تحول الإله القومي المحض إلى إله كوني، فمن أين تأتى لهذا الشعب الصغير، البائس والعاجز، صلف الادعاء بأنه الابن الحبيب للرب؟.

كما يتابع فرويد: لقد كانت إمبراطورية الفراعنة هي العلة الكامنة وراء ظهور الفكرة التوحيدية، واجتثت هذه الفكرة من تربتها كي يتبناها شعب آخر هو الشعب اليهودي بعد فترة كمون، وهذا الشعب صانها وحافظ عليها وكأنها أثمن ما يملك إطلاقاً، في حين أنها أتاحت له في المقابل أن يبقى وأن يستمر على قيد الحياة إذ أفعمته بالكبرياء والاعتزاز لاعتقاده بأنه شعب مختار، إنها ديانة الأب البدائي التي يناط بها الأمل بمكافأة تمييز أو إيثار وأخيراً بسيطرة على العالم، وهذه الأمنية الوهمية الأخيرة لا تزال موجودة بعد حقبة من تخلى اليهود عنها.

٦ – نعوم تشومسكي: نموذج خاص لكره الذات: يقول د. النابلسي عن هذا المفكر اليهودي الأمريكي: إنه بالرغم من شيوع تهمة يهودي يكره نفسه لا سامية الأنا بين اليهود، وبالرغم من زيادة التجرؤ على توجيه هذه التهمة منذ قيام عصبة مكافحة التشهير اليهودية فإن هذا المصطلح لم يصل إلى الشهرة العالمية إلا عندما تحول إلى لقب يهودي لنعوم تشومسكي فشهرة هذا المفكر أعطت للمصطلح شهرته العالمية.

والحقيقة أن ما يجعل من تشومسكي نموذجاً خاصاً لكره الذات اليهودية يتعلق بشهرته، فهو أشهر المفكرين الأمريكيين في العالم الثالث والدول النامية على الإطلاق، بغض النظر عما إذا كان يهودياً يحب نفسه أو يكرهها.ة خصوصية تشومسكي نموذجاً تأتي في رأى د. النابلسي من مجموعة عوامل أبرزها إدانته لهذه الدولة الصهيونية وعنصريتها وللولايات المتحدة ومساندتها الفجة لها.

كتابات تشومسكي المهمة تأتي لتغذى جميع النزعات الفوضوية الأمريكية ولتثبت علاقة اليهود و" إسرائيل " بالأزمات الأمريكية، ومعاناة دافع الضرائب الأمريكي من جراء دعم " إسرائيل "، وبهذا يكون تشومسكي العدو الأكثر فاعلية للصهيونية، وهو يستعد لحضور مراسم دفنها وهو في السبعين، وبهذا فإن تشومسكي رجل يحب نفسه ويحب اليهود، ويعمل على إنقاذهم من الصهيونية التي

يكرهها، فهو إذن كاره للصهيونية وليس لنفسه وعلى درب تشومسكي وإن باختلاف ظاهر صار نفر من الباحثين اليهود تحدث عنهم الكتاب تفصيلاً مسمياً إياهم بالمؤرخين الإسرائيليين الجدد ومنهم توم سيجيف – بيني موريس – آفي شليم – إيلات بابي – زئيف ستيرنهل – يهودا بن ناخمان – إيلي نافيه – سيمحا فلابان – إسرائيل شاحاك وغيرهم.

على أن غالبية الإسرائيليين لا تزال مصرة على المساواة بين كره اليهودية وكره الصهيونية، ونحن العرب – كما يقول د. النابلسي – لنا مصلحة في استمرار هذا الإصرار، كونه العنصر التفككي الحقيقي للشيزوفرانيا الإسرائيلية، التي بدأت تترسخ ملامحها عبر تعمق صراع الهوية في " إسرائيل "، وربما أدى ذلك يوماً إلى نهاية هذا العصر الأمريكي – الصهيوني بكل ما حفل به من طغيان واستغلال واستعمال للشعوب، وسرقة للأوطان كانت فلسطين أبرز نموذج لها، ولا نملك في نهاية هذا العرض الموجز لأبرز أفكار كتاب يهود يكرهون أنفسهم سوى أن نزجي التحية لمؤلفه ولناشره، على ما قدماه وأضافاه للمكتبة العربية من علم وفكر في قضية مصيرية ومركزية، فتحية لهما معاً.

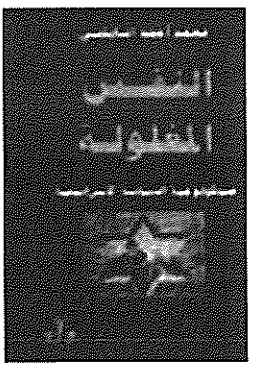

النفس المغلولة
سيكولوجية السياسة الاسرائيلية

المؤلف: محمد احمد النابلسي

الناشر: مركز الدراسات النفسية ط٢/٢٠٠٢م

يقدم الكتاب تحليلاً نفسيا لبعض المواقف الإسرائيلية. عبر استبطانته للاشعور اليهودي المنتج لهذه المواقف والمحدد لاتجاهاتها. في سبيل ذلك يقوم المؤلف بتوظيف الانثروبولوجيا النفسية والسيكولوجيا لتوضيح مواقف اسرائيلية، مثل المراوغة والاحتيال في المفاوضات ومحاولات الاختراق الاسرائيلية تحت مسمى «التطبيع» وايضا زيارة شارون المشؤومة للاقصى.. الخ من مواقف الخداع الاسرائيلي. وكان لا بد للمؤلف من البداية بتقديم تحليل نفسي للشخصية اليهودية ويخلص من خلالها الى التقرير بعجز اسرائيل عن اقامة علاقة طبيعية مع الآخر. لذلك فان السلام يثير الرهاب والهلع لدى الاسرائيليين. من هنا فهي تسخر قوتها وقدراتها على الاحتيال والخداع لتجنب كأس السلام.

فالنفس الاسرائيلية يستعبدها المال وتكبلها الشائعات وتخنقها الاساطير... انها النفس المغلولة.

اصدارات مركز الدراسات النفسية

طرابلس ـ لبنان ص.ب 3062 التل/ فاكس 961-6-438925 هاتف 961-6-441805

1. **سيكولوجية السياسة الاسرائيلية – النفس المغلولة**
اصدار 2001 (عشرة دولارات)

2. **سيكولوجية السياسة العربية – العرب والمستقبليات**
اصدار 1999 (عشرة دولارات).

3. **العلاج النفسي للاسرى وضحايا العدوان**
اصدار 2001 (عشرة دولارات).

4. **الصدمة النفسية – علم نفس الحروب والكوارث**
(ستة دولارات).

5. **الثقافة النفسية المتخصصة**
(مجلة فصلية)
ـ اشتراك سنوي 40$
ـ اشتراك شامل 100$
ـ اشتراك مؤسسات 100$
ـ اشتراك مدى الحياة 500$
ـ مجلة عام سابق 40$
ـ اشتراك اعلاني (يتفق عليه).

6. **اصول الفحص النفسي ومبادئه**
ط 3 (عشرة دولارات).

7. **قراءات مختلفة للشخصية – تحليل لشخصيات**
نجيب محفوظ. (ستة دولارات).

8. **المعجم النفيس**
مصطلحات طبية ونفسية وعصبية
(ذياب والجراية وعمار) (اربعون دولار).

9. **الدليل النفسي العربي**
(عشرة دولارات).

10. **معجم مصطلحات الطب النفسي**
(عشرة دولارات)

سلسلة كتب الثقافة النفسية التخصصية
كتاب في محاور
يحرره أ.د. محمد احمد النابلسي

سيكولوجية الحروب العربية

الحرب العراقية نموذجاً

جماعة من الباحثين

- سيكولوجية الحرب النفسية الأميركية / أ.د. محمد حمدي الحجار.
- تقنيات الحرب النفسية في العراق / أ.د. محمد احمد النابلسي.
- هموم الاختصاص / أ.د. جمال التركي.
- بكاء أفهمه وبكاء لا أفهمه / أ.د. عبد الستار ابراهيم.
- الشخصية العراقية / الباحث أحمد موسى.

مركز الدراسات النفسية والنفسية ـ الجسدية
Centre d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S
طرابلس ـ لبنان ـ شارع عزمي ـ بناية قاديشا ـ ص.ب. 3062 ـ التل
تلفون: 961.6.441805
فاكس: 961.6.438925
E.mail: ceps 50 @ hot mail.com.

سيكولوجية الحرب النفسية الأميركية
الأسس والمبادئ والممارسة

د. محمد حمدي الحجار[٢]

مقدمة : منذ انهيار الاتحاد السوفياتي واندلاع حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ تتعرض دول منطقة الشرق الأوسط وإيران إلى حملة نفسية وحرب سياسية منهجية منظمة ومدروسة من قبل إدارات الولايات المتحدة الأميركية.ذلك أن طبيعة ونزعات هذه الإدارات هي هجومية عسكرية لأن رجالها هم إما أصحاب شركات ضخمة أو لهم أسهم في هذه الشركات أو أنهم مدراء بارزين (حاليين أم سابقين) في هذه الشركات. التي توظفهم لخدمة مصالحها بما يزيد من ثرواتهم. وهؤلاء يعملون سواء في مجال تجارة النفط أو المصانع الكبيرة التي تختص بالصناعات الحربية على اختلاف أنواعها. والتي تمتص ميزانية التسليح وتطوير الأعتدة بعقود تقدر بالمليارات من الدولارات. فالشراكة بين جنرالات البنتاغون وشركات الصناعات الحربية هي التي تقرر السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأميركية.وقد سبق للجنرال والرئيس السابق دوايت إيزنهاور وأن حذر الشعب الأميركي من سيطرة هؤلاء على السياسة الأميركية.

ومن العروف أن الحرب السياسية والحرب النفسية الأميركية هي أداة تنفيذ للسياسة الخارجية الأميركية وعمودها الفقري. وفي هذا الصدد يقول جيمس بلدوين،نائب أدميرال البحرية الأميركية، في كلمة تقديمه لكتاب بعنوان " الحرب السياسية ":

" غالبا ما تعرف الحرب باستخدام الوسائط العسكرية بغرض تسريع النهايات السياسية وأن هناك وسائط تبدو أكثر مكرا هي الحرب النفسية السياسية التي تستخدم الصور والأفكار والخطابات والشعارات والدعاية والضغوط الاقتصادية والتقنيات الإعلامية وذلك من أجل التأثير على السياسية للخصم".

إن هذا التحليل لأهداف الحرب النفسية أصبح ممارساً بوضوح اليوم. حيث نشهد ممارسات الحرب النفسية بكل زخمها منذ التسعينات. والتي بلغت ذروتها في الحملة العالمية التي تشنها الولايات المتحدة الأميركية ضد الإرهاب. وإسقاطات هذه الحملة المخيفة على أزمة العراق. مع ما يلوح معها من نوايا التدخل الأميركي المستقبلي السافر في شؤون البلدان العربية. وما ينتظرها من عقابيل خطرة مهددة لكيانات دول هذه المنطقة. وذلك تحت شعار إعادة ترتيبها سياسيا واقتصاديا وغيرها من الشعارات الأميركية. إن الإدارة الأميركية اليوم تشن حربا نفسية ضروساً على العالمين العربي والإسلامي وحتى على شعبها الأميركي ذاته. وقد استثمرت هذه الإدارة أحداث ١١ أيلول لتطلق حربها المعدة سابقا والمحددة السياسة إدارة بوش الخارجية. خاصة في منطقة الشرق الأوسط التي تركزت عليها أطماع بوش منذ أن صعد إلى سدة الرئاسة. وأن رفض هذه الإدارة لتعريف الإرهاب،وتحويل ذاتها مرجعية تحدد تهمة الإرهاب وتطلقها على كل سلوك أو حدث أو دولة يعارض سياستها، هو غطاء يسهل تمرير سياسات الإدارة. حتى أصبح الرد على الإرهاب عماد الحرب النفسية وأعطاها الزخم بحيث لا يقف في وجهها أي مانع أو عائق.

إن أهداف الإدارة الأميركية، الخفية والحقيقية، تجاه العراق غير خافية عن أي عين سياسية أو فكر سياسي أو إقتصادي. إلا أنه وللأسف، وبفعل قوة الحرب النفسية التي تشنها الإدارة الأميركية على الدول العربية – وحتى مؤخرا على بعض الدول الأوروبية، بات جوهر الحرب النفسية متركزاً على العراق. مما شكل قناعة،لدى بعض الدول العربية على الأقل، بضرورة تلبية طلبات (أوامر) الإدارة الأميركية. والأصح الخنوع لهذه المطالب لتفادي الحرب ضد العراق. والاهم من ذلك أن أهداف أميركا من وراء إسقاط الحكم في العراق باتت معمورة تماما بالادعاءات الكاذبة التي يصنعها خبراء الحرب النفسية في البنتاغون. الذين نجحوا في تسويق أعذارهم وادعاءاتهم، التي أطلقوها لتبرير الحرب حتى انطلت علينا وصدقناها. بل نحن سعينا لتفشيلها وكأن هذه الإدعاءات المعلنة هي الأهداف الحقيقية للحرب الأميركية. أي بتعبير أخر فهم اخترعوا الأكاذيب ومن خلال تكرارهم لها بكل الوسائل أصبحنا نصدقها ونحاول الالتفاف عليها لتفشيلها!. دون أن نكشف

الأهداف الحقيقية،غير المعلنة، ونركز عليها إعلاميا وبكثافة لفضحها. لأنها الوسيلة الحقيقية لدحض التبريرات الدعائية الكاذبة للإدارة الأميركية كي تشن حربها العراقية. وهذا قصور كبير من جانب العرب و إشارة على جهلهم بالآثار العميقة للحرب النفسية. فهل هم يتجاهلون أو يجهلون مبادئ وأخطار الحرب النفسية؟. إن الحرب النفسية في القاموس السياسي الأميركي هي خبز السياسة وأكسير حياتها. وكي نستوعب الأهمية التي يعلقها الأميركيون على الحرب النفسية لا بد لنا من الاستفاضة في شرح الأدوار التي تلعبها الحرب النفسية في السياسة الأميركية.

الحرب النفسية " الدعاية " أسسها وممارستها في المفهوم الأميركي.

في ما يلي نذكر ببعض مقتطفات من أقوال كبار السياسيين العسكريين والمدنيين في أميركا حيال تأثيرات الحرب النفسية ومكانتها في السياسة الأميركية الخارجية. حيث يقول بول سيمث عن الحرب السياسية (باحث كبير في مؤسسة الدفاع الوطني): " إن العنصر الجوهري في الحرب ليس ممارسة القتل ولكن إجبار الخصم على أن يتصرف ويفعل وفق إرادة الطرف الآخر. والحرب النفسية هنا هي قرينة الإرادة السياسية. وبوسائطها تنخرط هذه الحرب بأشكالها المختلفة لتحقيق قدر إضافي من درجات الجبر والإكراه والممارسة ضد الخصم. ويقول هما ميدو كان (وهو من السينغال): " التثقيف الاستعماري أفضل من المدفع الذي يقهر الجسد ولكن المدرسة تفتن الروح ".

ويقول رئيس وكالة المخابرات المركزية السابق دوغلاس بلوفارب في محاضرته: " دور العمليات الخاصة في استراتيجية الولايات المتحدة الأميركية في الثمانينات" ما يلي: " على مدى سنين قدمت بعض المساعدات الأميركية بدون أن يكون لها هدف اقتصادي لإنماء الدين، وبعضها على الأقل كان برامج ترفيهية تم وضعها بغرض دعم العمليات النوعية الخاصة ".

لقد تفوقت أميركا في مجال الإعلام لأنه روح التسويق التجاري لمنتجاتها وسلعها في العالم. حتى أصبحت رائدة هذا العلم بلا منازع. وهي أولت للبحوث النفسية السلوكية في هذا المجال أهمية كبرى. وهي العلوم التي تتعامل مع السلوك البشري وأفكاره. وبالتالي فهي مساعدة على معرفة الطرق السيكولوجية التي تبدل أنماط السلوك والتفكير. وقد نجحت أجهزة الدعاية التجارية،التي يخطط لها علماء

النفس، أن تجعل من السلعة الكمالية حاجة عند الفرد. وهذا ما يدخل بما يسمى علم النفس المستهلك Consumer Psychology فقد تحولت الكوكاكولا إلى مشروب رائج والهمبرغير الى وجبة سريعة في جميع بلدان العالم وقس عليه. كما ان المفهوم الأميركي للعولمة يقوم على ترويج نموذج حضارة الولايات المتحدة الأميركية خصوصا والبلدان الصناعية عموما. حيث تعمل العولمة/ الأمركة على ترويج دعائي منهجي موجه لإحلال نمط الحياة الأميركي مكان السلوك والمعتقد والاستهلاك والفكر السياسي.

أما على مستوى توظيف الدعاية في المجال السياسي فإن الأفق هنا يتسع. إذ تأخذ هذه الدعاية أبعادا وأنماطا متعددة. فهناك أنماط الاتصالات التي تهدف الى تحقيق إقحام ذاتي في التركيب المعرفي للفرد،. حيث المتعرضون للدعاية لا يدركون أنها مجرد دعاية. مثال ذلك الأخبار الناقصة المشوهة أو المزيفة التي تعرض علينا يوميا" في الأخبار. وخاصة منها تلك المتعلقة بما يروج له الأميركيون على أنه إرهاب. ومن هذه الأخبار تلك المتعلقة بتعقب القاعدة (وغيرها من الأهداف الإرهابية الأميركية) ورصد رجالها وأهدافهم التخريبية. التي تحولت إلى برنامج مدروس لتخويف الجمهور الأميركي بها بدون التحقق من صحة الخبر. إذ يطرح الإعلام الأميركي هذه الشائعات كحقائق موضوعية. وأفضل مثال على ذلك ما عرضه كولن باول في الرابع من شهر شباط عام ٢٠٠٣ أمام مجلس الأمن (بعدما هيأت وسائل الإعلام الرسمية الأميركية) مجموعة صور جوية (إدعى أنها تصور معسكرات الإرهاب في العراق، والأسلحة المحظورة والشاحنات المتحركة التي تحمل أجهزة تصنيع المواد التي تدخل في الحرب الكيماوية والجرثومية). والأهم من كل هذا تركيز باول على مخاطر غاز الأعصاب والجمرة الخبيثة حيث دخل في تفاصيل قدرتها القاتلة وبإسهاب. وذلك لإرهاب الشعب الأميركي خاصة وتبرير الحرب ضد صدام الذي صورته الدعاية على أنه يجهد لقتل الأميركيين بالتعاون مع تنظيم القاعدة. فإذا ما راجعنا عرض باول وجدنا انه عرض نفسي إيحائي. أي أنه حلقة من حلقات حرب نفسية تخويفيه للأميركيين عمادها التشويه حتى الكذب. في المقابل نلاحظ أن المفتشين لم يخلقوا رعبا" من التساؤلات حول مصير كميات غاز الأعصاب والجمرة الخبيثة. وهم تجنبوا أي تهويش عن إمكانية استخدامها من قبل

العراقيين (وهذا ما بينته الحرب لاحقاً بغض النظر عن اكتشاف هذه الاسلحة أو عدمه). هنا تبرز عملية " إقحام الخطر الوهمي في الواقع " من قبل كولن باول. وجعل هذا الخطر واقعا في أذهان الرأي العام الأميركي والعالمي لتسويغ ضرب العراق باتهامه بالتضليل واختراقه للقرار رقم ١٤٤١. وبذلك تم تصنيع شكوك امتلاك العراق لجرثومة الجمرة فحولها إيحائياً إلى واقع يهدد حياة الشعب الأميركي. وذلك بهدف توليد ردود أفعال جماهيرية تؤيد الحرب حتى خارج الشرعية الدولية. ومن تأثيرات الحرب النفسية الدعائية أنها تخترق الرجل الهامشي والحيادي (ليس مع السياسة ولا ضدها) وذلك من خلال تكرار إخضاعه للرسالة الدعائية عبر وسائل الإتصال المتعددة. ففي نهاية الحرب العالمية الثانية مثلا كان الشعب الأميركي لا يشعر بالقلق حيال الاتحاد السوفياتي الصديق ضد النازية. ولم يكن الأميركي يفكر بأن السوفيتين قد يهاجمون أميركا. ولكن ومع تعاظم تسلح الاتحاد السوفياتي كان لا بد للآلة الدعائية الأميركية من تبديل مواقف الشعب الأميركي تجاه الاتحاد السوفياتي (في حينه كان رجالات الحكومة وجنرالاتها قد تحولوا بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية إلى شغل وظائف مدنية خاصة، وعملوا كمعلقين سياسيين في وسائل الإعلام) حيث تكاتف هؤلاء لشن حملة إنذارات للشعب الأميركي ليثبتوا في أذهان هذا الشعب أن التهديد الروسي هو حقيقة واقعة. ولترسيخ هذا الإيحاء رفعوا شعارات الستار الحديدي في وصف الاتحاد السوفياتي (إعطاء عنصر الغموض) كيما يرسخوا إيحاء الخطر لدى الأميركي عن طريق تبديل التركيب المعرفي وجهاز المعتقد على المستوى السيكولوجي.وفي الخمسينات أوجد هؤلاء ملاجئ ضد الغارات الجوية لتضاف هذه الأعمال إلى ترسانة الحرب النفسية وبذلك تمكنت الحكومات من رفع درجة هستيريا الخوف من الاتحاد السوفياتي (بما يوافق الهيستيريا الأميركية الراهنة من خطر الإرهاب). من خلال هذا الترهيب اشتغلت المصانع لإنتاج كميات إضافية من الأسلحة بعد إقناع دافع الضرائب بضرورة صرف الأموال الكثيرة على بحوث تطوير الأسلحة. وهكذا وتكدست الأسلحة بكميات كبيرة حيث لا بد من مصرف لها. فنشبت الحرب الكورية تحت شعار مكافحة الانتشار الشيوعي الشمالي. وبعدها كانت الحرب الفيتنامية حيث أخذ الفرد الأميركي يشاهد فظائع ووحشية هذه الحرب على شاشة التلفزيون. بحيث أصبح

مفهوم الحرب الوقائية الشعارالذي إعتمدته الولايات المتحدة الأميركية ضد الشيوعية وأخطارها. حتى بدأ الفرد الأميركي يتساءل عن صحة ومصداقية هذه الأخطار. والملفت أن تأثير الدعاية ضد العصر الشيوعي استمر لفترة طويلة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي. ذلك أن شريحة كبيرة من الأميركيين ما زالت ترغب في أن تعتقد بأن أميركا تعيش أزمة كبيرة. وأن رجالات الحكومات المتعاقبة من صالحهم وواجبهم ترويج صناعات الحرب وتشغيل مصانع الآلة الحربية. وبذلك يتم تحقيق الربح الهائل الذي تجنيه هذه الشركات ومن ورائها المسوقة للخوف بالآلة الدعائية. بالإضافة إلى الأهداف الاستراتيجية الرامية للسيطرة على منابع النفط والثروات وإنشاء الإمبراطورية الرأسمالية الأميركية. كل هذه الأهداف تكاتفت لخلق عدو دائم الجهوزيةلأميركا (وهو العدو الذي إفتقده هنتنغتون في مقالته حول تآكل المصالح الأميركية). وبمراجعة ملابسات الحرب الباردة،وغيرها من الأزمات الخطرة التي هددت بنشوب حرب نووية كالأزمة الكوبية، نجد أن الدعاية السياسية ظلت الركن الجوهري في دعم السياسة الخارجية الأميركية. ومن خلال سباق التسلح فإن الهوس المضاد للسوفيتين ساعد عمليا على جعل العداوات تزدهر وتتضاعف حدة. وفي الوقت الذي كانت فيه الدعاية ضد الشيوعية قد صممت لتسهيل نشوء الوجود العسكري في كل أصقاع العالم فإن الأنماط الأخرى من الدعاية توجهت أكثر فأكثر نحو السلوك الاجتماعي أو ولاءات الفئة، وكان ذلك حال السنوات الأخيرة من الحرب الباردة عندما تحولت المعركة الأرضية الإيديولوجية من أوروبا إلى العالم أو الدول المحايدة في العالم الثالث.

العمليات الخفية

وصف هاري روستيزل (رئيس وكالة المخابرات الأميركية السابق) في كتابه الذي نشره عام ١٩٧٧ العمليات السرية لوكالة المخابرات الأميركية. ومنها عمليات التجسس والمكافحة والعمل السري الخفي، وصف ذلك بالتالي: " خلال الخمسينات تبنت هذه العمليات الخفية نشاطات تناولت كثيرا من المواضع اخترقت الدعاية الأميركية الرسمية وغير الرسمية. فالسياسات تضاءلت بصيغ بسيطة سوداء وبيضاء إزاء الشرق أو الغرب، العبودية أو الحرية ".

وفي أواخر الخمسينات وخلال الستينات عندما تحول الجهد الدعائي الأميركي

نحو العالم الثالث فإن هذا الخط العام البسيط لا بد من تلطيفه من اجل مجتمع جديد غير رأسمالي.

كانت العمليات الدعائية الخفية في العالم الثالث في واقع الأمر نضالا من أجل السيطرة على وسائط الإعلام. فالمحررون الأجانب وكتاب الأعمدة في الصحف قد تم تجنيدهم. كما تم شراء الصحف والمجلات ودعم خدمات الأنباء والصحافة. وكان العاملون في الدعاية يصنفون الى: عملاء بأجور (متعاونين) ومساعدين أصدقاء و أحرار واشتراكيين معادين للشيوعية وإلى ضجة يمنية بسيطة، فالحقائق والمواضيع وعناوين المحررين والمقالات كانت ترسل إلي محطات المخابرات في العالم الثالث لإعادة صياغتها واعادة تصنيعها لتلائم شروط الإستهلاك المحلي. فالقصص المثيرة تنشر في وسائط صديقة ويعاد نشرها حول العالم. ومن الطبيعي أن تكون تكلفة هذه الدعاية الخارجية، والهجومية على نطاق واسع، تكلفة باهظة. فإجراء الاتصالات وتجنيد العملاء والقيام بعمليات جديدة وإيجاد فئات أمامية وغسيل الأموال وإيجاد رسائل ومواضيع وإخفاء حقيقة الانخراط الخارجي هي عمليات باهظة التكلفة. ويضاف اليها تكلفة وسائل التأكد من أن الأفكار المناسبة قد بثت عبر الأثير بصورة واضحة وبأسلوب مناسب للسكان المحليين. وهذه المصاريف لا يمكن تبريرها إلا وفق قواعد (أ) إنفاق المخابرات الأميركية.

هذا وتعمل الدعاية المخابراتية على زراعة وتجذير بعض المواقف المعدة لدعم السياسة الخارجية. ويجب أن يكون إعداد هذه المواقف مدروساً بدقة حتى يقابل بالاستحباب من قبل الجمهور – الهدف. وبكلمات أخرى فإن المتلقي يمكن أن يهدأ من خلال الاعتقاد بشيء ما. وبدون هذا الإعتقاد فهو سيرفض هذه المواقف بإعتبارها ضد المصلحة الذاتية للأفراد أو للجمهور أو للجماعة. وحقيقة الأمر أنه من الممكن قيادة المتلقي بدقة وبصورة منهجية نحو مجموعة خاصة من المعتقدات والمواقف. وهي قيادة خطرة، لأن مصدر الإيديولوجيا ودوافع راعي البرنامج هي دوافع مجهولة من قبل المتلقي. لذلك يلجأ صناع الدعاية لإستخدام معاونين محليين (لمعرفتهم بالمزاج المحلي). مع الحفاظ على سرية تمويل العمليات الجديدة الداخلية. وهذه السرية تؤكد على حاجة الدعاية لتزييف الحقيقة كي تكون مقبولة. فالدعاية تحتاج إلى رسالة message يجب أن تصاغ بدقة وإتقان لتكون قابلة

للتصديق. حتى تبدو وكأنها حقيقة تأتي من داخل الجماعة المستهدفة. لذلك تعرف هذه الدعايات بالدعاية الخفية المخربة أو الدعاية السوداء. وهي عموماً مقبولة من الإدارة السياسية على أساس أن محتويات الرسائل الدعائية،الداعمة للحملات السياسية، هي معلومات مزيفة وكاذبة. وكما ذكر Rostke في مذكراته فإن العمليات السوداء يجب أن تنفذ بالوكالة أو عبر مصدر سري مجهول كي يتم إخفاء المصدر الحقيقي للدعاية المبثوثة. لأن الطرف الآخر يفضح الدعاية عندما يكتشف مصدرها. مثال ذلك أن تقوم الإذاعة السوداء،التي تبث من آسيا الوسطى، ببث وثيقة مزيفة توحي بصدورها عن مصنفات سرية من السفارة السوفياتية. وهذه الدعاية (الشائعة) تحتاج إلى خبير بالمزاج المحلي والى تمويل سري كما تحتاج إلى مساهمين متعاونين. فالدعاية من هذا القبيل (وبخاصة إذا ما نفذت خلال مدة طويلة بتصميم من أجل تحقيق تبدلات سياسية أو اجتماعية) هي جزء من انتصار أكبر يسمى الحرب السياسية[٢]. وتكون مثل هذه الدعايات مصحوبة بالضغوط الديبلوماسية الملائمة. وذلك على غرار ما تمارسه الولايات المتحدة حالياً على بعض الدول العربية (محمد الحجار) وضد القادة الوطنيين فيها. كما تمتد هذه الضغوط الى الاقتصاد والمساعدات الاقتصادية الخارجية والعسكرية في مقابل الحصارات والتهديد بها. وذلك وفق قواعد الترغيب والترهيب وهو أسلوب استخدمته أمريكا مع الباكستان خلال حملتها على افغانستان. وحديثاً تخطت الضغوط مجالات الدبلوماسية والاقتصاد لتصل الى مرحلة التدخل الثقافي. الذي تمارسه الولايات المتحدة اليوم مع الدول الإسلامية. حيث تضغط لتبديل البرامج الدينية والمراقبة. فهذا النوع من التدخل يمكنه أن يخلق تأثيراً عميقا على الشعوب – الهدف. والدعاية الماهرة قادرة أيضا على التحايل على المتلقي على المستوى العاطفي. فالدراسات النفسية التي أجريت في الولايات المتحدة الأميركية منذ العقدين السابقين برهنت على التأثير الكارثي للتفرقة العرقية. وإنتشار آثارها بين الأولاد من أصل أفريقي.

ففي عملية اختبارية للأولاد السود اتضح أنهم يفضلون اللعبة ذات الجلد الفاتح على ذات الجلد الداكن (الملونين عامة). وهذا يعبر عن كراهية للذات وللملونين من قبل الأطفال السود. كما يعبر عن أن كراهية اللون الأسود (التمميز العرقي) تحولت

لتصبح ظاهرة مصاحبة بمواقف اجتماعية شائعة تكاد تجعلها من المعتقدات المسلمة بها[٣]. وبنفس الطريقة فإن البعثات التبشيرية البروتستانية،المنطلقة من الولايات المتحدة الأميركية، تروج منذ زمن طويل لأشكال مختلفة من الرأسمالية التوراتية biblical capctalisme والتي تقحم في نفوس الأتباع الاعتقاد بأن الخير أو الشي الجيد يكافئان من قبل الإله بعطاءات مادية. وأن الفقر يؤكد على وجود قصور أخلاقي عند الفرد (لاحظ هذا التأويل والتحريف لمفهوم الفقر في الدين – حجار) والجماعات أو الطبقة الفقيرة من الناس.

وربما شكلت ليبيريا مثالاً هاما من الأمثلة على تصدير الدين والإتجار به. حيث أضحت التجربة الليبيرية في المجال من أهم مواضيع الأعلام وحظيت بالتغطية الإعلامية المستمرة. ولا يزال هنالك العديد من الفئات وجماعات الأقلية البروتستانتية والمؤسسات التوراتية التي نشطت في محاولتها جذب الليبريين. ولأنها تعلم أن البعثة الدينية فيما وراء البحار يجب أن تزيد من الإسهامات المالية في الوطن لذلك قدمت هذه البعثات بعض الحوافز: كبناء جدار جديد للكنيسة أو تمثال أو تقديم حافلة كحافز لتبني اسم ونظام لمنظمات دينية أميركية (المنافسة للبيض دوما). وعندما لا يتم إنجاز الوعود من قبل هذه المنظمات الدينية،وهي الحالة الغالبة، فإن الجماعات الليبيرية تقهر وتضطر للإلتفات إلى ضمناء آخرين من الذين كانوا يؤسسون للعلاقة بإرسال معلمين. ويسعون إلى توجيه عقول الليبيريين نحو لاهوت جديد.

إن هذا الأسلوب لا يخلق فقط تشوشا وكيانا دينيا معتما" بل هو يخلف موقفاً غامضا نحو الأشخاص معتمدي هذا التوجه الديني الجديد. ولكن الأهم من ذلك أن هذا التشويش يؤدي بالليبيريين إلى قبول، بدون تحفظ، الارتباط المطلق بالكنائس الراعية والتأكيد على نقصهم ودونيتهم. وإنه لمما يدهش حقا معرفة أن قصة الليبيرين (الممكن تسميتها الإساءة في استخدام الجانب الروحي) هي أمر تمارسه وكالة المخابرات الأميركية بصورة متكررة في البلدان الفقيرة المختلفة. وهي تعتمد هذا الأسلوب حالياً لدعم الهداية الأميركية الجديدة بين الكاثوليك و المسلمين وفي المجتمعات المتخلفة التقليدية. وكما هو الحال في البعثات التبشيرية الدينية الأميركية في ليبيريا (التي تركز على فكرة أن المال هو العامل المهم جدا، في

الدعاية الفعالة) فإن هذه البعثات تستغل الفارق الكبير في الثراء بين نصفي الكرة الشمالي والجنوبي. بما يسمح لهذه البعثات بتوظيف المال من أجل إيجاد المنافذ نحو العملاء والمتعاونين في مجهود الدعاية لأفكارها وغاياتها. بل أنها تستطيع،عن طريق المال أيضا، أن تخترق المؤسسات الداخلية الوطنية. بل أنها تقوم ببناء مؤسسات جديدة بمخاطر قليلة. وهذه المؤسسات يكون في مقدورها نشر الدراسات والكتب الكراسات والرسائل الثقافية وغيرها من المواد العقائدية بكميات تتجاوز وتتخطى ما تطرحه الأسواق المحلية. فالمال يوظف لشراء المترجمين في الإذاعة والتلفاز. ولتمويل برامج الدعاية أو المستشارين النوعيين. ولتقديم حلقات البحث التثقيفية والمؤتمرات. كما تستخدم البعثات المال للحصول على التسهيلات للوصول إلى الأصدقاء الموثوقين. وهذا المردود العالي لتوظيفات يضمن لهذه البعثات كسب الرأي الوطني الداخلي (المحلي) والسيطرة عليه سيطرة لا تمكن مجاراتها وهزمها. وبذلك يصبح بمقدور البلدان الغنية ممارسة الضغط على الحكومات الفقيرة،الواقعة تحت تأثير أموال البعثات، عن طريق التهديد بحجب المساعدة أو التمويل. وذلك بغية دفع هذه الحكومات للمساهمة في عملية تشكيل المعلومات الجماهيرية (وفق قوالب الدعاية المطلوبة مخابراتياً) أو لمنع هذه الحكومات من التصدي لنشاطات هذه البعثات المغفلة بعنوان "الحملات التثقيفية". وفضلا عن ذلك يمكن للمخابرات توظيف المال لتقديم المساعدة الفنية الخاصة بالمشاريع وإدارة نشاطات أبحاث على درجة كبيرة من التعقيد (بحيث تخترق أسرار الحكومات الفقيرة). وهذا الإختراق يتيح للمخابرات الحصول على تقييم شامل للمناخ الشعبي في البلدان المستهدفة. مع إمكانية توجيه الرسالة الدعائية إلى فئات صغيرة وأيضا قياس التغييرات في المواقف على مدى الزمن، ومراقبة انتشار الأفكار المناهضة.

الخداع والتضليل كعلم قائم بذاته

تطرح كتب علم النفس الاجتماعي العديد من الطرق التي نستطيع من خلالها خداع وتضليل المتلقين بفعل الدعاية. وأولى قواعد هذا الخداع هي أن متلقي الدعاية يتلقون الفكرة الدعائية بسهولة أكبر إذا سمعوها بصورة مغفلة. إذ أن هنالك ميل طبيعي عند الكائن البشري لمقاومة الرسالة الدعائية التي تقدم بطريقة تأكيدية.

بينما يزداد إحتمال تقبله للرسالة ويكون رد فعله أقل سلبية إذا عرضت الرسالة بوصفها حقيقة نسبية. فمتلقو الدعاية يكونوا أكثر إستعداداً لتبديل أفكارهم وآرائهم إذا ما تلقوا الرسالة الدعائية من مصادر مختلفة بحيث تعزز بعضها البعض (وهذا ما يسمى بعامل التكثيف والإغراق / المحرر). وبصورة مماثلة، يميل الجمهور الى تصديق الرسالة (خبر أو بيان أو أية صيغة أخرى) إذا ما صدرت عن مصادر بعينها كمثل: خبراء متخصصون في الموضوع المطروح أو أفراد أو جهات بحث قريبة من الجمهور(عامل إنتخاب المصدر / المحرر). كما تزداد احتمالات قبول الجمهور للرسالة عندما يقوم المصدر بطرح الفكرة من الوجهة التي يوافق عليها المتلقي (عامل صياغة الفكرة / المحرر). ووفق بعض الشروط والظروف فإن الرسائل الدعائية تصبح أكثر قوة وفعالية من خلال دمج هذه الرسائل مع الأفكار المناهضة لها والمتعارضة معها. وهو دمج يدفع الجمهور للتشكيك بهذه المعارضة وعدم الثقة بها[٤] (عامل التشكيك/ المحرر). ويزداد أثر هذا التشكيك عندما يعطى المتلقي الانطباع بأنه يستمع إلى حوار الطرفين المتعارضين. وذلك تحت شعار "نحن نطرح لك الحوار وأنت تحكم عليه". وهذا هو شعار محطة الجزيرة الفضائية مثلاً (هنا يتم التدخل الإيحائي عن طريق إختيار محاور أضعف للفكرة المراد إضعافها وكذلك بتدخل المذيع المحاور لإبراز بعض الأصوات والأفكار والإتصالات وبعدم العدالة في توزيع الوقت بين المتحاورين / المحرر).

ويلاحظ أن العمليات السيكولوجية الدعائية الواسعة غالبا ما تعتمد مبدأ التشكيك بقناعات الجمهور تمهيداً لإحداث التبديلات في مواقفه. وذلك من خلال توليد ما يسمى بتأثير السكة الحديدية المترابطة مع بعضها البعض. مما يساعد على خلق إنطباع زائف ومضلل يكون مدخلاً لتغيير قناعات الجمهور. وهذا النوع من الانطباعات يساعد على جلب قبول الجمهور لأفكار الدعاية وكأنها حقيقة واقعة. وعندما يكون تبديل السلوك النوعي للجمهور هو الهدف المقصود من حملة الاتصالات فإنه من المفيد جدا جعل الجمهور المستهدف بالدعاية يعبرعن رأيه ويطرح الفكرة الدعائية للمناقشة. بحيث ينخرط في ترويج الفكرة بطريقة ما. وبذلك يصبح المناقشون مالكين للفكرة. وفي كلتا الحالتين (الموافقة أو الرفض لفكرة الدعاية من قبل المناقشين) فإن النقاش يولد الميل للاستمرار في الدفاع عن الفكرة

الدعائية أو عن السلوك والفعل المراد تعديله من قبل الدعاية. مما يجعل الدعاية متجسدة متجذرة في تفكير من وقع في ضلالها. ولا جدال أبداً أن الدعاية،التي تطبق هذه المبادئ تطبيقا ملائما، يكون في مقدورها أن تحدث تبدلات عميقة وبعيدة المدى في المجتمعات هدف الدعاية. وتفسير ذلك أن الأفراد هم جزء من الجماعات (المكونة للمجتمع). وهم يتشاركون فيما بينهم بالعادات والقيم الشائعة المشتركة مع أعضاء الجماعات الأخرى الذين ينتمون إليها. وهكذا فإن الفرد الذي يحمل إيمانا إسلاميا ملتزما،على سبيل المثال، يرد على بعض الأمور مثل شرب الكحول أو أكل لحم الخنزير بالمناهضة والكراهية لهذه الأشياء. وعليه فإن الحملة المادية الرامية إلى تغيير أو تقويض التأثيرات الإسلامية،التي جذرتها العقيدة الإسلامية، يمكنها أن تبدأ بحركة ذات إجراء بطئ تهدف لإزالة هذه الاستجابة الانفعالية[٥].وببساطة فإن هذه الحملة تبدأ بفرض النقاش حول موضوع تعاطي الخمرة مثلا". بحيث يجبر المسلمون على خوض نقاش عقيم لا يفعل شيئا سوى خلق المقاومة عند المستمعين المسلمين وإثارة الحوارات المناهضة والمعارضة من قبل الجمهور المسلم.ولكن مثل هذا النقاش من جانب آخر هو طريق لفتح نقاش حول هذا الموضوع لمزيد من النقاش والحوار. أي إثارة حوار حول فوائد شرب الخمر. حتى أن مثل هذا الحوار لاقى قبول البعض على مدى سنوات قليلة. ومثل هذا الحوار من شأنه أن يخلق أجواء التناقض الوجداني قبول الخمر ورفضه بآن واحد ambivalenc. وبذلك يصبح اليقين (الذي كان سابقا يدين شرب الخمرة ويرفضها بصورة حاسمة) مهتزاً. وهذه بداية زعزعة التركيب المعرفي للمسلم حيال شرب الخمر (الحجار). إذ أصبح هذا اليقين مهتزا اليوم ومعرضا لهدمه وتبديله. وقس عليه بالنسبة الى بقية القناعات الاسلامية. حيث أن الكثير من الاستجابات السلبية قد تم استلهامها بفعل الحوار عندما بدأ ثم أخذ طريقه إلى خلق التبديل المطلوب. أما الخطوة التالية في هذا التبديل للفكرة والمعتقد والسلوك إزاء شرب الخمر هي أن على اختصاصي الدعاية إن يغري بعض أفراد المجتمع الإسلامي،أو عميل محرض يتم تقديمه كمستمع مسلم، إن يشرب الخمر علنا أمام الجمهور كتأكيد على الأفكار الجديدة التي يتم تبنيها مع شرب الخمر. بما يظهر العميل المحرض على أنه مسلما متحدثا عصريا وأكثر واقعية. وهنا نلاحظ خطورة هذا الأسلوب السيكولوجي الخبيث الذي تتبناه

المخططات الأميركية اليوم في تبديل العقيدة الإسلامية[٦]. خاصة مع زيادة إعداد المساهمين المتعاونين في أداء هذا الدور لقاء إغراءات معينة (سيكون مفيدا أن نلاحظ كيف أن الفكر الأميركي يرى أن كل شيء يمكن شراءه بالمال حتى العقائد الدينية/ محمد الحجار).

وهذه المخططات الدعائية الاميركية لا بد من أن تكون مطروحة على الجمهور المسلم بوسائط مكثفة قوية وبالفيديو كليب. الذي يتم تسليمه إلى الأصدقاء ويتم تسريبه على نطاق واسع في الأخبار المحلية. إن هذا الأسلوب الدعائي يطور دور العملية النفسية ويعطي أخصائي الدعاية الإيحاء بالسلطة المزيفة. مما يرضي نرحسية الأفراد ذوي الكفاءات والمؤهلات العالية. القادرين على تجيير مثل هذه الأفكار،وفهم مصدر ومرجعية معلوماتها، لقاء إيحاء السلطة (و/او المال). ويتم هذا التجيير عن طريق العمل لإزالة بعض الأفكار المقولبة السلبية stereotypes وتخفيض التعويق ضد السلوك المطلوب مخابراتياً. وبعدها يتم التعزيز وبوتيرة منتظمة (عملية غسل الدماغ).

وفق هذه الأمثلة الواقعية،ووفق السلوك الجديد إزاء الخمرة، فإن المسلمين (وهم هدف هذه الدعاية) يصبحون مؤهلين لإصدار إدانات قوية ضد من يحرم الخمرة. حيث يتم توجيه التصرف كهجوم شخصي على من يعارض شربها. وأخيرا فإن المحرض على هذا السلوك الجديد قد يحاول تخريب المقاومة العنيدة التي تواجه أفكاره الجديدة من قبل المعارضين. وذلك من خلال اللجوء الى الدعاية الهجومية في التلفاز والمقالات الصحفية والرسوم الكاريكاتورية واللقاءات والمحاضرات. وإشاعة إرتداء الشبان للقمصان البيضاء التي تحمل الشعارات المناهضة لمعارضي تعاطي الكحول. وما إلى ذلك من سبل تسخير وسائل الإعلام لمحاربة أفكار هؤلاء الرجعيين الخصوم ولربطهم بالأسباب المرفوضة من قبل الناس. أو بجعلهم موضوع سخرية واستهزاء. فحتى لو بقي معظم الشباب والكهول مرتبطين بمعتقداتهم الأصلية فإن الفتوة الناشئة سيكون عندها فوائد الثقافة الجديدة،غير تلك التي يحملها الكبار، كشرب الخمرة وغيرها من أنماط السلوك المرفوضة إسلامياً. وبذلك تبدأ سلسلة السلطات التقليدية بفقدان تأثيرها وتلاشي التقليد الذي تحمله. كمثل الإمتناع عن شرب الخمر وعدم تناول لحم الخنزير. وفي

الظاهر يبدو أن الغربيين قد لا يستفيدون من ترويج عادات استهلاك الكحول وأكل لحم الخنزير بين الأوساط الإسلامية. لكن هذه الفائدة تتم فعلياً عبر إكتشاف الأسلوب الفعال لنسف وتخريب العادات الإسلامية عموماً. مما يؤدي إلى إبتعاد الاتباع الجدد عن الأفكار الإسلامية و السلف (هرباً من مصطلح الأصوليين الإسلاميين الذي يعتبر أحد أهم النجاحات المخابراتية في المجال. حتى باتت كلمة الأصولية محصورة بالمسلمين/ المحرر). وبذلك يسهل تذويب هؤلاء الفتيان في الثقافة الغربية ودفعهم للتكامل فيها. مع تجريدهم من مفاهيمهم الإسلامية التقليدية ومن العناصر المكونة للوعي الجماعي.

وبصرف النظر عما إذا كانت دعاية الحرب النفسية تستخدم لتبديل المواقف الإنسانية أو السلوك الإنساني أو ببساطة لجعل الناس يتصرفون استنادا إلى معلومات مزيفة مضللة[٧]. فإن الهوية الجماعية group identity هي المفتاح الذي تنشده الدعاية وتسعى لاستغلاله للوصول الى أهدافها. فعضوية الجماعة تفرض على العضو جملة معايير وسلوكيات. ويصبح من واجب الفرد أن يتصرف وفق سلوك يأخذ بعين الاعتبار توقعات الجماعة التي ينتمي اليها. إنها القيم المشتركة بين أعضاء الجماعة التي ترسم هوية هذه الجماعة وتصيغ سلوك الأفراد وفقا لهذه القيم السائدة. وهذه العادات تتعزز وتتجذر من قبل أفراد المجتمع الذين يستمرون بالإلتزام والإلتحام ببعضهم البعض. لهذا يتركز هدف الدعاية النفسية على إستثمار وإستغلال كيان الجماعة وهويتها. بحيث يتوجب على الدعاية أن تحاول تحدي الطموحات والممنوعات التي تحددها الجماعة. وذلك عبر توجه الدعاية نحو سلوك الأفراد ومحاولة خلق نوع من الإنخداع illusion عندهم بوجود تبدل مهم في القوانين الجديدة للجماعة. وعلى الدعاية أن توحي بمثل هذا التبدل حتى لو لم يكن موجودا.

ففي جميع الأحوال [٨] نجد أن الدعاية تؤثر في الأفراد المعاندين ففي نهاية المطاف تأخذ بهم الدعاية إلى ما يبدل سلوكهم. وذلك بقدر ما يستجيبوا لمشاهدتهم سلوكا اجتماعيا متطوراً. إلا أن المبادرة الثقافية هي أكثر من كونها مجرد تأييد أو دفاع عن فكرة ما. فالدعاية الحديثة يتعين عليها أن تفهم وتتعلم كيف أن الحوادث المختلفة والمواقف والصور تؤثر على التصرفات. وتعدلها يوما بعد يوم عند أفراد

الجماعة الهدف. فإذا كان تبديل السلوك هو المتوخى فإن على اختصاصي الدعاية تحديد العوامل الآتية:

– اكتشاف العوائق العملية التي قد تحول دون تبني الأنماط الجديدة للسلوك. حيث التحريمات القديمة أصابها التمزق والتفتيت بفعل الدعاية.

– محاولة التقليل من النتائج السلبية التي يمكن أن تمارس من قبل أعضاء الجماعة الذين يتبعون ويطبقون الطروحات القديمة.

– إستخدام الإيحاءات المدعومة بالدعاية النفسية لمواجهة طروحات الجماعة المتمسكة وآثارها السلبية المحتملة.

– إيجاد المقاييس الملائمة من أجل تعزيز السلوك الجديد المتوخى.

– إعتماد النظام القائم على الإثابات (المكافآت) النفسية. وتطبيقه على الأفراد الذين يأخذون بالسلوك الجديد (إثابة السلوك الجديد هو أحد قوانين التعلم في تبديل السلوك/ حجار).

فضلا عن ذلك فإن المنخصصين في ميدان الدعاية النفسية يدركون حق الإدراك أن ظهور مظاهر التبديل يحتاج إلى وقت (تراكم التأثير الدعائي واستمراره يؤدي إلى حدوث التبديل /حجار). وذلك في كل محاولة ترمي إلى قلب الاتجاهات الاجتماعية أو خلق اتجاهات جديدة.

ويفسر لنا الكولونيل مخائيل ديوار (ضابط مخابرات بريطاني اختصاصي) فلسفة التبديل بهذه الطريقة فيقول : " إن الميل بالنسبة للذهن هو تكرار المقولة المراد إيداعها في الذهن وذلك بشكل منظم وروتيني. إذ يميل الذهن إلى أن يبدي انتباها أقل للحوادث والأفكار التي يتكرر عرضها مرات ومرات. بحيث تنسل هذه الأفكار إلى أعماق الذهن واللاشعور فتحدث التبديل المطلوب (من كتابه بعنوان فن التضليل في الحرب النفسية عام ١٩٨٩). من ناحية أخرى يمكن استخدام الدعاية النفسية لتدمير المعتقدات أو التزام الوفاء عند فئة معينة[٩]. وفي معظم الأحوال فإن هذا النوع من الهجوم الإعلامي (المنفذ في وسائل الإعلام) هو سلبي. بمعنى أنه لا يصمم عادة لترويج إيديولوجية نوعية وإنما لتكذيب حركة موجودة سابقا والتشكيك فيها. وهو أمر يمكن تنفيذه بطرق متعددة وذلك بتثبيت الملتزمين بحيث

يتركز انتباههم ويتوجه نحو مواضيع أخرى. وأيضا باستخدام شعار "فرق تسد". أي اللجوء إلى تكتيكات لخلق الفرقة في الصفوف بدلا من اجتماعها حول هدف مشترك. أو من خلال التشهير بالقادة بحيث تتبدد قوة الحركة أو يتم التعتيم عليها.

إن العرقية في الولايات المتحدة الأميركية تقدم لنا الإيضاح لما شرحناه. ففي أواسط الستينات من العقد المنصرم ظهرت حركة قوية تناولت وعي المواطنين السود ورفعت شعارات مثل: "الأسود هو جميل". بحيث أصبح مثل هذا الشعار وسيلة لرأب التخريب النفسي الذي صنعته أجيال التمييز العنصري المنظم. إن شعبية وشيوع مثل هذه المواضيع، وتبنيها من قبل الجماهير بحماس، أعطت لموضوع مساواة السود الزخم الذي جعلها تنتقل إلى كل جانب من الجوانب الاجتماعية بما فيها الاتصالات. فمصممو الدعاية والإعلانات اصبحوا يستغلون الأقلية "فخر العرق" من خلال تضمينها في السينما والدعاية التجارية. وهو تضمين يعكس الإدراك بأن الناس الملونين يستحقون الاحترام والتساوي. وامتد ذلك الى نشرات الأخبار والنقاشات السياسية ضمن الأوساط الليبرالية على الأقل. وعلى الرغم من أن هذا التغيير في صورة الأقليات السوداء قد أحاط بمجتمع واسع لأسباب تخدم الذات، ومع ذلك فقد عززت هذه الصورة الجديدة للسود في أعين الناس النزوع لجعل الصورة الذاتية للأقليات إيجابية. على عكس ما تفعله الدعاية الأميركية ضد العرب الأميركيين. ولكن كل هذه الإيجابيات إزاء السود زالت وذهبت أدراج الرياح في الجزء الأول من الثمانينات. حين انتكست المعتقدات فلم يعد الأسود جميلا بل صار مهدداً.[١٠] فما الذي حدث وأدى الى هذا التحول؟. إن معظم الأميركيين يوافقون على أن هذا الانقلاب في الموقف تجاه اللون الأسود كان نتيجة الإثابات والعقوبات (الذي يسمى بعلم النفس الأشراط الإجرائي القائم على تبديل السلوك والمعتقد من خلال الإثابة والعقوبة – وهذا ما تفعله الدعاية الأميركية اليوم بوعودها بإثابة (مكافأة) الضابط العراقي الذي ينشق عن صدام ومحاكمه الضابط الذي يستمر في موالاته لصدام / حجار). وهذه الحملة الانقلابية على احترام السود كانت نموذجية وقاسية. فخلال أواخر الستينات من العقد المنصرم مثلا كان طلاب جامعة كاليفورنيا قادرين بتوثيق نموذج متميز للمعاملة التمييزية العنصرية نحو ركاب السيارات. إذ تم وضع لاصقات على مصادم السيارات تشير إلى أن أصحابها سود. حيث كانت الشرطة

توقف هذه السيارات لأي مخالفة بسيطة تافهة و يغرموها بمخالفة السير. أكثر من أي سيارة لا تحمل هذه الإشارة المميزة وبصرف النظر عن عرق السائق. ونتيجة لذلك وبذلك فإن الفخر باللون الأسود تلاشى بسرعة. وواقع الأمر فإن ترسيخ صورة الأسود من جنس الذكور كمجرم أضحت بمثابة وسواس وطني مثلما هو حال العربي الأميركي اليوم في عهد بوش (حجار). بحيث أن جورج بوش الأب،من خلال حملته الانتخابية الناجحة عام ١٩٨٨ في تولي الرئاسة، استخدام مسألة الاعتقاد بأن الزنجي الأميركي ويلن هورتون أدين بجرمية الاغتصاب كدلالة على أن خصمه حاكم ولاية السان لماساشوستيش مهمل في تعامله مع هذه الجريمة. وبذلك أصبح الزنجي المذكور رمز الذكور الزنوج السود. الصورة التي أوجدت مناخ الخوف الأبيض المتنامي والكراهية للسود. إن الذي حدث يمكن تفسيره كنتيجة للتمييز العرقي المتجذر والتصوري في المجتمع الأميركي. وهذا ما نجده في أنظمة الحكم الأوتوقراطية القائمة على التمييز الطائفي أو القبلي في العالم الثالث. حيث تكون الامتيازات محصورة في الفئة الحاكة وملتها. وبالطبع فإن مثل هذه العلل الاجتماعية لا تمكن إزالتها،وتبديل مواقف ومعتقدات الجماهير إزاءها، بدون جهود منظمة وصبورة.

ومن المعلوم أن السود يشغلون الوظائف الحكومية العادية جداً. بينما الوظائف العليا في السلم الهرمي السلطوي هي حكر على الأفراد من الأصل الأنكلوساسكوني، عدا بعض الاستثناءات التي نجدها اليوم كتولي كونداليزا رايس منصب مستشارة الأمن القومي وكولن باول منصب وزير الخارجية (حجار).

الدعاية الداعرة كيف تدمر صورة قائد في أعين شعبه.

إن أفضل مثال لهذا النوع من الاتهام بالدعارة هي عمليات المخابرات الأميركية السيكولوجية المذكورة في كتاب صدر عام ١٩٨٨ بعنوان: "المخابرات الأميركية – القصة المنسية " للكاتب ويليام بلوم. إذ كان أحد الأهداف الواضحة للحرب النفسية،للولايات المتحدة الأميركية خلال منتصف الخمسينات من العقد الماضي، هو القائد الأندونيسي أحمد سوكارنو، الوجه الساحر للجماهير. حيث كان مجرد وجوده يوحي بالأفكار القومية للعالم الثالث. وبعد محاولات فاشلة متكررة للإطاحة به ومحاولة اغتياله. والتي عزتها الدعاية الأميركية إلى الشيوعيين. فقد

تقرر أن أحسن طريقة في التعامل مع سوكارنو هي جعله يظهر أمام أعين الناس وضيعاً ومزرياً ومنحطاً(أي بقلب صورته كقائد مضاد للاستعمار)[١١]. وحسب ما ذكره المؤلف بلوم في كتابه فإن المخابرات الأميركية بدأت بتصنيع وفبركة تقارير ثم سربتها الى العلن. وهي تدور حول علاقة سوكارنو بعميلة روسية شقراء هددته بإفشاء سره حتى أصبح مرتهنا سوفياتياً. وبعد أن أصابت هذه الدعاية بعض النجاح في نشر هذه الإشاعة قررت المخابرات الأميركية أن تطرح البرهان عليها. فقامت بفبركة فيلم داعر يصور سوكارنو. كما فبركت بعض الصور التي تبرز سوكارانو وعشيقته الروسية ينخرطان في نشاطات جنسية خاصة ومرغوبة عنده. وزودت شرطة لوس أنجلوس المخابرات الأميركية بهذا الفيلم الاصطناعي المزيف بشخصية تشبه سوكارنو كثيراً. وأدخلت عليها الروتشات من قبل المخابرات الأميركية لتكون الصورة مطابقة لصورة سوكارنو. حيث صور هذا الشخص يقوم بالفعل الجنسي مع الشقراء. وللمخابرات الأميركية كما يقول الكاتب مغامرات تجسسية حقيقية يصورونها للرؤساء المعادين في نشاطات داعرة.

البترول في القمر

ان عملية تشويه المعلومات هي من القواعد الاساسية للعبة الدعاية النفسية القذرة. وهي تشكل جزءاً مهماً في الحرب النفسية. قد يكون من الصعب تصديق أن هذا التشويه يجعل حتى أكثر المفاهيم مدعاة للسخرية قابلة للتسويق وللإيمان بها. وهذا هو فعل الدعاية النفسية إذا بذلت فيها جهود كافية وأعطيت حقها من الوقت. وفي الحالات الصعبة قد تضطر المخابرات لإتخاذ مزيد من الخطوات،لإغراء عدد كبير من الأهداف المهمة المتاحة والحصول على إسهامهم، بإيجاد طريقة تجبرهم بواسطتها على تبني وقبول مفهوم دعائي – مخابراتي. تخيل مثلاً أن العالم الصناعي،لسبب ما، قرر نشر نظرية مفرطة في الخيال بين بعض المتلقين في العالم الثالث. كمثل تسويق فكرة "وجود احتياطات هائلة الحجم من البترول الذي يمكن الحصول عليه من القمر]!. ومن المعلوم أن البترول أساس عضوي وإن القمر لا يحوي إلا على الصخور. وجباله خالية تماما من النباتات (لا حياة عضوية فيه). وبذلك لا يوجد عالم ذو سمة وشهرة كبيرة يمكنه قبول هذه النظرية لأنها سخيفة ولا عقلانية. ولكن الخدع الدعائية لها مكانتها في جعل تصديق هذه النظرية ممكناً. حيث

تبدأ الدعاية بتسويق بيانات وتصريحات صادرة عن خبراء يطرحون مجرد تساؤلات تدور حول القمر (التمهيد للمناقشة العبثية / المحرر). وتشدد هذه التساؤولات على أهمية القيام بمزيد من الأبحاث بهذا الصدد. أما الخطوة التالية فهي نشر مقالات أخبارية وإذاعية تذكر نظرية البنرول القمري و تؤكد على الأهمية الكبيرة لتلك النظرية (تسويق اعلامي على شكل شائعة). بحيث تجعل هذه الشائعة،في نهاية المطاف، بترول العرب مهملاً وتافهاً obsolete. ومن ثم تسرع عملية تداول الحوارات حول الموضوع مع تصنيف معارضي الفكرة على أنهم سيئون وتصنيف المتعاونين معها على أنهم جيدون. بما يوصل هذه الحوارات الى الحديث عن اكتشافات جديدة لمواد شبيهة بالنفط موجودة على سطح القمر. وهكذا يمكن تطوير النظرية/ الشائعة بهذه الصورة لتصبح أكثر قبولا حيث يتم بث هذه الفكرة على الجمهور في العالم الثالث. الذي استخفت بعقوله الدعاية الأميركية (حجار) بفواصل زمنية لترسيخها وجعلها معتقدا [١٢]. إن مثل هذه الضروب،في التضليل والإيهام، توظف في الدعاية النفسية لقولبة الرأي العام في العالم الثالث.(أقنعت المخابرات الأميركية الملك فهد ورجالات حكمه وبصور الجوية المزيفة التي ابتدعتها بوجود دبابات عراقية اخترقت الحدود السعودية عام ١٩٩١ لجر السعودية إلى الحرب / حجار). أما في ما يخص تسويق أضاليل دعائية تتعلق بالتجارة الحرة أو نظام السوق وفوائدها فهو تسويق للأسس المكينة للمبادئ الرأسمالية الاقتصادية. ويحتاج هذا التسويق الى مداخل مثل برامج ضبط النسل والتنظيم الأسري في العالم الثالث. وهكذا فإن الضغوط الدعائية السيكولوجية تعد جوهرية في بناء القوات المسلحة الأميركية. وبإمكانية قيامها بعمليات عسكرية مقنعة بالإجماع القومي. بل أن حملات الاتصال الإعلامي أضحت طريقة روتينية في تكذيب المشاعر المضادة الأمبريالية وإجهاض وتخريب الادعاءات المنادية بالعدالة الاقتصادية العالمية ومعاكسة تهديدات الفئات المختلفة،كالحركات دينية وقوميي العالم الثالث، للمصالح الغربية. وبمعنى أكثر عمومية لتكون قادرا على التأثير المهيمن والإبقاء وعليه إزاء نشر أفكار ومعلومات ضمن مجتمع ما، عليك أن تسيطر على أفراده. وبحكم كوني مستشارا عسكريا أميركيا (القول لصاحب ومؤلف الكتاب رئيس المخابرات الأميركية Rositske) كنت أقول دوما في نهاية الحرب العالمية الثانية: " إن من

يسيطرعلى الإذاعة يسيطر على برلين" إشارة إلى أهمية الدعاية المسيطرة.

الجواسيس والمخربون

إن تقنيات الحرب النفسية والدعاية هي جانب مهم جدا للوجود الغربي في العالم الثالث. ولقد نجحت القوة الأجنبية في إيجاد شبكة من الأصدقاء في الدولة المضيفة (كوسائط لتسريب أفكارها للناس). وهي لا تعدم الوسائل للتدخل بطرق أخرى إذا اقتضت الحاجة. مثل التأثير السياسي الأساسي وحملات الاتصالات الاعلامية بحيث تستطيع أن تكون طريقة لبناء نظام يرمي إلى تجنيد المتعاونين المحليين وفئات الواجهة الضرورية لشن أو خوض الحروب بالتفويض praxywars مع إمكانية تقويض الحركات السياسية المحلية وزرع حكومات كالدمى المتحركة (كما هو الحال في حكومة قرضاي في أفغانستان أو من يمكن أن تنصبه أميركا بعد احتلال العراق. إن هي شاءت التعامل مع المعارضة العراقية/ حجار).وبدون حدوث هذا الاختراق فإن هذه الاعمال والنشاطات تصبح مستحيلة.

في تشرين الأول عام ١٩٩١ تم تنظيم مؤتمر حول "التهديدات في العالم" نظمه مكتب المحاسبة العامة في الولايات المتحدة الأميركية حيث طرحت العديد من الأوراق ترتبط بالعلاقات الخارجية لعصر ما بعد الحرب الباردة. إحداها تتعلق بموضوع " المخابرات ودروها المنخفض الوتيرة " قدمها روبرت كنغستون. وهي تتضمن العمليات والنشاطات الخفية وعنوانها العمليات النفسية التي تستخدم نفوذ الكلمات كسلاح لاعنف فيه. وهذه العمليات تضع الأهداف وتستغل لحاجات وتقلل الفشل عندما تستخدم استخداما صحيحا. كما تؤكد الورقة على أن الاختصاصيين يجب أن يجمعوا المعلومات الاستخباراتية ويراجعوها. كيما يحددوا فيها الاستعدادات المسبقة ونقاط الضعف وقابلية التأثير على المتلقين هدف الدعاية. وأشار كنغستون إلى أن المعرفة الشخصية لقادة البلد وأنواعهم هي أساس العمليات الناجحة (كخلع وتهميش الأفراد البارزين الذين يخططون لتنفيذ الانقلابات والإرهاب عبر الأوطان والأعمال الأخرى التي تؤثر تأثيراً سيئا على مصالح الولايات المتحدة الأميركية). وفضلاً عن ذلك كما يرى كنغستون فإن القادة الأميركيين لا يستطيعون دعم أو معارضة الانقلاب الخارجي الذي يؤثر على المصالح الأميركية ما لم يكونوا على علم جيد بالناس الذين سيرثون الحكم وبخاصة مواقفهم إزاء الولايات المتحدة

الأميركية وبرامجهم المتوقعة بالمقارنة مع أصحاب المناصب الحاليين. وإلا فإن الفوائد الحاصلة على المدى القصير قد تصبح مسؤوليات قانونية على المدى البعيد بتطبيقات محلية أو إقليمية وحتى عالمية. انطلاقا من هذه التعابير فإنه من الواضح أن القادة الغربيين سيصعدون حملات الدعاية السيكولوجية والحرب النفسية ضد العدو المتبقي ما بعد الحرب الباردة. ولعل في ذلك إشارة إلى الحرب ضد العرب والإسلام (حجار) والأهداف ستكون كثيرة منها: تخفيض النمو السكاني والإبقاء على موارد معدنية ونفطية رخيصة وتحييد الحركات الأيديولوجية المضادة للمصالح الأميركية. وهذا جزء من الأهداف وليس كلها. ونكرر هنا ما كتبه في هذا الصدد الأدميرال جيمس بالدوين (رئيس جامعة الدفاع القومي في واشنطن) عام ١٩٨٨ ما معناه: تعرف الحرب على انها انتشار للوسائط العسكرية لتسريع النهايات السياسية... لكن هناك وسائط أكثر مكراً وهي الحرب النفسية السياسية التي تستخدم الصور والأفكار والخطابات والشعارات والدعاية والضغوط الاقتصادية. وحتى التقنيات الإعلامية للتأثير على الإدارة السياسية للخصم. والآن بعد انحسار الاتحاد السوفياتي وغيابه من الساحة المتصارعة أضحى العالم بشكل متزايد في حالة صراع منخفض الوتيرة وهو يصارع للهيمنة الاقتصادية والحرب السياسية ستكون الواجهة في أجندة أمننا القومية (انتهى كلام رئيس المخابرات الأميركي السابق).

مناقشة وتعقيب

إن هذا الموضوع،الذي طرحه الرئيس السابق لوكالة المخابرات الأميركية، الخاص بمبادئ الحرب النفسية والدعاية وآلية تأثيرها على الفكر والسلوك والمعتقد وتصنيفه الحرب النفسية بأنها تستند إلى توجيهات ومعلومات مضللة لا تعرف الأخلاق (لأنها ذات أهداف نفعية براغماتية) وانتقاء بعض الأمثلة حول كيفية تبديل سلوك المسلم ومعتقده إزاء شرب الخمرة وتحريم أكل لحم الخنزير وكيف يتم هذا التبديل بأسلوب منهجي علمي يقوم على يسميه السيكولوجيين "بأنموذج الاقتداء" من خلال خلق تفكير مسلم تقدمي وتسويق هذا الفكر في جيل الشباب والفتوة حث ينتهي الأمر إلى تخريب التفكير الملتزم (أي جعله غريبا وادماجه بالحضارة الغربية) وهذا هو هدف العولمة الثقافية والفكرية.

أمام هذه المعطيات والإشارات لا أريد الدخول في نقد هذا التفكير وتطبيقاته سياسيا واجتماعيا كما ذكر من هذه التطبيقات ولكني أقول أن موقف الفكر الغربي من المحرمات الإسلامية في الشرب و الطعام لا يستند على أصول دينية لأن المسيحية الأصولية الصحيحة تحرم شرب الخمرة وكذلك كافة الأنبياء. أيضا لأن مصدر تشريع هؤلاء الأنبياء هو واحد وليس اثنين. وهي تعاليم الآلة الذي تؤمن به كافة الأديان التوحيدية فرب المسلمين والمسيحيين واليهود هو واحد وليس اثنين. إلا أن هذا الموقف الغربي هو وريث الحضارة المادية القائمة اليوم على الغرب وهي في جوهرها تقوم على " المتعة" أي على إشباع الرغبات الإنسانية الغريزية بلا ضوابط. بدليل أن سكان الأرياف في الغرب هم أكثر تمسكا بتعليماتهم الدينية وطقوسياتهم التعبدية من أهل المدن. والبكارة في الغرب محترمة ومصونة في الأرياف الغربية أكثر من المجتمعات في العواصم. والحريات الجنسية واحد من هذه السلوكيات المتعية التي يقطف الغرب ثمارها السلبية في النسبة العالية من الولادات غير الشرعية،وفي جرائم الجنس وكافة أنواع الجرائم التي تحركها النزعات الكسبية/ الربحية لامتلاك الثروة بطرق لاأخلاقية ولا مشروعة، وكذلك انعدام الكف السلوكي عن تعاطي ما يؤذي الصحة كالمخدرات والمسكرات. ثم أن المثال الذي ضربه "هذا المسؤول السابق اللامع"،عن عادات الإمتناع عن شرب الخمر التي اعتبرها رجعية فكرية ومن العقائد الإسلامية غير العصرية، هو مثال لا يوافق عليه أي مثقف أوعالم في مكافحة الخمرة في الغرب. فقد اظهر الطب تخريبها ومضارها للجسم بما لا يختلف فيه اثنان. وهناك حملات كبيرة في الأوساط العالمية لمحاربة المسكرات. إذن فإن الديانات التي تحرم الخمرة جاءت لصالح الصحة العامة للفرد والمجتمع. وقد يكون هذا المدير السابق للمخابرات بتركيبتة كحولياً مثلما كان بوش قبل أن يصبح رئيسا للجمهورية. أما تناول لحم الخنزير فقد أثبت الطب ان فيه طفيلية مؤذية للجسم. ولم يعد الخلاف اليوم ما بين الغرب والإسلام على عادات شرب الخمر وأكل لحم الخنزير لأن ذلك يصب في صحة الفرد أساساً والدين يحرم ما يضر بالإنسان. لذلك اعتقد أن هذه مبادئ هي مباديء خيرة – دينية وليست شريرة. ومع ذلك فهي تظل ضمن نطاق الحريات الإنسانية فلا إكراه في الدين وهذا أساس في جميع الديانات الربانية الخالصة الأساسية.

ومن ناحية ثانية،وهذا ما يهمنا في الموضوع، فقد سرد هذا المسؤول الأميركي تأثيرات الدعاية في تبديل السلوك والمعتقد الديني وغيره كشيء حتمي. وهذا غير صحيح. فالحرب النفسية قد تفشل في كل أهدافها ومساعيها لأن هناك متغيرات variables تقرر نجاح أو فشل الدعاية تماما كالوصفة الطبية التي تشفي فردا ولا تشفي فردا آخر مصاباً بالمرض نفسه. لأن هناك فروقات فردية في استجابة البدن للدواء. كما أن الدواء الذي يوصف للفرد بمرض معين لا يوصف لشخص آخر يعاني من نفس المرض. فهناك تأثيرات جانبية ومضادات استطباب تكون عند الشخص الآخر. وبالمقارنة لا توجد وصفة سياسية ناجحة لأي مجتمع. هناك وصفات سياسية لمجتمعات معينة فالنظام الإسلامي السعودي لا يمكنه قبول النظام العلماني لأنه لا يناسبه فيكون من الطبيعي رفضه للعلمانية. ومهما سعت الدعاية لترويج العلمانية في السعودية فإنها ستفشل لأنها مخالفة للقوانين الاجتماعية والسيكولوجية. فالسعودية مجتمع مسلم ليس فيه اتنيات وعروق لتتصارع فيما بينها. أما لبنان لا يمكن أن يحكم حكما مسيحيا ولا إسلاميا لأن تعدديته تقتضي المشاركة. وهو حكم قد تفيده العلمانية لأنها تحسم الخلافات الدينية. وكذلك العراق فإن نظام صدام لم يستمر بفعل الاستبداد فقط ولكن أيضاً بفعل علمانية الحكم التي راعت تنوع الطوائف والأتينات التي لا يجمعها جامع مشترك كان لا بد من نظام علماني يلغي الصراعات الدينية ويتمحور حول مفاهيم قومية واجتماعية وسياسية تجمع جميع الطوائف والاتنيات. ويمكننا القول أن أميركا اليوم تنحو نحو معاكسة العلوم الاجتماعية التاريخية إن هي أرادت اقتلاع الأديان ونشر الحضارة المادية الأميركية. فهذا مشوار طويل ومحاولات قد تستمر لقرون. وهي قد لا تصيب أي نجاح لأن اعتمادها على علوم النفس والاجتماع في صياغة مبادئ دعائية لتبديل المعتقد والسلوك هي نجاحات نسبية ولهذه النجاحات شروط يجب توافرها. وكما ذكر المسؤول نفسه في هذا الكاتب فإن هناك ردود أفعال عكسية تأتي من دعاية مباشرة أو بفرض مضايق حضارية على شعب معين أو دين معين وهذا معروف عندنا كاختصاصيي إعلام أو حرب نفسية. وهو ما نسيمه بعلم النفس Reaction formation أي تشكل الانعكاس المضاد. وتلاحظ هذه الظواهر في مجتمعنا السوري. حيث أن كل تطرف في السلوك والحريات يقابله ردة

معكسة. وحيث هناك تزايد في عدد المحجبات وتصلب في سلوك الدين والعقيدة يقابله العكس تماما. كما وأن الولايات المتحدة الأميركية على المستوى السيكولوجي والسياسي هي المسؤولة الأولى عن حوادث ١١ أيلول لأنها خلقت ردود فعل عدوانية في ضمير المجتمع العربي والإسلامي إزاء تحيزها لإسرائيل والسياسية البرغماتية في تعاملها مع هذه الشعوب. والمتمحورة حول ذاتها النرجسية الأنانية وذات المصالح الخاصة فقط. والتي لا تعرف معنى للأخلاق بحدها الأدنى على الأقل. وهذا ما لا يمكن أن تهضمه الشعوب الشرقية لأن أساس حياتها العاطفية والفكرية يحتوي على عنصر الأخلاق المتعارضة مع المادية النفعية النرجسية. وبذلك فإن ما طرحته أميركا حول مشاركتها في تنمية شعوب منطقة الشرق الأوسط (هو طرح تعمية يعزف على وتر الغيرية الأخلاقية لتطوير هذه الشعوب كهدف معلن لهذا الطرح) هو مبادرة تهدف إلى أمركة هذا العالم والاستيلاء على خيراته بعقلية الإمبراطورية بكل عنفها وجشعها وامتصاصها لخيرات الشعوب المتأخرة كما وصفنا كولن باول. والأمركة المعتمدة على الأسس السيكولوجية لتبديل مفاهيم هذه الشعوب (بالصورة التي طرحها كاتب هذا المقال رئيس المخابرات الأميركية السابق حول كيفية تبديل المفهوم الإسلامي عند الشباب نحو المسكرات وأكل لحم الخنزير) لا تستطيع الإتكال على هذه الأسس لأنها ليست حتمية النتائج. ولا أحد يتجرأ من علماء النفس والاجتماع على القول بأنه قادر على صياغة السلوكيات الاجتماعية ضمن قوانين تماثل قوانين الكيمياء والفيزياء والتي تعطي النتائج نفسها كل زمان ومكان. وإن كانت العلوم الاجتماعية والنفسية مصنفة اليوم في آخر جدول العلوم، لأنها هي أعقدها ولا تخضع إلى قوانين كقوانين العلوم الوضعية الفيزيائية والكيماوية وغيرهما. فالمتغيرات variables في العلوم الاجتماعية والسيكولوجية كثيرة جدا بحيث يستعصي وضع قوانين اجتماعية تسري على كل المجتمعات. ومن هنا نجد إختلاف مدارس علم النفس لأنه لا توجد مدرسة واحدة من هذه المدارس تفسر السلوك الإنساني متكاملاً. بل كلها مجتمعة تفسر هذا السلوك لأن كل واحدة تأخذ جانبا من السلوك البشري وتدرسه. كما أن في العلاج النفسي يوجد ما يسمى ب "العلاج النفسي المتعدد المذاهب أو المتكامل". الذي يعكس أسس ومبادئ المدارس النفسية المختلفة. ففي العلوم النفسية والاجتماعية

والأخلاقية ولا يوجد شيء إسمه المطلق absolute في السلوك البشري والأخلاق الإنسانية. فالنسبية هي السائدة بحيث لا يوجد اسم العدل المطلق ولكنه العدل النسبي عند الكائنات البشرية. ولا الفضلية المطلقة ولا الأخلاق المطلقة ولا الظلم المطلق وما إلى ذلك. بل ولا توجد الحقيقة المطلقة بل الحقيقة النسبية في كل شيء. فما أراه ظلماً قد يراه الآخر عدلاً وهذا هو جوهر الصراع الأيديولوجي الصهيوني العربي مثلاً. فالصهيونية لا ترى ظلماً اقتلاع الفلسطينيين من إسرائيل التاريخية بل تراه عدلاً لأنها تراه وعد الرب يهوه في كتاب التوارة. في حين يرى العرب في هذا السلوك ظلما وعدوانا على حقوقهم لأن إسرائيل تشوه التاريخ وتستقيه من عقيدتها الدينية المستندة الى دين محرف وليس سماوياً وهم أصحاب الحق في الأرض الفلسطينية. وهذا مثال فقط على نسبية مفهوم العدل والظلم للذين يخضعان إلى المعايير النسبية في الحكم والعقيدة. ولنقس أموراً أخرى على هذا المقياس. حيث برنامج الاتجاه المعاكس الذي تبثه محطة الجزيرة يعطي مثالا واضحا كيف أن الطرف الآخر يعاكس الطرف الأول في المفهوم لأن الحقيقة هي نسبية وليست مطلقة.

وعندما نفهم هذه الأمور العكسية حق الفهم نستطيع أن نحكم على الأمور حكما منطقيا على الأقل. وهذا يصح على جميع المستويات ومنها السياسة. فالعلوم كلها تفتش عن الحقيقة وهي هدفها ولكن الحقيقة نسبية وليست مطلقة. وعندما أطلق بوش على حربه ضد ما أسماه بالإرهاب شعار "العدالة المطلقة" إضطر لتغيير هذا الشعار بعد أن تنبه لخطئه. فهذا الشعار مثل ذروة العظمة الجوفاء المغلوطة علمياً وفلسفيا ودينياً. إن صراعنا اليوم مع الاستعمار الأميركي الجديد هو صراع بين المصالح المادية التي هي رب الرأسمالية وبين الأخلاق والإنسانية التي تمشي في عروق الشعوب العربية والإسلامية لأنها نتاج حضاري وروحاني معاً. فالأخلاق الإنسانية فيها مثل والأخلاق المادية مناقضة تماما للأخلاق الإنسانية. وإذن فنحن وجها لوجهه أمام صراع حضاري واقع لا محال. فالأخلاق المادية مدعومة بقوة السلاح والأخلاق الإنسانية مدعومة بديناميكية دينية وروحانية ويستحيل التوفيق ما بين النقيضين إطلاقاً. لذا فإن صموئيل هنانتغتون صاحب نظرية صراع الحضارات ليس مخطئا عندما تنبأ بحتمية صراع الحضارات. إن أميركا مستعدة اليوم أن تزهق

أرواح المدنيين العراقيين الأبرياء بعد أن قتلت مليون عراقي نتيجة الحصار اقتصادي من أجل الوصول إلى مصالحها. لذلك هناك من أطلق على الحضارة الأميركية اسم "وثنية المصالح". وما الأسلوب الذي طرحه رئيس المخابرات السابق في كلامه الا نموذج أميركا في التعامل المستقبلي مع العرب والمسلمين على السواء. والعالم العربي اليوم على درجة كبيرة من السرعة باتجاه الهاوية. فهو فقد هويته وكيانه عندما تخلى عن أكسير وجوده وترابطه وهوالأحساس بالمصير المشترك (أي القومية العربية) التي تعمد الغرب وساهم العرب أنفسهم في تحطيمها وتحطيم اللحمة القومية وهي قوتهم الحقيقة. وإنهم اليوم باجتماعاتهم على مستوى القمم إنما يجترون أخطاءهم ويكررون ذواتهم المريضة لأنهم فقدوا أكسير حياتهم فباتت القمة العربية بنظر الشارع العربي لا تفرز إلا أفكارهم المريضة وإرادتهم المتخاذلة (عند البعض طبعا).

وبعدما أصبحنا بارعين في وصف الأمراض السياسية التي تفتك بنا بقي علينا بعد ذلك تشخيص العلل والأمراض ثم وصف الدواء. فما هو الدواء إذن؟. الدواء أولا أن نفكر مليا بما وصفنا به بوش بأننا دول نالت استقلالها ولكنها،طوال فترات الاستقلال، لم تعط هذه الدول لشعوبها شيئا وباتت تكرر ذاتها. صحيح أنه لا يصفنا بكلمات المصلح الذي يشفق علينا ولكن لاستخدام هذا الوصف ذريعة لاستعمارنا بحجة تعليمنا كيف نتطور. وهذا هو جوهر طرحه لبرنامج المشاركة الأميركية في تنمية دول الشرق الأوسط. أي أن نراجع أنفسنا ونستبصر الإيجابيات والسلبيات في جميع أنماط سلوكياتنا. بما يعني ضرورة النقد الذاتي والتعلم من الدروس. وهنا تبدأ الخطوة الأولى لإطلاق ديناميكية الإصلاح والتطوير.السلبيات والإيجابيات في ميزان النقد الذاتي،ومثل هذه العاصفة الدفاعية النقدية هي التي قد تقودنا إلى خيارات وحلول نحو الإصلاح والتطوير لمواجهة تحديات الاستعمار الأميركي. الذي أطل علينا. بل أن هذه العاصفة الدفاعية النقدية قد تنتج،إذا تم إطلاقها بصدق وموضوعية، الحلول التالية التي قد تنهض بنا نحو إصلاحات حقيقية. وتلك هي ما عليه أميركا اليوم حيث أوعية الفكر trink tank هي التي تبني سياسات أميركا الاقتصادية والسياسية والعالمية وهنا بعض الأفكار والمنظورات.

١- أن نولي أهمية كبيرة لإنتاج العلماء وفي كل جوانب ومناحي نشاطاتنا في

تطوير مؤسسات الدولة. وهنا لابد من وضع أسس للبحث العلمي المبني على قواعد تنتج العلماء. وهذا يستلزم خطة عريضة واسعة.

٢- إن نضع برنامجاً مرحلياً للانتقال نحوالديمقراطية الحقة والحريات المدنية بما يناسب معاييرنا الحضارية. وليس وفق معايير الديموقراطية المستوردة. ولنقل أن مشروع العشر سنوات المقبلة وفيه يتم تعليم الشعب وتدريبه على ممارسة حرياته وحدودها في الانتخاب والتعبير والصحافة وغيرها وتعددية الأحزاب وحملات تثقيفية كما يتم تأهيل الشباب اليوم في المؤسسات الحزبية التدريبية والندوات على اكتساب العقيدة الحزبية ومسؤولياتها أي إطلاق ديناميكية الأفكار والحريات والمشاركة والمساهمة في الإصلاح وتطوير المجتمع.

٣- إطلاق الحريات بصورة مقننة وفق ضوابط كيما لا تتحول هذه الحريات إلى تعديات وتجاوزات تضر بالأمن القومي وسلامة الأفراد والمجتمع ومؤسسات الدولة.

٤- الإصلاحات في البرامج التربوية والتنمية التي تتكفل بتخريج الأجيال القادرة بالدرجة الأولى علىاحترام التركيب الاجتماعي وتعددية الطوائف والعروق والعقائد الدينية التي تشكل المجتمع السوري. فالولد في المدرسة يتعلم أن دينه ليس هو دينه الأوحد المفضل, وطائفته ليس هي طائفته المفضلة وطبقته ليس هي الطبقة المفضلة. وبذلك يمكن مع هذا التوجيه التربوي التراكمي خلق أجيال تحترم وتذوب في نطاق الكل الجمعي. وبذلك نستأصل هذه الأمراض الاجتماعية السائدة في تركيبة مجتمعنا الموجودة والصارخة التي ننكر وجودها ظاهرياً. إن مثل هذه الأجيال الجديدة هي التي تمهد السبيل لظهور قيادات سياسية وأنظمة حكم لا تمزقها الصراعات الطائفية كما هو واقع في لبنان والعراق. بحيث تنعدم ثغرات المجتمع التي ينفذ منها الأجنبي لخلق التفرقة والصراعات الطائفية.

٥- أن تكون هناك حكومة مؤسسات قانونية لا تعلو على قوانينها أي يد. وهذا ما يضفي على الدولة الاحترام من قبل الدول الأخرى كما هو الحال في بريطانيا مثلا والهند. وهنا نستطيع أن نكافح الفساد وبكل أشكاله بعد أن نحقق العدالة الاجتماعية والاقتصادية في جعل تكافؤ الفرص شعارنا وللجميع. صحيح أن القوانين بهذا المعنى موجودة ولكن وللأسف مكتوبة أكثر من أن تكون نافذة

ومصانة وغالبا ما تطبق على المساكين الذين لاقوه عندهم.

٦- إصلاح القضاء: وهو دعامة أساسية في العدالة الاجتماعي.

إن هذه البنود الستة لو نظرنا الى حالنا اليوم وما يجب أن نكون عليه وفقا لهذه البنود أو القطاعات الستة وبأحكام موضوعية وضمائر مخلصة هدفها الإصلاح حقاً فسنكون قد تحركنا أو استطعنا تجنب الهاوية كما تسقط فيها بعض الأنظمة العربية اليوم. وهذا هو الرد الفعلي على المشروع الأميركي المطروح الرامي إلى تعليمنا كيف نتحضر ونتقدم كما هو واضح ما بين سطور الشراكة الأميركية لتطوير دول الشرق الأوسط.

الهوامش والمراجع

[١] عضو سابق في المعهد العالمي للدراسات الاستراتيجية في لندن، أستاذ سابق في جامعة دمشق عضو مشارك في قسم علم النفس السياسي للجمعية العالمية للعلوم النفسية والتطبيقية، مجاز من البورد الأميركي في العلوم النفسية والباثولوجية درس في فرع الحرب النفسية في القوات المسلحة السورية سابقا.

[٢] هذه الفروق في تسميات الدعاية الحرب السياسية الحرب النفسية وقد تم تفعيلها وتفريقها في دراسة سابقة قدمت لرئيس الوحدة وللدكتور نايف محمد النجار.

[٣] أ٣مية التأثير الدعائي على المعتقد والعاطفة (محمد الحجار)

[٤] تماما هذه هي سيكولوجية الرأي الآخر،و الاتجاه المعاكس البرنامجان اللذان يثبان أسبوعيا محطة الجزيرة محمد حجار.

[٥] هذا المثال الذي يضربه مؤلف وصاحب هذا البحث الرئيس السابق لوكالته المخابرات الأميركية فيه تعميم مغلوط، فالعقيدة الإسلامية هي كيان معرفي متجذر ومتكامل تتآزر في أسس العقيدة الإسلامية بحيث غير قابلة للتجزؤ بفعل الترابط والتماسك، وقد يصح ذلك عند أصحاب العقائد الهشة الدينية التي لم تترسخ وعادة يكونون من الجماعات الحديثين في الديانة أو أن المفاهيم الدينية يشوبها عنصر التشكيك في نفوسهم.

[٦] محمد الحجار.

[٧] لنعلم هذا جوهر الحرب النفسية أي نشر الأكاذيب التضليلات لتبديل السلوك والأفكار والمعتقدات محمد الحجار.

[٨] استغلال تأثيرات الإيحاءات حجار وهذا نراه في الممارسات العلاجية النفسية.

[٩] النداءات والتي توجهها الإذاعات السرية الأميركية إلى الضباط العراقيين لتفكيك ولائهم ودفاعهم لنظام الحكم في العراق حجار.

[١٠] نلاحظ كيف تبدل الدعاية المفهوم والمعتقد وتتلاعب بهما وتوجهها وفق الوجهة التي تريدها حجار.

[١١] نرى إلىأي حد تبدو البراغماتية المخابراتية تذهب لتدمير وجوه قومية تقف في وجه مصالحها حجار.

[١٢] على العرب أن يمحصوا ويجدوا النظر بجميع أنماط الحرب النفسية المتنوعة الأساليب التي يتعرضوا لها اليوم لدرء هذه الضلالات عنهم التي تبدل مؤثقهم ومعتقدهم (حجار).

يهود يكرهون انفسهم:

محاكم التفتيش الصهيونية

بين معاداة السامية ولا سامية الانا

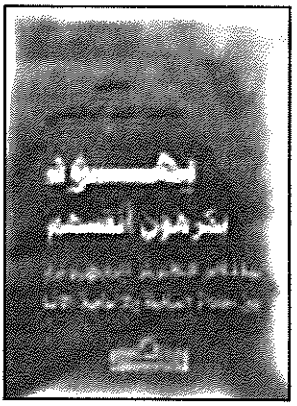

المؤلف: محمد احمد النابلسي

الناشر: دار الفكر/بيروت ـ دمشق/٢٠٠٢

متوافر للبيع على الانترنت/الفرات/ النيل والفرات/ ادب وفن.

هل نقبل بتهمة يهود يكرهون انفسهم الموجهة الى حركة ((المؤرخين الجدد)) الذين يعيدون النظر بالتاريخ اليهودي كله؟!

ام انها خدعة تروج لتسويقهم.. وهل يتساوى هؤلاء مع تشومسكي.

وارائدت وفرويد وشاحاك وغيرهم من المعادين للصهيونية فعلا؟ وكيف نفرق بين هؤلاء، وبين المؤرخين الجدد؟ ان استيعاب المنطلقات النظرية لهذه الحركة يمر بمناقشة موضوعات مفصلية وهامة وزعها المؤلف على فصول كتابه، ليساعد القارئ على فهم بحثه بين هؤلاء وبين يهود ضاقوا ذرعا بعبء تاريخهم، ويشكون من وطأة ٣٠٠٠ عام منه؟!.

لقد تحول فرويد من يهودي يتباهى به وبعبقريته الى يهودي يكره نفسه. فقد كان فرويد ينظر بازدراء الى الصهيونية ويعتبرها نكوصا الى التعالي والتعصب اليهوديين المسؤلان عن المذابح اليهودية. بل ان فرويد كان مشككا بالتراث اليهودي ساخرا من التلمود ومقررا حقيقة التأخر في تدوين التوراة... فاذا ما تسنى للصهيونية قهر المنطق بصناعة دولة معاكسة لمجرى الزمن اصبحت آراء فرويد ادانة لهذه الدولة. فتحول الى يهودي يكره نفسه ولكن بعد وفاته بعقود!؟...

تقنيات الحرب النفسية في العراق

أ.د. محمد احمد النابلسي

مع ثورة الإتصالات خرجت الحرب النفسية المعاصرة عن حدودها التقليدية. إذ فرضت الاتصالات نفسها كعنصر رئيسي من عناصر هذه الحرب. حتى ظهر توجه استراتيجي يقول بأن النصر لم يعد من نصيب الأقوى بل هومن نصيب من يملك الرسالة (الرواية) الأفضل. وهي مباديء استخدمت في الحرب النفسية الأميركية على العراق. وهي إستمرار لحرب نفسية مستديمة على العدوالمنتخب للولايات المتحدة. وهوالعدوالذي أعلن ترشيحه عبر فرضية "صدام الحضارات" وأعلن تنصيبه عبر حرب أفغانستان. التي شكلت مناسبة لإعلان الحرب على الإرهاب مع التحديد الدقيق لمحور الشر. الذي تضمن غالبية الدول العربية الكبرى وكافة التنظيمات المعادية لإسرائيل.

وكان من الطبيعي أن يستخدم الخبراء الأميركيون تجربتهم في حرب الخليج الثانية. التي تضمنت جوانب نفسية مهمة سهلت مهمة تحرير الكويت. وجنبت الأميركيين معارك كان يمكنها أن توقع خسائر بشرية هامة. كما كان من الطبيعي أن يستند هؤلاء الخبراء الى الصورة العربية النمطية التي زادها الإعلام الاميركي بشاعة وتشويها" بمناسبة ١١ ايلول ورغبة صقور بوش في توظيفها لشن سلسلة من الحروب في مناطق النفط الواقعة في الشرق المسلم.

١ ـ الحرب النفسية الأميركية

في تعليقه على الحرب النفسية في العراق يقول الكولونيل المتقاعد تشارلس بورتشيني الذي قاد المجموعة الرابعة لعمليات الحرب النفسية أثناء الحملة العسكرية ضد صربيا »أظن أنها ستكون مهمة عسيرة جدا، فهناك الكثير من المجموعات السكانية التي ستختلف في طريقة تفاعلها مع الحرب النفسية. عليك

بشكل ما أن تحدد الطريقة التي تمكنك من الوصول إلى الناس والتأثير فيهم».

هذه الملاحظة المستندة الى الاتنولوجيا (علم دراسة الاعراق) والى سوسيولوجيا الجماعات كانت مقررة للخطط العسكرية الموضوعة لحرب العراق. ولعل المعلومات ،المتوافرة عبر معارضي النظام، قد رسخت أهمية هذه الملاحظة. وعنها تفرع تكليف الفرق البريطانية بالتعامل مع المناطق الجنوبية. بسبب الخبرة البريطانية في التعامل مع الجنوبيين ووفرة معلوماتهم حول النمط السلوكي لقتال الجنوبيين ودوافعهم القتالية. وهي دوافع درسها البريطانيون لدى احتلالهم للعراق عقب الحرب العالمية الأولى. ولعل هذه الملاحظة كانت السبب في اعتماد الاميركيين على الأكراد في الشمال العراقي. إلا أن هذه الملاحظة لم تكن شديدة الأهمية في الفسيفساء البغدادي. حيث تم الاعتماد على إتصالات المعارضين بالفئات التي ينتمون اليها والمتعاطفة معهم.

لكن هذه الحرب لم تقف عند حدود الحرب النفسية التقليدية بل تخطتها إلى اسلحة نفسية. وتحديداً الى القنبلة النفسية. وهي فكرة لم تغب عن بال العراقيين الذين صنعوا سلاحاً نفسياً في إطار الإمكانيات المتاحة لهم.

١- القنبلة النفسية

يعود تاريخ هذه الأسلحة إلى الحرب العالمية الأولى عندما استخدم البريطانيون اسلحة حارقة (سميت بالكيماوية في ما بعد) جعلت جنود الأعداء يهربون من الجبهات خوفاً من الإحتراق بهذه الأسلحة. ثم جاء تطور هذه الأسلحة عبر شائعة توصل العلماء السوفيات لأسلحة عقلية (بمعنى أنها تصيب الأعداء بنوع من الجنون). ولاقت الشائعة رواجاً في حينه. بسبب ما كان يتسرب عن توظيف الاتحاد السوفياتي للطب النفسي في المجالات العسكرية. وهوتوظيف متطور ،كما بدى بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، لكنه لايصل الى حدود انتاج اسلحة عقلية أونفسية مؤقتة التأثير. لكن الأميركيين استفادوا من التجربة السوفياتية في المجال فأنتجوا بعضاً من هذه الأسلحة بمساعدة علماء روس مهاجرين. ومنها القنبلة النفسية التي استخدمت في الحرب على العراق. وهي قنبلة صوتية قوية.تعتمد على مبدأ إنتهاك العتبات السمعية للأذن البشرية. حيث دلت تجارب الحروب على تسبب

أصوات الإنفجارات بتأثيرات نفسية وفيزيولوجية تزداد مع حدة صوت الإنفجار. وهذه التأثيرات هي إختصاراً التالية: ١- المظاهر الفيزيولوجية للخوف (تسارع النبض والشحوب والتشنج العضلي والتعرق والدوار والارتجاف ... الخ). و٢- تقلص عضلات الرقبة والظهر (يشبهها المتعرضون للصوت بإحساس وجود مفاجئ لقطعة من الثلج في تلك المنطقة). و٣- التخدير الحسي - العاطفي (Anesthesie Affective) و٤- فترة ذهول تعقب هذا التخدير.

ويتفق المتعرضون لصوت انفجار هذه القنبلة على أنها تخلف هذه الآثار بدرجة شديدة وعلى أن متوسط فترة الذهول والتخدير الحسي المرافقة لصوتها هو ١٥ دقيقة. ويصف هؤلاء الحالة بالقول: كنا نرى بعضنا البعض ونحتفظ بقدرتنا على فهم ما يجري حولنا لكننا كنا عاجزين عن الإتيان بأية حركة (فقد المبادرة) لمدة ربع ساعة تقريباً.

وهذه القنبلة تستجيب لقول وليام أركين (ضابط الاستخبارات السابق الذي يعمل حاليا محللا عسكريا) إنه في غزوالولايات المتحدة للعراق قامت القنابل نفسها بدور المتحدث بدل الحرب النفسية التي تحاول التأثير على كل البلد.

٢- القنبلة الكيماوية الخادعة

إستغل العراقيون شائعة أسلحة الدمار الشامل فأنتجوا قاذفات بدائية تقذف بودرة بيضاء توهم العدوبأنها سلاح كيماوي. مما يولد الذعر والرغبة في الهرب. ويروي شهود عيان أن الأثر النفسي لهذه البودرة الخادعة كان فاعلا" في بعض المعارك خلال الحرب العراقية. وتحديدا" في معارك أم القصر ومعركة المطار الأولى.

٣- الخطوات التقليدية للحرب النفسية

كان من الطبيعي أن يعمل أخصائيوالحرب الأميركيين على إستغلال المعلومات المتوافرة لهم ،عبر مخابراتهم وعبر المعارضين، لتوظيفها في حربهم النفسية. حيث التفوق التقني الأميركي كفيل بتفعيل الحيل التقليدية للحرب النفسية. ويمكن تلخيص خطوات إعداد هذه الحرب/ الحيل على النحوالتالي:

- اتخذت المجموعة الأميركية الرابعة لعمليات الحرب النفسية من منطقة

«فورت براغ» في نورث كارولاينا مقرا لها وقامت بصياغة سيناريوهات الحرب النفسية وكتابة الرسائل التي تم بثها عبر المحطات الإذاعية والتلفزيونية.

– تكرر إرسال الرسالة التالية: " نعرف من أنتم. الهزيمة ستكون بالتأكيد من نصيبكم" عبر الفاكسات والبريد والوسائل المتاحة الى من توافرت عناوينهم من المسؤولين العراقيين. حيث ساعدت المعارضة في الحصول على بعض هذه العناوين وحصلت المخابرات الاميركية على بعضها الآخر خلال حملتها لتجنيد الدبلوماسيين العراقيين.

– كما إشتملت الحرب النفسية الأميركية في العراق على إسقاط المناشير (بدأ إسقاط بعضها في الأسبوع السابق للحرب على مناطق الحظر الجوي الواقعة في جنوب وشمال العراق). وهي تجربة كانت فعالة خلال حرب ١٩٩١ ضد العراق (مع انها لم تركز في حينه على المدنيين) حين انصب التركيز يومها على القوات العراقية الموجودة في الكويت حيث أسقطت عليها المناشير بالطائرات وتمت مخاطبتها عبرالراديو. وتلك التكتيكات كانت فعالة حسبما يقول المحلل العسكري أركين .إذ دعيت آنذاك وحدات عسكرية محددة بأسمائها في المناشير والرسائل الإذاعية وطُلب منها أن تتخلى عن عرباتها أوأنها ستتعرض لخطر القصف. وهذا ما دفع الكثير من الوحدات العراقية إلى ترك عرباتها المدرعة وراءها واستسلمت بأعداد كبيرة.

– لعب البث الإذاعي دورا أكثر فعالية من غيره لإيصال رسائل الحرب النفسية إلى العراقيين، حسبما قال بعض المسؤولين، لأن أجهزة التلفزيون غير منتشرة هناك بنفس درجة انتشار اجهزة الراديوفي المقابل، قامت طائرات ذات كفاءة عالية في البث الإذاعي بعملها حيث استخدمتها وحدة »جناح العمليات الخاصة« رقم ١٩٣،التابعة للحرس القومي في بنسيلفانيا، مع استخدام محولات البث الأرضية الموجودة في الكويت وبلدان أخرى. وهذه الوحدة الإعلامية قامت ببث البرامج المعادية لصدام حسين الموجهة للعراقيين.

– السيطرة الإعلامية هي اليوم من أهم قنوات الحرب النفسية لذلك أكد الخبراء الأميركيون على أن الصور يجب أن تكون صورنا لا ما يقدمه صدام. قال ماوإن أفضل طريقة للفوز بالحرب هي فصل الجيش عن شعبه. .لذلك، كانت أول المواقع التي استهدفها القصف الأميركي هي أجهزة الإرسال التلفزيوني ومرافق الاتصالات،

لمنع صدام حسين من الاتصال بالناس أوبآمري الوحدات العسكرية. من هنا كانت نصيحة الاميركيين للمراسلين كي ينسحبوا من بغداد. ومن ثم كان قصفهم لمكتب الجزيرة وحصارهم لمكتب قناة أبوظبي يوم التحضير لدخول بغداد.

– توظيف هذه القدرات مجتمعة لبث الرسائل التي تزيد في إرباك العدو(الشائعات، النكات، المعلومات المكتومة، تضخيم خسائر العدو...الخ).

– الإصرار على مبدأ التسبب بالصدمة – الرعب عبر القصف المركز. وهوالقصف الذي نجح في علاج الغضب الشعبي العربي في العديد من التجارب السابقة. وهذا القصف يدخل في نطاق الحرب النفسية. إذ ينظر له على أنه الصفعة التي تعالج النوبات الهيستيرية للشارع العربي. ونجاح هذا العلاج الأميركي هوالسبب في التجاهل الاميركي لإتجاهات الشارع العربي ولمواقفه.

٢– حرب الشائعات في العراق

كان للشائعات دورها في اجتياح المغول لبغداد. فقد روج جنكيز خان شائعات تتناول ضخامة عدد جنوده وضراوتهم الوحشية في القتال وغيرها من شائعات التهويل. التي ثبت غشها إذ تبين أن العدد لم يكن ضخما" وأن الانتصارات كانت تعود لسرعة تحركات جيشه وليس الى ضراوته القتالية.

عودة الى شائعات حرب الخليج

بداية فإن خبراء الحرب النفسية الأميركيين قاموا بتحليل رجعي للشائعات الأميركية وكذلك تلك التي أطلقها العراقيون في العام ١٩٩١ واتخذوها نموذجا" للشائعات المحتمل اطلاقها من قبل العراقيين في هذه الحرب. كما إتخذوها منطلقا" لإطلاق حربهم الدعائية ضد صدام حسين ونظامه. وننشرهذه الشائعات كما وردت منشورة ومعلق عليها من قبل الأميركيين وهي التالية:

صدام غير مهتم بشعبه

يقول محرر جريدة الدايلي تلغراف (لندن) كون كوغلين، مؤلف كتاب، ملك الإرهاب: سيرة صدام حسين، خلال مقابلة مع محطة سي إن إن، ضمن برنامج أميريكان مورنينغ، في الثامن من تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٢:

"صدام حسين إنتهازي، وهوليس في الحقيقة مسلم تقي. لكن، متى يناسبه ذلك، يُصوّر نفسه كقائد مسلم. وأظن أنه متى ذهب مراسلوكم إلى بغداد، سوف يشاهدون كل تلك الصور التي تظهر صدام كباني الوطن، وكقائد عسكري، وكقائد ديني".

وفي تقرير عن برنامج النظام السّخي لبناء المساجد منذ سنة ١٩٩٠، في الوقت الذي تندر فيه السلع الاستهلاكية والعديد من الضروريات، أوهي غير متوفرة، نقلت صحيفة لوس أنجلوس تايمز عن لسان دبلوماسي غربي في بغداد تحدّث إليها شرط أن يبقى اسمه غير معلن: "إن رفاهية الشعب لا تدخل ضمن لائحة أولويات النظام. الشيء الوحيد الذي يهم النظام هوبقاؤه. فبناء مسجد كبير جداً قد يساعد النظام الاشتراكي الذي كان علمانياً في السابق، بل وحتى ملحداً، على العودة إلى حظيرة أُسرة الدول العربية، في حين يستخدم النظام الوضع البائس لأكثرية الناس العاديين كدرعه الدعائي"

إبتزاز الحجاج

ما من مكان يبرز فيه التناقض بين خطاب صدام حسين الديني وممارساته بوضوح أكثر من الطريقة التي يُعامل بها صدام حسين العراقيين الراغبين في أداء فريضة الحج. إذ يتدخل النظام العراقي برحلات الحج للمسلمين العراقيين الذين يرغبون في أداء فريضة الحج إلى مكة المكرمة والمدينة المنوّرة. كما بالنسبة للمسلمين العراقيين وغير العراقيين الذين يسافرون إلى العتبات المقدسة داخل العراق. فقد رفضت بغداد كل اقتراحات السفر التي لا تنطوي على تقديم دفعات مباشرة إلى الحكومة. وفي سنة ١٩٩٨، عرضت لجنة العقوبات التابعة للأمم المتحدة توزيع وصولات للسفر ولنفقات الحجاج، لكن الحكومة رفضت هذا العرض. وعرضت لجنة العقوبات من جديد، سنة ١٩٩٩، توزيع الأموال لتغطية النفقات التي لها علاقة بالحج عبر فريق ثالث محايد؛ مرة أخرى، رفضت الحكومة العرض. بعد الموافقة على قرار مجلس الأمن رقم ١٢٨٤ في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٩، اقترحت لجنة العقوبات إصدار ٢٥٠ دولارا نقداً وشيكات سياحية بقيمة ١٧٥٠ دولاراً لكل فرد من الحجاج تُوزّع في مكتب الأمم المتحدة في بغداد بحضور رسميين من الأمم المتحدة ومن العراق. مرة أخرى رفضت الحكومة العرض وكان

من نتيجة ذلك أن أحداً من الحجاج العراقيين لم يتمكن من الاستفادة من الأموال المتوفّرة أومن الرحلات الجوية المتاحة. وحاولت الحكومة أيضاً استخدام الحج للتحايل على العقوبات لمصلحتها الخاصة. ففي سنة ٢٠٠١، استمرت الحكومة في مطالبتها بإيداع الأموال المقدمة من الأمم المتحدة للراغبين في الحج في البنك المركزي الذي تشرف عليه الحكومة، وان توضع هذه الأموال تحت إشراف الرسميين الحكوميين لكي توزّع بدلاً من تسليمها إلى الحجاج. كما فرض النظام عدة أنواع من المكائد لإنتزاع الأموال من الحجاج عن طريق مطالبتهم بدفع النفقات مباشرة إلى البنك المركزي العراقي. التقديرات تختلف كثيراً، لكنه من الواضح أن صدام حسين قد حصل على ملايين الدولارات سنوياً بهذه الطريقة فحسب. وبعد رفضها خطة جديدة للأمم المتحدة لتمويل السفر إلى الحج سنة ١٩٩٩، وضعت بغداد ١٨٠٠٠ حاج عراقي في باصات وأرسلتهم إلى الحدود السعودية حيث شجعتهم على التظاهر والمطالبة بان يَرْفع السعوديون الحظر عن الأموال العراقية المجمّدة لكي يسدد الحجاج نفقات رحلتهم. بدلاً من ذلك، رحّب الملك فهد بالحجاج العراقيين ووعد بأن المملكة العربية السعودية سوف تؤمن لهم كافة التسهيلات اللازمة لهم دون أي مقابل. وعندما تبيّن للحكومة العراقية أن لا أمل في الحصول على مدفوعات من السعودية من الأموال المجمدة أومن مصادر أخرى، أمر صدام حسين بعودة الحجاج إلى بغداد".

حرب الخليج: أكاذيب حول تواجد قوات غير مسلمة في الشرق الأوسط

خلال حرب الخليج، استغل صدام حسين كون قوات غير مسلمة تحارب العراقيين المسلمين على أمل تصوير الحرب كأنها حربٌ ضد الإسلام. وادّعى العراق أن الأماكن الإسلامية قد هوجمت وزعم، ضارباً على وتر ارتياب الإسلام إزاء الأخلاقيات الغربية والمواقف الغربية تجاه الإسلام، أن قوات التحالف قد دنّست الأماكن المقدسة وجاءت بأمور لا أخلاقية إلى المملكة العربية السعودية. كما ذكر الرئيس جورج بوش الأب، خلال تشكيله التحالف الدولي عام ١٩٩٠ لا أخلاقية وعدم شرعية غزوالعراق للكويت، ودعا إلى تحرير الشعب الكويتي. وأصدر مجلس الأمن قرارات تسمح باستخدام القوة لتحرير الكويت. سعى العراق إلى تقويض الفكرة القائلة إن الأميركيين والدول الغربية الأخرى المشاركة في التحالف هم من حرروا

الكويت كما سعى إلى استغلال القلق من وجود غرباء مسلحين على الأراضي العربية. وقد اخترع النظام العراقي لتحقيق غاياته تقارير عن جرائم زعم أن العسكريين الغربيين ارتكبوها بحق المسلمين العاديين أوبحق الرموز القومية الهامة. وزعمت بعض التقارير أن أناساً قُتلوا أوجُرحوا بينما كانوا يشاركون في بعض أعمال الاحتجاج المعادية للتحالف، في محاولة لخلق انطباع إضافي بأن معارضة الحرب تتصاعد في العالم العربي أوالإسلامي. بعض هذه المزاعم:

– القوات المتعددة الجنسية احتلّت مكة المكرمة والمدينة المنورة/ بيان لصدام حسين، أذاعته إذاعة مونتي كارلو

– رشحت مصادر في حلف شمال الأطلسي (الناتو) معلومات تقول إن العسكريين الأميركيين قد ناقشوا مشروعاً سرّياً للهجوم على الكعبة في مكة المكرمة بواسطة صاروخ يحمل علامات عراقية لأجل استخدام هذا الهجوم ذريعة للهجوم على العراق" / النهار، (صحيفة موالية للأردن في إسرائيل)، ٣١ كانون الأول/ ديسمبر، ١٩٩٠

– كانت المغنية الأميركية مادونا في المملكة العربية السعودية للترفيه عن القوات الأميركية/ إنقلاب (باكستان)، ٢٧ كانون الثاني/يناير ١٩٩١

– ٤٠ بالمئة من الأميركيين مصابون بجرثومة الإيدز ويذهبون إلى المملكة العربية السعودية لنشر هذا الوباء / تلفزيون بغداد، أواخر آب/أغسطس ١٩٩٠

– رجال كوماندوس البحرية الأميركية خطفوا سفينة تجارية بنغلاديشية في بحر العرب / سانغباد (بنغلادش)، ١ كانون الثاني/يناير ١٩٩١

– الاستخبارات الأميركية خطّطت لاغتيال ولي العهد السعودي/إذاعة بغداد، ١٥ كانون الثاني/يناير ١٩٩١ .

حرب الخليج: أكاذيب حول قيام نزاعات بين الحلفاء المسلمين والغربيين.

التحالف الذي شارك في عملية عاصفة الصحراء كان حلفاً عريضاً تشكل من بلدان غربية وغير غربية، كما أن مشاركة العديد من البلدان الإسلامية حرمت النظام العراقي من فرصة تصوير النزاع كأنه بين الإسلام وغير المؤمنين. وفي محاولة لتأجيج المعارضة ضد التحالف في البلدان العربية والإسلامية، اختلق العراقيون

القصص عن وجود تنافر ونزاع علني بين العسكريين الغربيين والمسلمين مستخدمين في أغلب الأحيان أساليب من – وراء الستار ووسائل الإعلام الخاضعة للدولة. وجاء في هذه التقارير أن عسكريّي البلدان الإسلامية يتعرضون عادة للإهانة أوتزهق أرواحهم على يد حلفائهم الغربيين قبل أن يتمكنوا من قتل عدد قليل من مُعذّبيهم المزعومين. كل تلك المزاعم ليست صحيحة. تشمل المزاعم الكاذبة المحدّدة:

– فتح الجنود الأميركيون والبريطانيون النار على الجنود البنغلاديشيين في المملكة العربية السعودية لأنهم رفضوا الاشتراك في الهجوم على العراق. ونتج عن ذلك مقتل مئات من الجنود البنغلاديشيين/ – مناشير وُزعّت في بنغلاديش، ٢٨ كانون الثاني/يناير، ١٩٩١

– فتحت القوات الأميركية النار على القوات المغربية في المملكة العربية السعودية وقتلت العديد منهم/ –إذاعة بغداد، ٣١ كانون الثاني/يناير، ١٩٩١

– تواصل الولايات المتحدة استيراد النفط العراقي الأمر الذي يشكل خرقاً للحصار في الوقت الذي تُحرّم ذلك على حلفائها./ وزير النفط العراقي، ١٧ آب/ أغسطس، ١٩٩٠

شائعات الحرب الأميركية على العراق

بعد إستعراضنا لنماذج شائعات حرب ١٩٩١ وقبل أن نعرض للشائعات المتداولة في حرب العراق لا بد لنا من تعريف الشائعة وهو: انها خبر غير مؤكد يتم تناقله بسبب أهميته وغموضه وهويعتمد كواقعة لدى من يريد تصديقه. أما عن تصنيف الشائعات وأنواعها المتكررة فهوالتالي:

أ– الشائعة الزاحفة: تنتشر ببطء وبسرية.

ب– الشائعة الإندفاعية: تنتشر بسرعة فائقة مستندة الى مشاعر انفعالية عنيفة.

ت– الشائعة الغاطسة: تنتشر في ظروف معينة ثم تختفي (تغطس) لتعاود الظهور في الظروف المماثلة.

ث– الشائعة الأمل: وتنتشر في الأوساط التي تتمنى صحة هذه الشائعة.

ج– شائعة الخوف: وتنتشر في أجواء التهديد المولدة للمخاوف.

ح- شائعة الخيانة: وتنتشر خاصة في زمن الحروب.

خ- شائعة البعبع: وهي شائعة خوف مبالغة.

د- الشائعة التمييزية: التي تحمل موقفا" ما من جماعة عرقية أوطائفية أوغيرها.

بعد هذا التعريف المقتضب لسيكولوجية الشائعة نعرض للشائعات المتداولة في الحرب العراقية وأهمها التالية:

١- شائعة ملكية العراق لأسلحة الدمار الشامل.

وهي شائعة تجمع بين نمط " الشائعة البعبع " وبين " الشائعة الغاطسة ". فقد تم إطلاقها في حرب ١٩٩١ ثم غطست كي تعاود الظهور في فترات متلاحقة. لغاية إطلاقها بمناسبة الحرب الأميركية على الإرهاب. وتحويلها من شائعة الى حرب. حيث لا يمكن لأي مراقب حيادي أن يفهم الخوف الأميركي من هذه الأسلحة إن هي لم تستعمل حتى خلال حرب أسقطت النظام وإحتلت البلاد!.

٢- شائعة قطع رأس النظام.

حيث تذرعت الإدارة الأميركية بهذه الشائعة لإطلاق الحرب على العراق. إذ إدعت ملكية معلومات مخابراتية عن مكان تواجد القيادة العراقية وإمكانية إغتيالها. بما يعادل فصل رأس النظام عن جسده (إعدام النظام).

كان الرد العراقي على هذه الشائعة متمثلا" بظهور تلفزيوني لصدام حسين. لكن الطرف الأميركي حافظ على فعالية شائعته لعدة أيام إضافية عن طريق التشكيك بكون الصورة لبديل من بدائل صدام.

٣- شائعة هروب طارق عزيز.

وهي من نوع شائعات الخيانة. وهي مدروسة بعناية فإنتقاء طارق عزيز من بين القياديين لم يكن مصادفة. فمن المعروف أنه كلداني مسيحي. وهذه الشائعة تنطوي على إيحاء بعدم ولاء الكلدان وإستعدادهم للغدر بالمسلمين. ومن المعروف أن عزيز سبق له وأن تعرض للعديد من الشائعات الشبيهة.

كان الرد العراقي بظهور طارق عزيز التلفزيوني وتوجيهه كلمة للعراقيين.

وانتهت الشائعة عند هذا الحد. في حين أنه كان بالإمكان معاودة طرحها (لم يعد عزيز للظهور بعدها). وربما كان للعتب الكلداني دوره في طمس هذه الشائعة.

٤- شائعة تغيير خطة الحرب.

كان التعجيل الاميركي ببداية الحرب مصدر مفاجأة للجنود البريطانيين. لذلك كانت شائعة العودة للخطة الأساسية تطلق من حين لآخر بهدف طمأنة المقاتلين البريطانيين والأميركيين. في حين كانت الحرب تتخذ إتجاها" مخابراتيا" صرفا".

٥- شائعة الحرب الطويلة.

وهي من نوع شائعات الأمل للطرف العراقي ومن نوع الإندفاعية للطرف الأميركي وحلفائه. وهي تزداد تأثيرا" لإنطلاقها على لسان بوش شخصيا" متجاوزا" الإحراجات التي تتسبب فيها مثل هذه الشائعة. ومعرفة هذه الإحراجات ضرورية لتبيان أهمية هذه الشائعة التي إستأهلت هذه التضحيات. فقد أدت هذه الشائعة الى إنتكاسة ،محدودة، في البورصات الأميركية. ولإثارة خوف الأصدقاء العرب الذين التهبت شوارعهم بحيث تصعب السيطرة عليها لفترة طويلة. كما أثرت هذه الشائعة على مصداقية الاعلانات الأميركية السابقة عن حرب لا تتعدى الثلاثين يوما". مع ما في ذلك من تأثير على معنويات المقاتلين من الطرفين.

٦- شائعة تأخير الهجوم على بغداد.

وهي إستمرارية لشائعة الحرب الطويلة.

٧- شائعة إنتظار وصول قوات إضافية.

وهي إستمرارية للشائعتين السابقتين.

٨- شائعة سقوط المدن.

حيث توالت الشائعة / الإعلان الأميركي عن سقوط مدن الجنوب العراقي بشكل محرج للقيادة الأميركية. مما سمح لوزير الإعلام العراقي بإكتساب شعبية ومصداقية محلية وعالمية.

٩- شائعة ضرب مقرات القيادة العراقية.

وهي شائعة متكررة بقيت سارية طيلة فترة الحرب. وهي من نمط شائعات

الخيانة. حيث القدرة على ضرب المقرات السرية تعادل الإختراق المخابراتي. وهوكان حاصلاً دون شك. لكنه لا يبدوبحجم الإيحاء الذي أرادته هذه الشائعة.

١٠- شائعة إستسلام لواء عراقي مع فرقته.

بدت هذه الشائعة وكأنها حاجة لرفع معنويات مقاتلي الحلفاء بعد إرتفاع حوادث النيران الصديقة والإحراجات المرافقة للإعلان عن احتمال طول أمد الحرب.

رد التلفزيون العراقي على هذه الشائعة بمقابلة مع اللواء.

١١- شائعة تدمير فرقة من الحرس الجمهوري.

وهي تهدف للإعلان عن استدراج فرق من الحرس الجمهوري الى معارك خارج بغداد. بما يربك بقية الفرق. وهوارباك عوضه نفي الصحاف للخبر.

١٢- شائعة مقتل برزان في مزرعته.

ويمكن إدراجها في اطار الشائعة المقولبة التي تمهد السبيل أمام إختراقات فرعية للقيادة أولأتباع برزان في تكريت. إذ أن بقاء برزان في مزرعته إنما يعني الاستسلام أوإنتظار الموت.

١٣- شائعة الاميركي المسلم يقتل رفاقه.

تبين لاحقا" أن القاتل يهودي. وتم عكس الشائعة لتجنب إثارة حساسية مشاركة اليهود في حرب تطال العتبات الإسلامية المقدسة.

١٤- شائعة إنتظار إنقلاب على صدام.

وهي شائعة تابعة لجملة شائعات متزامنة معها. فهذه الشائعة منفصلة تكون عديمة الفعالية. لذلك تم ارفاقها مع جملة شائعات أهمها موت صدام وتحقيق إختراقات في القيادة العليا.

١٥- شائعة الشفقة.

التي تم بثها عبر وسائل الإعلام العربية (تتسبب بالإحباط) ومنعها في الوسائل الأميركية (تتسبب في تنامي المعارضة الاميركية الداخلية للحرب).

١٦- شائعة الأسلحة الروسية والسورية.

وتنطوي على تورية خرق شركات أميركية للحصار على العراق (أعلن في ما بعد أنها دفعت ٧٠٠ مليون دولار سرا" كضرائب على تجارتها غير المسموحة مع العراق). كما تنطوي على محاولة إحتواء الضغوط المعارضة للحرب الممارسة من قبل هذه الدول.

ونكتفي بهذا القدر من الشائعات المتداولة خلال الحرب العراقية ونتخذها مثالا" على دور الشائعات في الحروب. مع ملاحظة أن هذا الدور لا يقتصر على الحرب النفسية. إذ أن الشائعات مساعدة على طرح الأسئلة الهامة لتوجيه التحليل السياسي للحدث. وعلى سبيل المثال سنقوم بطرح بعض الأسئلة المتفرعة عن الشائعات المعروضة أعلاه ونبدأ ب:

- لماذا ركزت الشائعات على اسلحة روسية وسورية وتجاهلت الأسلحة الصينية بالرغم من وجود تقارير تشير الى وجود صفقات من هذا القبيل؟.

- لماذا لم تستغل القوات الأميركية الفوضى المرافقة لسقوط بغداد وتكريت لتفبرك قرائن على وجود أسلحة دمار شامل في العراق؟. وهل هي تنوي البحث عنها في أماكن أخرى لاحقاً؟.

- لماذا وقع برزان التكريتي ، وهورئيس مخابرات سابق، في الأسر بمثل هذه السهولة؟. ومثله رؤوس أخرى واردة في ورق اللعب (الكوتشينة الأميركية)؟. وما هوعدد أوراق اللعب الساقطة مسبقاً؟.

- هل كانت شائعة طول مدة الحرب هادفة للضغط على المترددين؟. أم كانت لنهر المتعاونين؟. أم لزيادة تعاون الأصدقاء وتورط الحلفاء؟. أم للتمهيد من أجل تحويل الحرب الى قذرة وتبرير سقوط أعداد كبيرة من المدنيين؟.

- هل كانت الحاجة لتسويق شائعة موت صدام وراء إقصاء الإعلام عن أخبار بغداد بعد ضرب وسائل الإعلام العراقية؟. وما هي حصة هذه الشائعة في إسقاط بغداد؟.

- هل عكس الإعلان عن تغيير خطط الحرب خلافات داخل الإدارة الأميركية؟. خاصة وأنه ترافق مع استقالة مستشار شؤون الارهاب في مجلس الأمن القومي.

وكذلك استقالة ريتشارد بيرل؟. أم تراه يعكس خلافات مع الحليف البريطاني؟ أم هوإغراء للشركاء الأطلسيين المعارضين للحرب؟.

– هل كان الإيحاء / الشائعة بتمديد فترة الحرب وبتأخير الهجوم على بغداد بانتظار وصول الإمدادات وغيرها من شائعات التسويف على علاقة بالجهود الروسية لتحضير صفقة سياسية ما؟.

٣– النكات رافقت حرب العراق

في دراسته المعنونة " النكتة واللاشعور " يطرح فرويد التفسير التحليلي للنكتة عن طريق ربطها باللاشعور. حيث يرى أنها تعكس محتويات اللاشعور بصورة ملتوية ومحورة. الأمر الذي يجعل النكتة قريبة من الحيلة الدفاعية. حيث يلجأ الوعي الى هذه الحيل كي يتمكن من تحمل وطأة الحقائق الكامنة في اللاشعور.

هكذا فإن توظيف النكتة يستوجب قدرتها على تحريك كوامن اللاوعي والإنفعالات المكبوتة. هذه الإنفعالات التي تتراوح زمن الحرب ما بين الخوف والعدوانية وإهتزاز صورة الأنا المثالية وغيرها من الإنفعالات السلبية التي تخفي ثنائية العواطف تجاه أهداف الحرب ومثلها العليا. التي تكون محبوبة ومكروهة في آن معا". ومن هنا انتشار الحيلة الدفاعية المسماة ب: " التوحد بالمعتدي " والمتجلية بالتعاون مع الأعداء الإفتراضيين أوالمباشرين. وفي مقابل هذه الحيلة الدفاعية حيلة أخرى معاكسة هي حيلة التسامي لدرجة الإستعداد للتضحية بالذات. ولقد بينت الدراسات أن مستوى إيمان المقاتل بالقضية التي يقاتل من أجلها هوالذي يحدد أتجاه حيله الدفاعية. لذلك يجري توظيف النكات ومعها الشائعات والرسائل الإعلامية بإتجاه تعبئة المقاتلين والجمهور لزيادة قناعتهم بالقضية التي يقاتلون من أجلها. في حين يعمل الطرف المعادي في الإتجاه المعاكس. بحيث يصبح للنكات دورها في الحرب النفسية.

ومن الطبيعي أن تكون حرباً بخطورة حرب العراق موضوعاً لقائمة طويلة من النكات السابقة والمرافقة والتالية لها. حيث سنجد أن الإختلاف الثقافي يجعل بعض النكات مفهومة في ثقافة دون غيرها. مع ما يصاحب ذلك من عجز بعض النكات عن إختراق الثقافات المستهدفة. مثال ذلك وصف العربي للعدوبالكلب وهووصف غير

مهين في الثقافة الغربية وقس عليه. وبالنظر الى كثافة النكات المنطلقة بمناسبة هذه الحرب فقد رأينا تصنيفها بحسب مواقف الجهات التي تطلقها من هذه الحرب. حيث نلحظ:

- نكات الأميركيين المعارضين للحرب.

* قال جاي لينولأحد ضيوف برنامجه "هل تعرف ان العراق تعني بالعربية فيتنام "?. وفي فقرة اخرى قال "وعد الرئيس بوش العراقيين بانهم اذا تخلصوا من صدام فانه سيساعدهم بالغذاء والدواء والكساء والاسكان والتعليم.. هذه قائمة رائعة.. ربما يأتي علينا الدور يوما ما". (إشارة لإهمال سياسات بوش للطبقة المتوسطة والفقيرة في اميركا).

* تسلم بوش رسالة شفرية معقدة من صدام ولم يستطع فك رموزها فارسلها إلى وكالة المخابرات المركزية ولكنها لم تستطع ايضا. فاحالها إلى الرئيس السابق بيل كلينتون الذي نصحه بقراءتها من اليمين إلى اليسار." (تتضمن إشارة الى نقص إستيعاب بوش للعقلية العربية وثقافتها مع ميل لتأييد سياسات كلينتون الأذكى).

* " الحرب ليست من أجل النفط. انها من أجل البنزين"..

* ان لبوش خمسة أسباب لشن الحرب على العراق "شل واكسون وموبل وتكساكووبريتش بتروليوم".. وهي شركات النفط العملاقة.

* "زاد صدام مكافأة الهجمات الانتحارية من ?? آلاف دولار إلى ?? الف دولار وربما يضيف ايضا التأمين الصحي للميت."

* يتخيل مايكل مور يوم عمل بوش في ما يشبه المسرحية القصيرة فيجده يهدر وقته ويخصص منه خمسة دقائق فقط لمناقشة الأمور المصيرية مع مستشاريه. ثم يأوي الى فراشه باشراف تشيني الذي يفكر بسبل تدمير العالم بعد تأكده من نوم بوش.

- نكات الأميركيين المؤيدين للحرب.

* يقول خبراء ان العراق ربما لديه أسلحة نووية... أنباء طيبة. ولكن السيئة هي ان يطلقها العراقيون من على سنام جمل."

- نكات العرب المعادين للحرب.

* قيل لبلير إن سياستكم مطابقة للسياسة الأميركية فأجاب: لا... فهم الطراطير ونحن العلوج!.

* بعد شائعة موت الصحاف (النجم الاعلامي للحرب) قيل أن ٦٢ ملاكا" زاروا قبره. إثنان منهم لمحاسبته (بحسب الإعتقاد الإسلامي) والستون الباقون لإقناعه بأنه مات.

- نكات العرب المساندين للحرب.

* لقد قاوم تمثال صدام السقوط أكثر مما قاوم صدام نفسه.

* التمثال الذي أنزله الأميركيون كان لأحد شبهاء صدام.

- النكات التي تستغل الحرب لأهداف أخرى.

* قال الهزلي الالماني شتيفان راب في برنامجه "بعد الامريكيين والبريطانيين والاستراليين.. وصل البولنديون إلى العراق.. تري ماذا سيفعلون ؟ يسرقون عجلات الدبابات.. (إشارة الى انتهازية المشاركة البولندية والى نظرة ساخرة منهم).

* قالت ازفستيا "يزعم صدام انه أسقط طائرة بريطانية. ولكن بوش قال انه كذاب لان الامريكيين هم الذين أسقطوها"."

* وعلق هارالد شميت المذيع الساخر الالماني على تصريحات وزير الدفاع الامريكي دونالد رامسفيلد الذي وصف فرنسا والمانيا باوروبا القديمة لرفضهما الحرب.قال شميت "رامسفيلد يقول ان العراقيين يقاومون.. فهل هذا ايضا العراق القديم.. لقد قرر بوش انهاء الحرب بنفسه لانه ليس لديه ابن يقوم بالمهمة نيابة عنه.

* بلانتورسام الكاريكاتير بصحيفة لوموند. رسم جنديا امريكيا يخطوفوق ارض جرداء مثل سطح القمر وقال مستعيرا الجملة الشهيرة لارمسترونج رائد الفضاء الامريكي عندما سار على سطح القمر مع تغيير نهايتها " انها خطوة انسانية صغيرة.. ولكنها خطوة جبارة نحوالغباء.."

* تحت صورة لأسرى حرب امريكيين قالت صحيفة معاريف "انجاز هائل.. رغم العاصفة الرملية دخل الامريكيون بغداد."

٤- حرب الإعلام والدعاية.

لعب الإعلام والدعاية الإعلامية دورهما في هذه الحرب. حيث تمكن وزير الإعلام العراقي محمد سعيد الصحاف من إكتساب مصداقية عبر تكذيبه الناجح للدعاية الأميركية. إذ إعتمد الأميركيون مبدأ الإرباك المعلوماتي. فكانوا يمنعون الصحافة من التواجد في أماكن الأحداث. ليعودوا فيذيعوا بياناتهم بصورة غامضة. إذ يتم تسريب معلومات منسوبة الى ضباط في الجبهة. ثم تأتي معلومات غير أكيدة من قاعدة السيلية وتليها محاولة التأكد من المعلومات عن طريق البنتاغون. وهذه التعددية أتاحت للأميركيين السيطرة على كل الأخبار التي يعتبرونها سلبية وابراز الايجابية منها. لكن هذه الطريقة أتاحت للإعلام العراقي فرصة التفوق عن طريق حصرية مصدر المعلومات العراقية بالصحاف. وإعطاء هذا الأخير للمعلومات الدقيقة. لذلك كان قطع الطريق على ظهور الصحاف وضرب الاذاعة والتلفزيون العراقي أولى خطوات الدخول الأميركي الى بغداد.

التعتيم الإعلامي الأميركي في الأيام الأولى كان موجهاً لتحقيق أهداف محددة. إذ أشارت المعلومات الإستخبارية الى تحول ٢١ مجموعة معارضة الى مقاومة للتدخل الأميركي بإعتباره إحتلالاً. وبالتالي فإن المقاومة في الجنوب لم تكن مفاجئة للأميركيين. بل قبلها الجنرال فرانكس كتحد لخطته مع إطمئنانه الى السيطرة الجوية الأميركية. وكانت القيادة الأميركية مدركة لنقاط ضعف هذه المقاومة. فهي عاجزة عن التعاون مع قوى النظام لفقدان الثقة بين الطرفين. كما أنه لم يكن لديها الوقت الكافي لتنظيم نفسها بصورة فعالة. وبذلك يمكن القول أن هذه المعارضة لم تخرج على الحسابات الأميركية. وكان من الأهمية بمكان كتم الإعلان عن هذه المشاركة المعارضة. فإذا ما تم للأميركيين السيطرة عليها عادوا الى مبدأ أن الصورة يجب أن تكون صورتنا مع إلغاء صورة العدووصوته.

في المقابل ينقل الصحافيون العاملون في بغداد أنهم كانوا تحت رقابة مباشرة تمنعهم من حرية الحركة. كما ينقل بعضهم تعرضه للتهديدات إن هونقل الأخبار التي تريد القيادة التعتيم عليها. وقد يجد هذا السلوك تبريره في الأدوار التجسسية التي لعبها بعض الصحفيين. كمثل تسلل مصوري ال CNN الى الشوارع العراقية وتصوير مستوى الدفاعات في العاصمة وفي مدن أخرى. مثال ذلك أن مصوري

هذه المحطة سبقوا القوات الأميركية الى تكريت وبثوا منها صورا" تدل على عدم وجود أية إستعدادات للمقاومة فيها.

إن بعض الوقت سيكون ضروريا" لمعرفة تفاصيل ذات قيمة حول دعاية هذه الحرب. ومما تسرب عنها نذكر مجموعة من العمال العرب العاملين في الكويت. حيث تم إغراؤهم برواتب مضاعفة للعمل في مدن الجنوب العراقي. حيث كان عليهم أن يمثلوا دور العراقيين الذين يستقبلون الأميركيين بالزهور. ليعودوا فيمثلوا دور العراقيين الذين سقطوا في أسر الأميركيين.

وجل ما يمكن قوله الآن هوان بغداد سقطت مع قطع سبل الظهور الإعلامي على الصحاف. حين تم ضرب وسائل الاعلام العراقية ومكتب الجزيرة وحصار مكتب أبوظبي. فإنقطع الإتصال مع القيادة العراقية فتحولت الى سابقة ومخلوعة. لقد دفعت هذه القيادة غاليا" ثمن حصرية الصحاف. إذ كان تغييبه كافيا" للدلالة على سقوط النظام.

٥- سيكولوجية الحروب.

يلعب الطب النفسي العسكري أدواراً متعددة ومتداخلة في زمن الحروب. حيث يجري تقليدياً التفريق بين الآثار النفسية المتظاهرة لدى المقاتلين ولدى المدنيين. وهوتفريق سنهمله لكون الحرب العراقية حرب مدن ذات ضحايا مدنية كثيفة. ولنعد إلى بدايات هذا التخصص لنتابع سيرورة التوسع التدريجي لمسؤولياته. حيث تعود هذه البداية الى الحرب العالمية الأولى وعلى الجبهة الألمانية تحديدا". حين إنتشرت ظاهرة الإرتجاف شبيه الباركنسون بين الجنود الألمان. مما أدى الى سحب أعداد كبيرة منهم عن الجبهات. لكن الطب العصبي بين عدم وجود أي أساس عضوي لهذه الظاهرة. وكان الجنود يتحسنون نتيجة للعلاج النفسي. كما ظهرت الإضطرابات النفسية بين جنود المعسكر المقابل. ومن هنا كانت بداية توظيف الطب النفسي في إعادة تأهيل المقاتلين المصدومين بغية إستعادتهم الى الجبهة. فإذا ما جاءت الحرب العالمية الثانية وجدنا الطب النفسي العسكري جاهزا" للتدخل ولتسجيل الحالات وأنواع الإضطرابات النفسية المرافقة لشدائد الحروب. فإذا ما عدنا لأدبيات الإختصاص خلال تلك الحرب فإننا نقع إختصارا" على المعطيات التالية:

– كانت الغارات الجوية الألمانية على لندن تواجه بالطيران الانجليزي. مما أعطى للانجليز تفوق سقوط طائراتهم وطياريهم فوق اراضيهم. وكان هؤلاء يحتاجون لإعادة تأهيل نفسي كي يتمكنوا من الصعود مجددا" الى طائراتهم لمتابعة القتال.

– شهدت هذه الحرب تراجع الاضطرابات النفسية البحتة (هيستيرية الطابع) في حين انتشرت الأمراض الجسدية الناجمة عن الشدة النفسية بين المقاتلين على مختلف الجبهات. وخاصة مرض القرحة الذي إنتشر بشكل وباء خاصة بين الجنود الألمان بحيث إضطرت القيادة لإقامة مخيمات خاصة لعلاج الجنود المقروحين.

– إستعان الحلفاء في تلك الحرب بجنود من مستعمراتهم. حيث تبين أن هؤلاء لم يصابوا بعوارض جسدية. إذ إقتصرت اصاباتهم على ردود الفعل النفسية البحتة.

– نظرا" لإمتدادات الحرب الجغرافية والزمنية ،مع ما فيها من تفاوت نتائج المعارك بحسب ظروف الجبهات، مما أسقط سبل التعبئة المعنوية التقليدية وأبدلها بإستقلالية الجبهات. بحيث أصبح لكل فرقة مقاتلة دورها ومسؤوليتها المحددة على طريق النصر.

– بعد هذه الحرب تولى اليهود مهمة تصنيع الهولوكوست لتصوير أنفسهم وكأنهم الضحايا الوحيدين للحرب. مع التركيز على إثارة مشاعر الذنب لدى الحلفاء المنتصرين. وبذلك تزعم اليهود فرع دراسة الكوارث الذي يكاد يقتصر على دراسة معاناتهم من النازية.

– جاءت الحرب الفيتنامية لتقدم إضافات هامة للمجال. حيث تنامت إصابات إنسداد الشرايين بين الجنود الأميركيين. مع إزدياد نسبة إدمانهم على المخدرات.

– أرست الدراسات السابقة أهمية الإنتباه الى الآثار النفسية بعيدة المدى للحروب. حيث تبين أنه وبالإضافة الى ردود الفعل النفسية والجسدية المباشرة توجد مظاهر متأخرة الظهور. وهذا ما بينته دراسات حرب فيتنام والحروب التالية لها. وكذلك حرب ١٩٩١ عندما إنتشر بين المقاتلين الأميركيين ما عرف بعوارض حرب الخليج.

أ- دور الطب النفسي في الحروب

بناء على ما تقدم يمكننا تقسيم الأدوار التي يلعبها الطب النفسي في الحروب على النحوالآتي:

- علاج المصدومين خلال الحرب.
- إعادة تأهيل المقاتلين لإعادتهم الى الجبهات.
- الحد من إنتشار الظواهر النفسية في مجتمعات الحروب والتحكم بآثارها وعلاجها.
- عضوية الطبيب النفسي في الفريق المخصص لمواجهة الحرب المتوقعة قبل وقوعها. وذلك بدحض الشائعات وصد محاولة تضخيم الآثار المحتملة للحرب عبر دعاية الحرب النفسية. وذلك عبر تقديم معلومات محددة عن سبل التصرف الصحيحة حيال شدائد الحرب للتخفيف من وقعها.
- المشاركة في الحرب النفسية والحرب النفسية المضادة. وكذلك في مكافحة التجسس والتجسس المضاد. مع العمل على تحوير إتجاه الحرب النفسية لصالح المجتمع.
- دعم جهود التوعية. عن طريق إعلام الجمهور والمقاتلين بالحدود الموضوعية لآثار الحرب المتوقعة. وبالمظاهر النفسية المرافقة للوضعيات الشبيهة وسبل الإحتياط لها والتصرف حيالها.
- المساهمة في إنتقاء الأفراد المؤهلين لمواجهة الأوضاع القتالية الأصعب وتدريبهم على سبل التعامل معها ومع عامة المقاتلين والجمهور. مع إستبعاد الأشخاص ذوي المقاومة الضعيفة.
- الاستعانة بسجلات الوضعيات الشبيهة السابقة. وتوظيف معلوماتها بصورة مقارنة.
- مسؤولية أثناء الحرب وتتطلب مساعدة الطبيب للفرق الأمنية في تقنين الإنفعالات وتوجيهها في الإتجاه الصحيح.
- فترة ما بعد الحرب التي تتضمن قائمة من المسؤوليات الملقاة على عاتق الطبيب النفسي. وهي مسؤوليات تتضاعف في حالات تسبب المعارك بالكوارث.

حيث يمكن رصد جميع أشكال ردود الفعل النفسية والسلوكية أمام الكارثة. ومنها إنتشار موجات الذعر الجماعية مع إرباك التراوح بين محاولات مواجهة الكارثة ومحاولات الهرب منها.وهذه المحاولات غالبا" ما تكون إنفعالية وغير مدروسة بحيث تعطي عكس النتائج المتوخاة منها. مع قابلية تحولها إلى الفوضى العارمة وإمكانية تشجيع العدولهذه الفوضى لتجنب إحتمالات أية ردود فعل منظمة تم التدريب المسبق عليها.

– في الفترة المتأخرة ما بعد الحرب يواجه المعالج مسؤولية علاج آثار الحرب وصدماتها النفسية. التي تتضمن صدمة التعرض لإصابة مباشرة (قابلة أوغير قابلة للشفاء) وصدمات الفقدان ومشاعر الذنب تجاه الضحايا ومشاعر الفقدان. والأهم في مجتمعاتنا العربية مشاعر الكارثة المعنوية. حيث جمهورنا لم يشفى بعد من الكوارث المعنوية المتمثلة بحروب ١٩٦٧ وحرب الخليج الثانية ومعهما تهديدات إشعال صراعات داخل الأقطار العربية. في حين لا يزال اللاشعور الأميركي يعاني من عقدة فيتنام.

ب – عقدة فيتنام الأميركية

نشرت هذه الدراسة في ٢٠٠٠/٦/٣٠ وهي تساعد على طرح الأسئلة حول السلوك العسكري للرئيس جورج ووكر بوش وصقور إدارته. وكذلك السؤال عن مصير عقدة فيتنام لدى المواطن الأميركي العادي. حيث تؤكد الدراسة على عدم شفاء عقدة فيتنام. بل ربما هي تعقدت وتداخلت مع عقدة الثلاثاء الأسود. ومع ذلك يستمر ووكر بوش باعتماد سياسة الثور الهائج وإن على شكل حروب مقسطة... وها نحن نقرأ هذه العقدة بعد الحرب العراقية فنقرر ليس فقط عدم شفاءها بل عدم قابليتها للشفاء. فبالرغم من ثقة الجنود الاميركيين وقادتهم بتفوقهم المطلق فهم لم يتحملوا إحباط مقاومة أم القصر البدائية فراحوا يتناولون مخدر الامفيتامين. وهذا المخدر هوالمسؤول عن النيران الصديقة التي قتلت نصف قتلى التحالف في هذه الحرب. مع الإشارة إلى إصرار قائد الحرب فرانكس على تأمين تغطية جوية كاملة لجنوده. ومع التأكيد على إستمرار الحساسية الأميركية المبالغة والممانعة غير القابلة للتجاوز في ما يتعلق بتقديم ضحايا بشرية أميركية في هذه الحرب أوفي غيرها. الأمر الذي يؤكد إستمرارية العقدة الفيتنامية وما يتفرع عنها من سلوك عسكري تجنبي.

كانت حرب فيتنام آخر انتصارات الشيوعية لكنها لم تكن آخر الحروب الأميركية. ومع ذلك يمكننا اعتبار هذه الحرب خاتمة للهزائم الأميركية الكبرى حتى أن بعضهم يعتبر هذه الحرب آخر الهزائم الأميركية. وهذا البعض يصنف المواجهات الأميركية الخاسرة بعد فيتنام على أنها مواجهات افتراضية وليست مواجهات حقيقية. لكن الجميع يكادون أن يتفقوا على كون هذه الحرب قد أحدثت تغييرات جذرية في السلوك العسكري الأميركي. وهم يردون هذه التغييرات إلى ما يصطلح على تسميته بعقدة فيتنام. ولقد أصابت هذه العقدة نظام القيم الأميركي بكامله فانعكست على جميع القطاعات الأميركية. فبات كل قطاع منها يبحث عن حلول لهذه العقدة على طريقته الخاصة.

بعد مضي كل هذه السنوات على نشوء هذه العقدة وعلى الجهود الدائبة لإيجاد الحلول السليمة لها، يقول البعض إن أميركا شفيت من هذه العقدة شفاءً تاماً. في حين يصر البعض على تفاقم هذه العقدة باعتبار الحقائق الأميركية خاضعة لنظام التعليب (التخطيط الموجه مع إهمال بعض الحقائق وحجب بعضها وتضخيم بعضها الآخر...الخ) بما يتناقض مع المواجهة الصريحة للحقائق. وهي المواجهة الضرورية للتخلص من أي عقدة نفسية (فردية أوجماعية).

ومهما يكن وقبل الدخول في التفصيلات فإنه من الضروري أن نميز بين القطاعات المعانية من آثار هذه العقدة وهي اختصاراً: ١- الرئاسة الأميركية و٢- الكونغرس

و٣- المراكز المهمة في صناعة القرار و٤-الرأي العام الأميركي. وهذا الاختصار ينطوي على تبسيط يؤدي إلى سوء الفهم. فهويهمل التناقضات والصراعات داخل كل قطاع من هذه القطاعات.

تعريف العقدة النفسية

لا بد من إيراد هذا التعريف وتطبيقه على الحالة الأميركية-الفيتنامية قبل مواصلة البحث في مصير هذه العقدة. وهذا التعريف هوالآتي: العقدة هي مجموعة من العلائم الشخصية والرغبات والانفعالات والأهواء والمواقف العاطفية اللاوعية والمتشابكة في ما بينها بروابط لا واعية أيضاً. ويتابع التعريف بأنه من الخطأ

الاعتقاد بـ إمكانية نشوء العقدة عن صدمة عنيفة. بناءً عليه فإن تسمية "العقدة الفيتنامية" هي تسمية غير دقيقة من الناحية العلمية وهذا يستتبع أنها لا تشفى على غرار العقد–بل أن شفاءها، مثله مثل سائر حالات الشفاء، يقتضي التشخيص الدقيق الذي لا غنى عنه في عمليات مراقبة تطور الحالة وتماثلها للشفاء أوحتى تفاقمها. والتشخيص الدقيق للحالة هوأنها تجربة صدمية (Traumatic) عايشتها القطاعات الأميركية كل واحدة على طريقتها الخاصة. فكانت علائم الصدمة الرسمية معنوية وذات علاقة بالصراع مع الاتحاد السوفياتي وبالتالي بهيبة القطب الأميركي وبقدرته في الاستمرار على حماية مصالحه وأصدقاءه.أما على الصعيد الشعبي فقد تجلّت علائم الصدمة بالخسائر البشرية للحرب. وهي خسائر لم يجد لها الرأي العام الأميركي أي مبرراً وهكذا فجرت هذه الصدمة الانشقاق بين الحكومة الفيدرالية وبين الشعب الأميركي. مما يشكل صدمة إضافية يمكن اعتبارها تمهيدية للانشقاقات اللاحقة للرأي العام الأميركي. وأبرزها الميليشيات الآرية التي تدعولطرد الملونين واليهود والاحتفاظ بالولايات المتحدة للعرق الآري. وهكذا يمكننا أن نقبل تساهلاً تسمية "العقدة" ولكن بعد أن نوضح ملامح السلوك التجنبي الذي يعقب التجربة الصدمية. فهذا السلوك هوالذي يشكل المظاهر المتبدية للعقدة الفيتنامية.

السلوك التجنبي عقب صدمة فيتنام

بعد نهاية التهديدات التي تحملها الصدمة يبدأ الجهاز النفسي عمله من اجل استعادة التوازن المعتاد.ويتصاحب هذا العمل مع جملة مظاهر سلوكية. تمكن تسميتها بالسلوك التجنبي عقب الصدمى وتتلخص كما يأتي:

i– شعور بعدم الاطمئنان: الذي يؤدي إلى سلوك يقظة زائدة بهدف تجنب احتمالات تجدد الخطر، ويمارس هذا السلوك على الصعيدين الفردي والجماعي. ويمكن اعتباره استمرارية للخوف الناجم عن التجربة الصدمية.

ii– مشاعر الذنب أمام الضحايا : يحس الناجون من الحدث الصدمي بأن نجاتهم كانت صدفة (خصوصاً الناجين ممن شاركوا في القتال). وتستمر غالبيتهم في رواية تفصيلات نجاتهم (التهرب من الخدمة أوالأخطار التي تعرض لها

المقاتل... الخ.) ومن مجمل الروايات تتبدل مشاعر ذنب الناجين أمام الضحايا كونهم يستمرون في الحياة لأن الصدف لم تشأ اختيارهم للموت مع / أوبدلاً من الضحايا.

iii– مشاعر الغضب والثورة: وهي مشاعر تعكس العجز عن منع حدوث الحدث الصدمي. والتي تتحول إلى غضب وثورة ضد من يعتبرونه متسبباً أومشاركاً في إحداث الصدمة.

iv– الخوف من تكرار الصدمة: ويؤدي هذا الخوف إلى استمرارية معايشة الصدمة وخفض القدرة على نسيانها. وذلك بحيث تجدها تكرر على شكل ذكريات الصدمة أوكوابيس ورؤى هلوسية عابرة على علاقة بالصدمة. وتجلت الرؤى الهلوسية الأميركية (عقب صدمة فيتنام) بهلاس الخوف من هجوم نووي شيوعي على الولايات المتحدة، فأدى ذلك إلى نشوء جمعيات تبني المخابئ الخاصة وتكدس الأطعمة الكافية لفترات طويلة تحسباً لذلك!.

v– التجنب المباشر: حيث يضطر الفرد (أوالمجموعة) لبذل الجهود من أجل السيطرة على الأفكار والعواطف والمواقف والنشاطات ذات العلاقة بالصدمة. وبذلك يكون الاضطرار لتجنبها وتجنب الآثارات المرتبطة بالحدث وبالتالي تجنب كل وضعية يمكنها التذكير بالصدمة.

شفاء صدمة فيتنام

إن الشفاء التلقائي للصدمات مستبعد من تجارب الطب النفسي. ويقول العالم جانييه (Janet): "إذا ما فكرنا بالهرب من ذكرى حادثة مؤلمة، عن طريق الرحيل بعيداً عن مكانها، فإن الحزن يصعد معه ويسافر معه أينما رحل".

وعليه فإن مرور الزمن على الصدمة لا يعني شفاءها بل هويعني تحولها إلى مزمن (وربما يسمح لنا هذا الأزمان بالتساهل في تسمية العقدة).

وفي عودة إلى عقدة فيتنام لا يمكننا تجاهل متغيرات الحاصلة منذ نهاية الحرب الفيتنامية وحتى اليوم. ولعل أهمها وأكثرها جذرية هواختفاء العدو– المهدد (الشيوعية).بما يوحي بأن نهاية التهديد يجب أن تستتبع معها نهاية الخوف. وإلى هذا المنطق يستند القائلون بشفاء عقدة فيتنام.

لكن التجارب الصدمية لا ترتبط بالعدو(المتسبب بالحدث-الكارثة) قدر ارتباطها بالمشاعر المرافقة للصدمة والمخاوف الناجمة عنها. فالفتاة المتعرضة لعملية اغتصاب لا تشفى من صدمتها بمجرد موت الذي اعتدى عليها (مغتصبها) في المقابل نرى البعض يلاحظون، وعن حق، تدني مظاهر معاناة الصدمة الفيتنامية لغاية اختفاء بعضها تقريباً.

والجواب إن تباعد فترات ظهور هذه المظاهر والعوارض المصاحبة لها لا يعني الشفاء. فهذا الأخير إنما يعني الاختفاء الكلي لهذه المظاهر وهذا ما لم يحدث لغاية اليوم. حيث تتبدى هذه المظاهر بمناسبات معينة.

ولكن ما يمكن تأكيده أن سلوك الإدارة الأميركية العسكري، منذ حرب فيتنام ولغاية اليوم، يقوم بدور علاجي لهذه المظاهر. فهذا السلوك بات يرتكز على جملة تصحيحات للخطأ الأميركي في فيتنام وأهمها:

١- الأصدقاء. بما في ذلك توريط الأمم المتحدة نفسها.

٢- عدم السماح بتكرار التجربة الصدمية: وهذا يعني في ما يعنيه:

i- عدم خوض صراعات غير محددة الفترة الزمنية.

ii- تجنب أي صراع أومواجهة عسكرية طويلة الأمد.

iii- استبدال الحرب التقليدية بالحرب الافتراضية.

iv- الاعتماد على التفوق العسكري التكنولوجي وتجنب وقوع ضحايا.

v- التعتيم الإعلامي على أي وفيات أوإصابات بين المقاتلين الأميركيين.

٣- زيادة الاعتماد على المواجهات الاقتصادية (حصار وفرض عقوبات) وإحلالها مكان المواجهات أوحتى التهديدات العسكرية.

٤- تحويل سياسة الاحتواء (والاحتواء المزدوج) إلى استراتيجية معتمدة في السياسة الخارجية الأميركية.

٥- السير قدماً في خطوات العولمة ا لاقتصادية: التي تحول المواجهات العسكرية إلى لعبة مونوبولي وراهناً إلى لعبة أكثر تعقيداً هي لعبة دبلوماسي.

٦- اعتماد مبدأ تقسيط الحرب: تحديداً منذ عهد كلينتون بدأت أميركا تواجه

واقعة مفادها أن الحرب هي من الضرورات التاريخية. فالاستقراء التاريخي يثبت أن الحرب كانت حاضرة في كل العصور الإنسانية. بل إنها هي المسؤولة عن التغيرات الحضارية الرئيسية في تاريخ الإنسانية، أمام هذه الواقعة لجأ كلينتون لاعتماد مبدأ "الحروب المقسطة" وينطوي هذا المبدأ على تحديد رقعة معينة للحرب (لا تتجاوزها) على أن تجري المواجهات العسكرية ضمن حدود هذه الرقعة على أقساط يتم حسابها وتقديرها وبرمجتها بصورة مسبقة.

لكن هذه التصرفات التي تكون مجتمعة السلوك العسكري للإدارة الأميركية تبين أن هذه الإدارة لا تزال تعاني عقدة فيتنام. فعلى الرغم من الطابع العلاجي لهذه التصرفات فإن ملامح السلوك التجنبي تبقى واضحة فيها. أما الدور العلاجي لهذا السلوك فيمكننا تلخيصه كالآتي:

١- إنه يعطي المواطن الأميركي مشاعر الأمان عبر توريط الأصدقاء في النزاعات. وبالتالي فإن هذا المواطن لا يشعر بالاستفراد الذي أحسه في الحرب الفيتنامية.

٢- إن تكرار التجارب الصدمية يجعل آثارها تتراكم وتتصاعد بشكل هندسي. ومن هنا جهد الإدارة الأميركية لعدم تكرار أي مغامرة توقظ ذكريات الصدمة الفيتنامية.

٣- ترفع الحصارات الاقتصادية ومعها مكافآت "الدولة الأولى بالرعاية" من معنويات المواطن الأميركي. فتشعره بقدرة الولايات المتحدة وتأثيرها العالميين. لكن ا لمبالغة والتوسع في استخدام هذه الآليات جعلا المواطن الأميركي يفكر طويلاً ويناقش مدى فاعلية هذه الآليات، وخصوصاً بعد تجارب ليبيا والعراق وكوبا...الخ.

٤- يرى المواطن الأميركي في سياسة الاحتواء (والاحتواء المزدوج) إمكانية الخلاص من الأعداء دون الاضطرار لمواجهتهم. بل أحياناً عن طريق دفعهم لتصفية بعضهم البعض أوحتى لتصفية أنفسهم بأنفسهم.

٥- تعطي العولمة / الأمركة الاقتصادية للمواطن الأميركي شعوراً بالتفوق الاقتصادي يستتبع معه عصبية التفوق في الميادين الأخرى. مما يحقق لهذا المواطن

طموح الرخاء المتصاعد على حساب الآخرين.

٦- الحرب بالتقسيط تشبه لعبة الكاراتيه التي تستند إلى ضرورة تجنب أي التحام بالعدو والحفاظ على مسافة كافية بين الطرفين، وبهذا يتاح للولايات المتحدة استخدام تفوقها العسكري وتجنب الالتحامات التي تفضح نقاط ضعفها. بعد كل ما تقدم يطرح سؤال مزدوج: هل تخلصت أميركا من عقدة فيتنام؟ وهوسؤال يستتبع آخر وهو: إلى متى تستطيع أميركا اعتماد هذا السلوك التجنبي في سياستها الخارجية؟

وهذان السؤالان يعودان بالجدال إلى منطلقاته الأولى. فالذين يرون أن الولايات المتحدة قد شفيت من عقدة فيتنام يرون أن هذه السياسة التجنبية ناجحة تمام النجاح وقابلة للاستمرار بدليل وجود بدائل للعراق وكوسوفوومن هذه البدائل داغستان وتيمور الشرقية والقائمة تطول.

أما معارضوهذا الرأي فيرون فقدان الشعب الأميركي لقابلية الاتفاق على تقديم تضحيات لأي سبب من الأسباب. ويرون ان هناك تكراراً للصدمة الفيتنامية في كل من لبنان والصومال وكولومبيا والعراق وكوبا...الخ. وهم يؤكدون بالوثائق فشل معظم سياسات الحصار الاقتصادي الأميركية ويشيرون إلى أن الخسائر المادية للحروب المقسطة تحرج الاقتصاد الأميركي. كما يرون أن العولمة الاقتصادية بدأت بالتراجع ويستدلون على ذلك من مؤتمرات الدول الخمسة عشر المتلاحقة. ثم أنهم يرون الخطر الأكبر على مستقبل الولايات المتحدة داخلياً. حيث هشاشة نظام القيم تؤدي إلى جرائم قتل غريبة وحيث الميليشيات العنصرية البيضاء، وعديدها مئات الآلاف، تعارض الحكومة الفيدرالية. عداك عن المجموعات العرقية واللاتينية التي تحاول تشجيع قيامة جهاز قيمها الأصلي... الخ من التناقضات الداخلية التي تعترف الحكومة بأنها تصرف عليها ٦ مليارات دولار سنوياً تحت بند "مكافحة الإرهاب داخل الولايات المتحدة" (بلغت مصاريف هذا البند ٢٠٠ مليار دولار منذ ١١ ايلول ٢٠٠١ حتى اليوم).

وفي النهاية وبعيداً عن الموقفين فإن الرأي الاختصاصي (الطب النفسي) يمكنه التشديد على هضم العديد من آثار العقدة الفيتنامية دون أن يعني ذلك شفاءها أوقابليتها للشفاء طالما استمر السلوك التجنبي واضحاً في تصرفات الإدارة

الأميركية، وهي تصرفات تزيد تراكم الأعداء من البشر الذين يحسون بالاضطهاد (بغض النظر عن صحة هذا الشعور أوعدمها) فيفكرون بالانتقام. وهورغبة كامنة ترضيها الإدارة الأميركية وتستجيب لها كحاجة من حاجات جمهورها. ولونحن نظرنا إلى تفوق السيناتور ماكين على بوش في المراحل الأولى لوجدنا أن ماكين يستند في ترشحه، وفي هذا التفوق على بطولته في حرب فيتنام. فهل يمكن القول بنجاة اللاوعي الأميركي من عقدة فيتنام؟.

ج – صدمات الحرب العراقية

يتعذر علينا تحديد أصداء الكارثة المرافقة لهذه الحرب بدون تحديد الحجم الموضوعي للخسائر الناجمة عنها. حيث نجهل الأعداد الفعلية للضحايا (قتلى ومشوهين ومصابين جسديا" ونفسيا" ومتضررين مباشرين بخسائر معنوية ومادية وفقدان الأعزاء...) في كلا الطرفين. وهذه المسألة لا تحتمل الإرتكاء الى الشائعات المتداولة. كما أنها مرشحة للبقاء طي التكتم لفترة طويلة. لذلك سنكتفي بعرض لنقاط الضعف والقوة بين الطرفين حيث نلاحظ:

– كان المقاتل العراقي يملك عقيدة قتالية لكونه يدافع عن أرضه ضد محتلين. لكن المواقف المتراكمة في معاداة النظام أضعفت هذه العقيدة وأربكتها. في المقابل لم يكن للمقاتل الأميركي أية عقيدة قتالية.

– كانت تعبئة المقاتل الأميركي تؤكد على تفوقه وتغطيته الجوية المطلقة وتشير الى تشبيه الحرب برحلة صيد تستهدف نوعا" معينا" من الطرائد. مع تطمينات بأن بقية المتواجدين لا يتسببون له بالأذى ما لم يؤلمهم. في حين كان المقاتل العراقي مدركا" للتفوق الهائل للخصم. وضمنا" لإستحالة إنتصاره.

– كان المقاتل العراقي يتوقع الأسوأ في حين كان تفاؤل الأميركي زائدا". وهذا ما يفسر فقدانه لأعصابه وما عرف بظاهرة " النيران الصديقة". ومعها هروب المقاتل الأميركي من المقاومة غير المتوقعة الى تعاطي الكحول والمخدرات (وجدت زجاجات الكحول في الطائرات والدبابات التي أسر قوادها الأميركيون. كما تسربت أنباء عن تعاطي الجنود الأميركيين للأمفيتامينات وتورط ضباطهم ببيعهم هذه المواد).

– يعاني المقاتل الأميركي من عقدة فيتنام في مقابل معاناة المقاتل العربي من إحباط مزمن ومتراكم.

– إنشطار ولاءات المقاتلين العراقيين بين الولاء للنظام وبين معارضة مؤجلة للنظام مع تقديم مواجهة الإحتلال وبين مقاتلين لإرساء مصالح الجماعات التي ينتموا إليها. في حين تمتع المقاتل الأميركي بواقعة التفوق وبأحلام المكافأة والرخاء بعد النصر.

– إنقلاب كل المعادلات بعد سقوط النظام. الذي عالج إنشطار الولاء الأخطر. ليبقى السباق بين محاولات تنظيم معارضة عراقية فاعلة ضد الاحتلال وبين المحاولات الأميركية لتعميق إنشطارات التناقضات العراقية الداخلية.

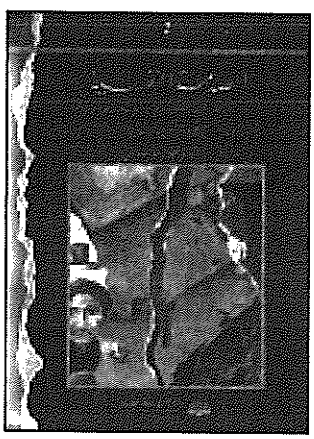

الصدمة النفسية
علم نفس الحروب والكوارث

المؤلف: مجموعة من الباحثين

الناشر: دار النهضة العربية، بيروت.

متوافر للبيع على الانترنت/الفرات/ النيل الفرات/ ادب وفن.

هذا الكتاب هو اساسا ترجمة لعدد خاص من مجلة الطب النفسي السكندينافي. وهو عدد مخصص لدراسة الكوارث وانعكاساتها النفسية وساهم فيه نخبة من الباحثين العالميين فيالمجال. كما ضم العدد قائمة المقاييس النفسية المستخدمة في مجال الصدمة النفسية. لكن الكتاب لم يكن ليكتمل بدون التعليقات التي تجعل النظريات المعروضة فيه قابلة للاستخدام في مجتمعات الصدمة العربية. ولقد لاقى هذا الكتاب استقبالا ملفتا من قبل الباحثين العرب المختمين بدراسات الصدمة. واعتمد مرجعاً في الدراسات الصدمية اللبنانية والكويتية واليمنية.. الخ

هموم الوطن وهم الاختصاص

د. جمال التركـي

أخصائي الطب النفساني / صفاقس – تونس
E.mail: turky.jamel@gnet.tn

"يقال أن شعب جمهورية (متغوريا) تجمع واحتشد حول قصر الريس (رئيس جمهورية متغوريا) عندما سمع بمرضه واحتضاره، وداخل اقصر كان الريس يغيب عن الوعي في سكرات الموت الأخيرة فإذا برئيس ديوانه يحاول إفاقته قائلا له : "قوم يا ريس .. شوف الناس .. الشعب جاي يودعك"، فانتفض الريس صارخا .. : يودعني؟ يودعني .. ليه .. هوالشعب رايح فين".

يحكى أن الشعب خارج القصر كان يهتف لبلده .. متغوريا .. متغوريا .. ما .. تغور .. يا ..

علاء الأسواني عن رواية "عمارة يعقوبيان" عن شعب "جمهورية متغوريا"

تعود بهذا المقتطف الرمزي (المعبّر لواقع ليس غريبا عنا) النشرة الإخبارية لشبكة العلوم النفسية العربية بعد ارتباك الإصدار الذي أملته الأحداث الجسام التي تمر بها المنطقة العربية والتي ستحدد نتائجها (إن كانت سلبا أوإيجابا) مسارات تطور المنطقة على مدى عشرات السنين المقبلة ولست مبالغا عندما أدعي أن جزءا كبيرا من الاضطرابات التي نشهدها تعود إلى تخلف العلوم النفسية في الوطن العربي ذلك أن المواقف السياسية العربية في سواءها واضطرابها إن هي إلا انعكاس الوظائف الإدراكية – المعرفية الذهنية لشخصيات سيطرت على الحكم دون تقييم علمنفسي لشخصياتها سواء كان ذلك على المستوى النفسي أوالذهني ... وكان الذي كان... والذي سيستمر حتما ما لم تتموضع العلوم النفسية مكانتها في هذه الرقعة من العالم ذلك أن مشكلتنا الأساسية تكمن في عجزنا عن فهم الذات وتفكيك دوافعها الواعية واللاواعية في دينامية الشخصية وليس في الآخر الذي لايمكننا فهمه دون

حل صراعاتنا وعقدنا التي نعاني من إسقاطاتها على سلوكنا وشخصيتنا... إن تردي الواقع العربي على جميع مستوياته إنما هونتاج سلوكيات مضطربة ومنحرفة هي في أشد الحاجة إلى التحليل على المستوى النفسي لفهم أسباب تخلف واقعنا استشرافا لمستقبل أفضل. إن الأحداث الصادمة التي نتعرض لها هي من الشدة والوطأة بحيث لن تترك أحد منا في غفلته بعد اليوم. إنها اللحظة التاريخية للنهضة ... لبناء الذات وتموقع النحن... لتقصي الواقع وحرثه ردا لاعتبار الذات المسلوبة والمهمشة ... للتصالح مع الهوية...لبناء المؤسسات الدستورية... لاحترام الحقوق السياسية والمدنية ... لتشريع قوانين سلطة المؤسسات ... أقول إننا في حاجة إلى أن نسلط مرايا مكبرة على كل جزئية من جزئيات حياتنا.. كفانا طمسا .. كفانا تزييفا .. كفانا خداعا للذات ... إن الأحداث الجارية إن لم تدفع بنا إلى انقلاب في المفاهيم والتصورات فلا أمل لنا في نهضة بعد اليوم، إن المسؤولية جماعية ومشتركة وكل واحد منا من موقعه سواء كان سياسيا، مفكرا، مربيا، حقوقيا.... مطالبا باستغلال اللحظة التاريخية للمساهمة في وضع لبنات مؤسسات الغد.. ومن موقعنا كأخصائيي العلوم النفسية يتوجب علينا التحليل المعمق للحالة النفسية العربية لاستجلاء خصائصها، مميزاتها، معوّقاتها، عقدها، صراعاتها ... وهي لحسبي أرضا خصبة تنتظر منا الكثير والكثير ... خاصة أن الدراسات التي تصدت لإبراز الخصائص المميزة لمدرسة العلوم النفسية العربية هي من القلة تكاد تكون نادرة إذ استثنينا بعض الجهود الفردية (النابلسي وزيعور – لبنان) .. إن حاجتنا إلى دراسة سيكولوجية الشخصية العربية لم تكن في يوم من الأيام أكثر أهمية وإلحاحا من اللحظة الراهنة .. إن مثل هذه الدراسات ستقودنا إلى تحديد مفاصل الداء في هذه السيكولوجيا بداية من سيكولوجية الطفل العربي، سيكولوجية المرأة العربية، سيكولوجية الرجل العربي، مرورا بسيكولوجية القائد العربي انتهاء إلى سيكولوجية الحاكم العربي (في عدله واستبداده) ... وبين هذا وذاك دراسة سيكولوجية لمشاكلنا المزمنة مع الهوية والتراث والثقافة .. وإني أتساءل عن الأبحاث النفسعربية التي أعدت منذ أحداث سراييفووكوسوفووالحادي عشر من سبتمبر ... كم بحثا تناول سيكولوجية التعصب الديني والعرقي ... كم بحثا اهتم بسيكولوجيا الإرهاب سواء كان إرهاب أفراد أومنظمات .. إن الأراضي الفلسطينية

المحتلة تشهد انتفاضة غير مسبوقة فأين هي الدراسات التي تناولت عقابيل الصدمة النفسية وأين هي المؤسسات التي تصدت لوضع خطة علاجية لرعاية ضحايا الصدمة ... أين الدراسات التي تصدت لتحليل ظاهرة سيكولوجيا الشهادة والاستشهاد ... عديدة هي الظواهر التي علينا كأخصائيين رصدها فهما وتحليلا ووضع استراتيجية الرعاية النفسية لها سواء كان على المدى القريب أوالبعيد .. خاصة أن عديد الاضطرابات قد تتخذ شكل الأزمان إن أهمل علاجها في حينه .. إنه بقدر ما نجهد في حرث الواقع ونعمل على تطويره رقيا بمستوى اللياقة النفسية للمواطن العربي بقدر ما نكتشف جسامة المسؤولية وبشاعة الواقع المتردي.. ويبدولي أنه لن نكون فاعلين ومؤثرين (كأخصائيين وعلماء نفس) إلا إذا تجاوزنا المعوّقات السياسية. إن العمل لحرث الواقع النفسي العربي وتطويره هدفه الإنسان العربي أينما وجد .. إن انتصاري اليوم للعراقي وهويعاني من ظلم الاستبداد والحرب والاحتلال وانتصاري للفلسطيني الذي يعاني قسوة الاحتلال وتبعاته بكل ما تعنيه هذه المعانات من ألم عذاب... لا يوازيه إلا انتصاري بالأمس للإنسان الكويتي الذي ابتلي باحتلال جائر في التسعينيات وللإنسان في سراييفووكوسوفووهويعاني جريمة التطهير العرقي ...

إنه انتصار للإنسان المعذب، المطحون، المقهور في هذا الوطن .. للإنسان أينما كان على وجه الأرض .. إنه انتصار لقيم العدل ... قيم المساواة ... قيم الحرية ... قيم الخير ... قيم الكرامة والعزة .. إنه انتصار لقيم الإنسان حتى يرقى بإنسانيته إلى مستوى الإنسانية المكرمة .. ولن يرقى الإنسان إلى هذا المستوى ما لم ينعم الجميع بهذه القيم... إننا كأخصائيي الصحة النفسية في الوطن العربي لن نتمكن من أداء رسالتنا إلا إذا كان هدفنا الإنسان متجاوزين عقبة "السياسي" إلى رحابة "العلمي".. إن انتصاري لقضايا الإنسان العربي ولتخفيف معاناته النفسية ورفع مستوى لياقته النفسية لا يضاهيه إلا انتصاري للديمقراطية في الوطن العربي ولدولة المؤسسات والقانون... فلا أقل من العمل على مستوى الاختصاص ضمن استراتيجية عربية مكملة لبعضها للتصدي لهموم الاختصاص أقول مكملة ولا أقول موحدة ذلك لخصوصيات كل منطقة مقارنة بالأخرى. إن ثراء تجربة الزملاء الكويتيين واللبنانيين والمصريين في رعاية المصدومين ضحايا الحرب وتأهيلهم تساعد

حتما زملاءنا العراقيين في هذه الظروف المأسوية كما أن تجربة تونس في خدمات الصحة النفسية للمرأة (بحكم خصوصية وضعية المرأة التونسية على مستوى قانون الأحوال الشخصية) يمكن أن تستفيد منه دول عربية تسعى إلى تطوير وضعية المرأة في بلدها. هذا إضافة إلى تجارب أخرى ناجحة في بلدها (مدرسة العلاج النفسي الجمعي – الرخاوي – مصر مثلا) قد يستفاد منها بلد عربي آخر.. إن دعوتي لاستراتيجية متكاملة تتطلب مني قبول العربي الآخر .. وما لم نتخطى الإسقاطات فلن نتمكن من التواصل مع الآخر .. إن إسقاطي لمشاعر النفور تجاه نظام قمعي أوحاكم مستبد في بلد ما على طبيب نفسي يعمل في هذا البلد (قد يكون هوالآخر إحدى ضحاياه) يمنعني من قبوله وبالتالي من التواصل والتعاون العلمي معه .. إن الباحث أوالعالم أوالمفكر ليس ظلا لحاكمه وعليّ أن أتجاوز إسقاطاتي وألا ألبس هؤلاء جلابيب حكامهم .. إن قبولي الآخر وتواصلي معه أعتبره أكثر من ضرورة خاصة في ظل الأوضاع الراهنة. إننا في زمن أحوج ما نكون فيه إلى التعاضد والتكاتف على مستوى كافة أرجاء الوطن العربي للمساهمة معا ومن موقعنا كأخصائيي الصحة النفسية في تحقيق النهضة المنشودة وكلي أمل في أن تعبر المنظمات العربية النفسية (اتحاد الأطباء النفسانيين العرب – الاتحاد العربي لعلم النفس – المركز العربي للدراسات النفسية ...) عن دعمها وتضامنها مع الإنسان العراقي بالشكل الذي تراه مناسبا وحسب الإمكانات المتاحة لها وإني لمبارك سعي الأطباء النفسانيين في تونس للقيام بيوم دراسي حول "الحرب والصحة النفسية" على هامش الأحداث والحرب على العراق كتعبير رمزي لمساندتهم الزملاء العراقيين والشعب العراقي الذي تعتدي عليه آلة الحرب اليوم بعد الآخر.

وأخيرا لا يسعني إلا أن أضم صوتي إلى أصوات الملايين الذين يطالبون بإيقاف الحرب مناشدا جميع المنظمات الدولية والهيئات الأممية التدخل بكل ثقلها لتجنب كارثة تتجاوز في بعدها الشعب العراقي إلى الإنسانية قاطبة.

بكاء أفهمه .. وبكاء لا أفهمه

عندما بكى الكبيسي وعندما بكى بوش

الدكتور عبد الستار إبراهيم

أستاذ علم النفس العيادي ورئيس وحدة العلاج النفسي

تحتاج الشعوب والجماعات الإنسانية بعد مواجهة الهزائم العسكرية وفي لحظات الانهيار والإعتام، ما يذكرها بأن الحياة لم تنته بعد، وأن الهزيمة لا يجب أن تكون هزيمة كاملة، وأن شمس الحياة ستشرق من جديد..

ومن هنا يأتي دور زعماء الشعوب العظام من أهل السياسة ، وأهل الفكر والفلسفة والعلم في رسم خريطة الخلاص لشعوبها . ووسائل هؤلاء العظام متعددة، ولكن لعل من أهمها دور الخطب العظيمة التي تلحق بالكارثة لتفتح أمام الشعوب مسارات جديدة لتطهير الذات، ومواصلة مسيرة التقدم من جديد . هذا ما فعلته مثلاً بعض الخطب القليلة والعظيمة على مر التاريخ بما فيها مثلاً خطبة الزعيم الأسود مارتن لوثر كينج سنة ١٩٦٣ في كفاحه ضد التعصب العنصري ضد السود في أمريكا " أرى الغد، وأملك الحلم " (I have a dream) ، وخطبة شارل ديجول عندما سقطت فرنسا في يد النازيين " أنا فرنسا وفرنسا أنا" (Je suis France et France est moi) ، وخطبة عبد الناصر في الأزهر بعد العدوان الثلاثي على مصر " كتب علينا القتال ولم يكتب علينا الاستسلام ، سنقاتل والله أكبر الله أكبر " ، ومن التاريخ القديم خطبة مارك أنطونيوبعد اغتيال يوليوس قيصر في روما ، والتي استطاع من خلالها أن يعيد توجيه الجماهير في اتجاه مختلف ليواجه ويقاوم المؤامرة الكبرى التي أدت لاغتيال يوليوس قيصر (قيصر روما) بيد أعضاء مجلس شيوخها الذين كانوا من المفروض أن يحموا قانون روما لا أن يغتالوه . لقد بدلت هذه الخطب بأفواه هؤلاء الزعماء والمفكرين من حركة التاريخ وحولت الهزيمة إلى نصر شعبي هائل .. فالكلمة إن قيلت في الوقت المناسب ومن الشخص المناسب، وفي

المكان المناسب تتحول إلى قوة دافعة توقف من الإحساس بالهزيمة واليأس . خطبة الدكتور أحمد الكبيسي بعد سقوط العراق ستحتل موقعاً مماثلاً في تاريخ التراث البشري، فقد مثلت نموذجاً لا يقل أثراً عما تتركه الكلمة من تعديل في طرق التفكير وفي تهدئة المشاعر الثائرة وأحاسيس الهزيمة بعد سقوط العراق في أيدي الغزاة الأمريكيين والبريطانيين وبعد أيام من الكفاح الدامي وغير المتكافئ في البصرة وكربلاء وأم قصر لمدة أسبوعين في مواجهة أكبر قوة عاتية في التار. خ، وفي أول صلاة جمعة في ١٨ أبريل ٢٠٠٣ بمسجد أبوحنيفة ببغداد، نعم كانت خطبة الجمعة من الدكتور أحمد الكبيسي من الخطب التاريخية النادرة في تاريخ الشعوب بكل مقاييس التطهير النفسي والعلوعلى الكارثة وإفساح الطريق للأمل . وسواء اتفقنا مع البناء الإيديولوجي والعقائدي للكبيسي أواختلفنا معه ، فستظل خطبة ذلك اليوم نقطة تحول بارزة في حرب غزوالعراق . إنني أذكر تماماً ذلك الموقع من الخطبة التي وجه فيها الكبيسي حديثه للولايات المتحدة بهذه المعاني : لقد خاب أملنا فيكم، يا بلاد الحرية والديمقراطية، يا حضارة المخترعات والثقافة والفكر، يا وريثة أيزنهاور (لعله كان يقصد إبراهام لينكلن) ، لقد خاب أملنا فيكم . والآن وقد حدث ما حدث، كفاكم ما فعلتموه فينا . أخرجوا من بلادنا . لقد أعدمتم تاريخنا، ودمرتم حضارتنا، وأحرقتم مكتباتنا وجامعاتنا، أخرجوا من بلادنا ودعونا نقود وطننا في محنته .في هذه اللحظة، وفي أكثر من موقع من مواقع هذه الخطبة لم تتمالك جماهير مسجد أبوحنيفة إلا أن تقاطع الخطبة بهتاف الله أكبر ، وأجهش بعضهم بالبكاء، وطفرت عيون الشيخ بالدموع . بكى وبكينا معه. فاضت عيون الكثيرين بالدمع في لحظة كنا نحتاج فيها لهذه الهزة الانفعالية لتقودنا إلى الأمل ، ولتقلب مقاييس الهزيمة . نقطة تحول كان لها صداها في العالم كله حتى في الولايات المتحدة بهذا البكاء تطهرت الجماهير من مسؤولية لم ترتكبها ، وتحملت بشجاعة مسؤولية بناء عراق جديدة عليها أن تواجهها .تراكمت فيما يتخيل لي عليهم مشاعر الضغط النفسي الهائل خلال فترة فريدة ودامية من تاريخ الشعوب: متاحفهم التي سرقت، بنوكهم التي نهبت، آبار بترولهم التي رهنت لعشرات السنين لدفع تكاليف حرب لم تكن لهم بل ضدهم، أشلاء أطفالهم ونسائهم في الشوارع مقطعة وملقاة بشكل مزري هنا وهناك ... كان على العراق أن يحول الهزيمة إلى نصر نفسي ، واستطاع الكبيسي أن

يوجه دفة الأمور في هذا الاتجاه بدون طنطنة ، وبدون عنتريات صحافتنا وأجهزتنا الإعلامية . كلمات بسيطة قوتها في بساطتها وجبروتها وفي دموع هذا الشيخ التي عكست قدرته على التوحد بمشاعر الجماهير بنسبة ذكاء عاطفي قياسية إذا استخدمنا لغة علماء النفس وأصحاب مفهوم الذكاء العاطفي (EmotionalIntelligence).في اليوم الثاني وفي التاسع عشر من إبريل على وجه التحديد من خطبة الكبيسي، كان جورج بوش يحتفي بعودة الأسرى الأمريكيين السبع الذين تم تخليصهم من الأسر في العراق . وألقى أيضا خطبة قصيرة بالجيش الأمريكي العائد بعد ذلك النصر العسكري المذهل (له) والمحير (لنا) في بغداد التي تحولت ما بين يوم وليلة وبقدرة قادر إلى قطعة جبن هشة مقارنة بالأسابيع السابقة من غزوالعراق .

بكى بوش أيضاً عندما رحب بالجنود الصغار الذين عادوا بعد تحقيق النصر.رأيت بوش يبكي مرتين . المرة الأولى بعد أحداث ١١ سبتمبر وبعد تدمير أبراج مركز التجارة العالمي والبنتاجون ، وكنت أفهم لماذا بكى آنذاك . أما في هذه المرة فقد انتابتني الحيرة .. وكإنسان تخصصت في علم النفس وفي فهم السلوك الإنساني وعلاجه فقد احترت في تفسير السبب في بكاء بوش في الـ ١٩ من إبريل الحالي . أفهم لماذا بكى الكبيسي وأفهم لماذا بكى بوش بعد الحادي عشر من سبتمبر ولكنني لم أفهم لماذا بكى جورج بوش ، هذه المرة :

هل هي نشوة النصر ؟

* لكننا لا نبكي عادة عندما ننتصر ، خاصة إن كانت قضيتنا عادلة، ونتوقع النصر لها !!

* أم هي يقظة الضمير والإحساس بالمأساة التاريخية التي ارتكبها في حق المسيرة الحضارية الإنسانية التي هزت لهمجيتها العراق وهزت ضمير العالم المتحضر وغير المتحضر؟

* أم هوإحساس ما بفشل ما .. أدت إليه هذه الحرب على العراق ؟فلا صدام أعتقل أوقتل ؟!.

* ولا رفاهية أمريكية قد تحققت (من الغريب أن سوق الأسهم والسندات انخفض

في نيويورك بشكل ملحوظ في نفس اليوم الذي دخلت فيه القوات الأمريكية ساحة ميدان فندق فلسطين لتعلن سقوط بغداد !!.

* وأين أسلحة الدمار الشامل التي أكدوا أنها موجودة في بغداد في مكان ما ؟!!

* هل كان بكاؤه أسفاً على ما فعلته الأسلحة والدبابات الأمريكية بالأطفال والشيوخ ، وبهذه المدينة العربية الجميلة !!

* أم كان أسفاً على جنده الصغار الذين قتلوا هناك، ومن لم يقتل لن يشفى نفسياً من هول المأساة ؟

* هل كان بكاؤه نتيجة إحساس عميق بالخجل لما فعله جنده والعصابات المحترفة التي سرقت متاحف بغداد ومكاتبها وتحفها النادرة لتبيعها في السوق السوداء في إسرائيل، وبريطانيا وأسبانيا ؟

* هل كان بكاؤه غضباً من مستشاريه الذين استقالوا من حوله ليبلغوه بأن ضمائرهم لا تحتمل أن يكونوا في مواقعهم، ودور أمريكا الحضاري والإنساني يدمر يوماً بعد يوم؟

* أم هوبكاء الحيرة من الشعب الذي كان يتوقع أن يقابله بالورد والزغاريد، ولكنه الآن يرفع في وجهه اللافتات التي تعلن للعالم وله " أخرجوا من بلادنا وكفاكم ما فعلتموه فينا ؟!! " .

الحقيقة لقد تحيرت بالفعل من بكاء جورج بوش كما لم أتحير من قبل في فهم السلوك الإنساني ودوافعه المعقدة . وكم أتمنى من زملائي في الطب النفسي وعلم النفس الإنساني والسياسي أن يساهموا معي في تسليط بعض معارفهم في فهم شخصية هذا الرئيس الأمريكي الذي أرجوأن لا يكون قد جعل من بداية القرن الواحد والعشرين بداية لنهاية حزينة لما حققته البشرية من مكتسبات خلقية وحضارية على مر العصور والقرون السابقة.إعجاب واتفاق ودعوة للمزيد:

وبالمناسبة فقد أعجبت بالمبادرة الطيبة التي انطلقت من الزملاء الأفاضل الدكتور محمد أحمد النابلسي ، والدكتور جمال تركي والدكتور خليل فاضل. وأتفق معهم في كثير مما قالوه، عما يستطيع علمنا المتواضع أن يقدمه من تضميد للمعاناة المعاصرة . وأتفق معهم في أن الكثير من جوانب الانهيار والتقدم لا يمكن فهمها

جيداً بدون ما تقدمه لنا دراساتنا النفسية والسلوكية والاجتماعية من مرشدات. واتفق معهم في أن علومنا قادرة أيضا أن تحيي بصيرتنا وبصيرة شعوبنا وحكامنا لتوجهم نحوتطورات أفضل .وكم أتمنى أن تتطور دعوتهم لمزيد من التبلور والاستمرارية، " فآفة حارتنا النسيان " كما كان كاتبنا الكبير نجيب محفوظ يقول ... ولكن ما شجعني على أن لا تكون هذه الآفة آفتنا أنني أتابع الزملاء الثلاثة الأفاضل فيما يكتبون ، وفيم ينشرون ، وأشعر بأنهم قادرون على تطوير وتفعيل هذه الدعوة ، ولن يسمحوا لغضبنا، وإحساسنا بالمرارة أن ينطفئ دون أن يتحول لوهج حضاري وعلمي دائم .إنني متيقن وأنا معهم أننا لن نسمح لعلمنا أن يظل رهين أبراجنا العاجية فلدينا الكثير الذي يمكن أن نقدمه لا على المستوى العسكري فهذا أمر قد تم بخيره ومره ، ولكن على جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي يمكن لعلمنا أن يدلي فيها بدلوه.وأثق أن البدء بعملية التفعيل الحضاري للعلوم النفسية والطب النفسي يجب أن تبدأ مبكراً ، ومن الآن ، وقبل أن تغمرنا أجهزة الأعلام العربية ببرامجها التحليلية التافهة، وقبل أن توجهنا تحركات مسرح العرائس العرب لليأس والتعتيم، وفقدان الإيمان بالإنسان العربي من جديد. كم أتمنى أن نفعّل غضبنا (وغالبيتنا غاضبون) فنبدأ بأن نلتقي في مكان ما في شكل مؤتمر علمي لنرسم معاً رؤيتنا منفردين أومتعاونين تقييمنا للأحداث الدائرة والأحداث التي دارت والأحداث التي يمكن أن تدور . لكي نستخدم مالدينا من أسلحة منهجية وفكرية لنحلل ونعالج – إن كان الأمر بيدنا – ما نراه من أسباب تقودنا للتخلف والهروب من مسؤولية التقدم . لكي نبلور ما يمنحنا علمنا من علاجات وإمكانيات للتقدم والتطور .ومع إيماني بدور العلوم النفسية ، فإنني لا أرى أن العلوم النفسية وحدها تستطيع أن تنفرد بالدور كله . ولهذا فإن من الضروري أن نتعاون مع زملائنا من علماء الاقتصاد والفكر والسياسة لرسم الخريطة الاستراتيجية للوضع المعاصر للحضارة العربية. إن قوتنا الحقيقية تتمثل فيما لدينا من تخصص . ونستطيع من هذا الجانب أن نوقد شمعة أوبعض الشموع، لإضاءة الطريق نحومستقبل نكون فيه أوقد لا نكون . قال الأديب الراحل توفيق الحكيم عقب حرب ١٩٦٧ " المفكرون ليس لهم دور في توجيه العالم مثل السياسيين لأن السياسة في يدها قوة الإرهاب والترغيب والمفكرون ليس لديهم غير

الفكر المجرد والرأي . فإذا استطاع الفكر والرأي إطلاق أشعة قوية، فإن هذه الإشعاع يمكن أن يصبح بدوره قوة فعالة يمكن أن توجه العالم" .ولعلي أستطيع أن أضيف بأننا معشر المختصين في الطب النفسي وعلم النفس لدينا بالإضافة لسلاح الفكر سلاح المنهج العلمي، ولدينا أيضا موضوع دراستنا وهوالإنسان والسلوك الإنساني الذي يسمح لنا بالقيام بدور التوجيه السياسي والاجتماعي من أوسع الأبواب.

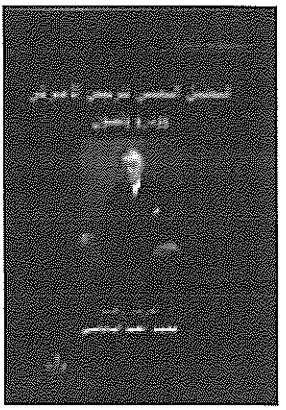

التحليل النفسي للرئيس الاميركي وودرو ولسون

المؤلف: سيغموند فرويد

الناشر: مركز الدراسات النفسية/ ٢٠٠٣

متوافر للبيع على الانترنت/ الفرات/ النيل والفرات/ ادب وفن.

يبدو الفرق شاسعاً بين سلوك الرئيس ولسون والرئيس ووكر بوش. لكن التحليل النفسي يربط السلوك بثنائية العواطف. بحيث يمكن للشخصية اعتماد السلوك أو عكسه بسبب هذه الثنائية.

ان قراءة تحليل فرويد لشخصية ولسون تبين تقاربها مع شخصية ووكر بوش. ولهذه المقاربة اهميتها في زمن الفوضى الاميركية الراهن.

لقد دخل ولسون باميركا وحيدا الى المسرح الدولي. وكان دخوله ضعيفا. وها هو بوش يخرجها من هذا المسرح مدفوعا بسيطرة من صقوره. ويبدو الخروج عنيفاً ودموياً.

قراءة تحليل ولسون مفيدة لفهم زمن ووكر بوش الغامض. فالاثنان استخدما تعابير الحرب الصليبية والعدالة المطلقة وانقاذ البشرية... الخ. كما اشتركا في تقمصهما لشخصية الماشيح المخلص المنتظر. مما جعلهما يصطدما مع اليهود بسبب اختلاف مفهوم المسيحية الانجيلية للماشيح عن مفهوم اليهودية له... وها هو الكتاب...

الشخصية العراقية

الباحث أحمد موسى

يروى أن إحدى البعثات التبشيرية التي انتشرت في العراق في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قد اتخذت من مدينة العمارة مركز محافظ ميسان حالياً، الواقعة في جنوب العراق مركزاً لنشاطها التبشيري وإنها قد بذلت أموالاً طائلة في كسب الأتباع والمريدين وتقول الحكاية أن تلك البعثة قد نجحت في البداية في كسب عدد من أبناء المدينة من الفقراء الأميين، وعلى ضوء ذلك تقرر إنشاء كنيسة لتكون محلاً للتجمع ومركزاً للدعوة التبشيرية، وقد صرفت أموالاً كثيرة على بنائها وبشكل يليق بالمهمة الموكلة إليها. وبعد الانتهاء من البناء، جرى تنظيم حفل كبير دعي إليه الناس الذين تم كسبهم كافة. وفي يوم الافتتاح حضر المدعوون وجلسوا بخشوع كبير ينم على إيمان عالي!، ولكنهم وعندما أنارَ كبير القساوسة الكنيسة إيذاناً ببدء الحفل، صرخ الجميع وبصوت عال واحد (اللهم صلي على محمد وآل محمد)!!

وردت هذه الحكاية على خاطرنا ونحن نقرأ بالأمس مقالة لأحد الكتاب السياسيين العراقيين، أشار فيها وبعمق إلى انتشار مفهوم (العراقوية) بين كثير من قوى المعارضة العراقية، التي أفرزتها معادلة الصراع الإقليمي الدولي الحالية، وجعلتها تتسيد مؤتمر المعارضة الأخير الذي عقد في شهر كانون الأول من العام المنصرم في العاصمة البريطانية لندن.

نحن لا نريد هنا اجترار التأريخ لكي نثبت خطأ اعتماد هذا المفهوم وخطورته على الشخصية العراقية، ولكننا سنحاول هنا أن نبين بعض الحقائق التي تجذرت عميقاً في أرض ما بين النهرين منذ عشرات بل مئات السنين وحتى اليوم، بل وحتى اللحظة الراهنة.

ويعرف علماء الانتربولوجي والتأريخ الغربيون قبل العراقيين تلك الحقائق، والتي بموجبها وعلى ضوئها رسمت مخططاتهم الاستراتيجية للسيطرة والهيمنة على هذه البلاد.

لم تكن الشخصية العراقية هي نتاج عرق واحد أوجذر واحد، بل هي عروق عديدة تجذرت وامتدت عميقاً في تلك الأرض الطيبة ومنحتها ليست صفاتها وميزاتها فقط بل وحتى اسمها، فكان (العراق)، فالشخصية العراقية حصيلة امتزاج وتزاوج بين (خلاصة) الحضارات القديمة من سومر وبابل وآشور، مع القيم والخصال التي جاء بها العرب التنوخيين أولاً، ومن بعد عرب الفتوحات الإسلامية ومن ذلك التلاحم والامتزاج والتزاوج ولدت على ارض الرافدين.

مدرستي اللغة العربية في الكوفة والبصرة، والفرق الفكرية من الأشاعرة إلى المعتزلة والمذاهب الفقهية التي شرب جميع أئمتها من ماء دجلة والفرات والغدير الصافي لعلم بيت أهل النبوة (صلى الله عليهم اجمعين).

وهي قبل هذا وذاك كانت قاعدة الفتح الذي امتد إلى حدود بلاد الصين، كما إنها صارت مركز الخلافة الإسلامية مرتين الأولى في عهد إمام العادلين علي بن أبي طالب (عليه السلام) والثانية في العصر العباسي عصر ازدهار العمران والعلم والمعرفة التي حولت علي بن الجارم من شاعر لا يعرف غير الناقة والبيداء إلى شاعر عيون المها والرصافة والجسر.

وفي العصر الحديث ظلت (العراقية) وبما تعنيه من صفات وخصال ومنها على سبيل المثال، العشق الأبدي للمعرفة، والبحث عن الحقيقة وأيضاً روح الإيثار والطيبة المتناهية والكرم الذي لا يعرف الحدود والنخوة والشهامة التي لا تعرف القيود.

ولذلك ووفق تلك الخصال والصفات اكتسب العراق شهرته وتبوأ المكانة العالية الرفيعة وسط أمتيه العربية والإسلامية فعاد العراق كما كان منذ أن عرف الإنسان أول حرف خط على جدار الطين في أور الوركاء، عاد ليكون هوقطب الرحى في كل القضايا والمسائل والمعضلات التي واجهت العرب والمسلمين على امتداد القرن العشرين، بل وأيضاً عاد ليكون أرض العلم والشعر والفكر وحتى الثورة.

لقد حاول أعداء الوطن والإنسان العراقي من دهاقنة وأساطين السياسة في الغرب الرأسمالي، الذين درسوا وبعمق وبتفصيل الشخصية العراقية، وتوصلوا وبالخصوص بعد ١٤ تموز ١٩٥٨م إلى انها شخصية متمردة، مشاكسة، ولأن العراق هوقلب (قلب العالم) منطقة الشرق الأوسط، كما يرى ذلك علماء الجيوبولتكس ولأن العراقي هوبؤرة الإشعاع الفكري لشعوب هذه المنطقة فلقد قرر أولئك الدهاقنة في دهاليزهم المظلمة، بأنه يستوجب ويستلزم ترويض تلك الشخصية ، وإعادة الحصان الجامح إلى الحظيرة!؟

فلذلك ولذلك فقط عملوا ما في وسعهم، ومع أخطائنا وترددنا، نجحوا في تسليط تلك الجماعة المتوحشة، المستبدة، الجاهلة، والحاقدة على كل الخصال والسمات العراقية الشريفة، من أجل كسر شوكتها وإيصالها إلى حد أن تكره نفسها، وتتخلى عن ذاتها.

وها هم اليوم يعودون من جديد، مبشرين العراقيين، بغد حر سعيد وعالم مرفه رغيد، معيدين فعل وعمل أولئك المبشرين، ومرددين ذات الترنيمة والنشيد.

ولكنهم جاؤوا هذه المرة بشرط جديد، فلقد كان الشرط القديم هوترك الدين العظيم، أما اليوم فهم يطلبون أكثر من ذلك بعديد انهم يطلبون من الشخصية العراقية أن تنسلخ عن عراقيتها والتي هي وكما صارت وتكونت عبر القرون (عربية . إسلامية) والتي بها فقط اكتسبت حق تلك التسمية (العراقية).

نعم إنهم يريدون اليوم ويحاولون سلبه اسمه الذي عرفه به العالم كله ولأجله كان يجله ويحترمه كل الناس في كل مكان من أرضنا هذه.

ويريدون مقابل ذلك منحه اسماً جديداً ممسوخاً، ومشوهاً كأطفال شركة كلون أيد، أبناء الرائيليين.

فهل يا ترى سينجحون؟! إنهم ربما يعرفون حكاية المبشرين في مدينة العمارة، ولكنهم يتصورون أن العراقيين بعد كل الذي حصل لهم قد فقدوا ذاكرتهم وسيفاجئون.

نحن واثقون أنهم مرة أخرى سيفاجئون.

اصدارات مركز الدراسات النفسية

م د ن

طرابلس ـ لبنان

ص ب 3062 التل

هاتف:

961 6 441805

فاكس:

961 6 438925

سيكولوجية السياسة الاسرائيلية

10 دولارات

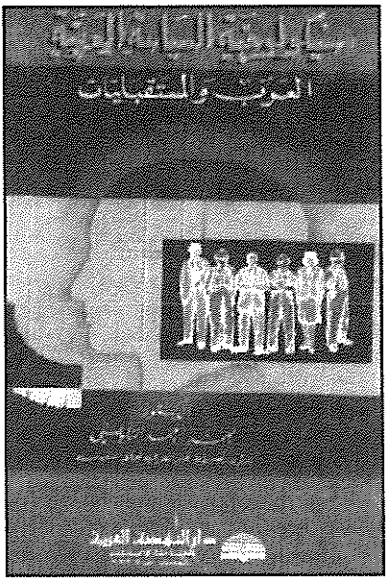

سيكولوجية السياسة العربية

10 دولارات

الثقافة النفسية المتخصصة

اشتراك 40 دولاراً

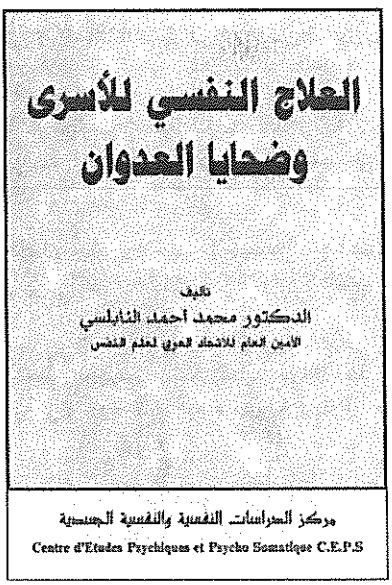

العلاج النفسي للأسرى وضحايا العدوان

10 دولارات

النفس المغلولة
سيكولوجية السياسة الاسرائيلية

قالوا في الكتاب

● يلفتنا في الكتاب فصل نهاية اسرائيل وفيه عرض لسيناريوهات هذه النهاية...
الاتحاد الظبيانية في 2001/1/25

● النفس الاسرائيلية يستعبدها المال وتكبلها الشائعات وتخنقها الاساطير. انها النفس المغلولة...
الزمان ـ لندن 2001/3/22

● يؤكد المؤلف عبر هذا الكتاب سعيه لتعزيز الوقاية العربية من فيروسات الاحتلال الاسرائيلي...
المشاهد ـ لندن 2001/2/4

● يعتبر النابلسي المؤرخين الاسرائيليين الجدد محاولة يهودية لاخراج الصيهيونية من مأزقها...
المجلة ـ لندن 2001/3/10

● يرى المؤلف ان عقدة فيتنام الاسرائيلية ناجمة عن عدم استعداد اسرائيل لتقديم ضحايا بشرية...
الوطن السعودية

● في رؤية النابلسي ان اسرائيل تحول المحرمات الى واجبات اذا كانت الضحية غير يهودية...
الكفاح العربي 2001/1/20

● يقدم الكتاب تحليلا للنفس اليهودية لاستحالة تحليل ذات اسرائيلية هي كناية عن خليط غير متجانس من الحارات اليهودية في العالم. مما يجعل من اسرائيل اتحاداً للحارات اليهودية وليس دولة...
الانوار في 2001/1/18

● الكتاب يأتي اتماماً للمهمة التي اخذها المؤلف على عاتقه بتوظيف الاختصاص لخدمة الحقوق العربية ولكسر التطبيقات الجامدة للطب النفسي:.

الحوادث 2001/2/9

● النفط والقدس والمستقبل عنوان احد فصول الكتاب حيث يعتبر المؤلف هذه العوامل الثلاثة عوامل وقاية وتوجيه ضد أية محاولة اختراق مؤذية...

اللواء في 2001/3/8

● في تحليله لقصيدة دوريش «عابرون في كلام عابر» يرى المؤلف ان الشاعر يستمد قوته من جبروت الأم ـ الأرض حيث غيرته على هذه الأم تجعله يدعو اليهود لان لا يموتوا بيننا...
الاسبوع العربي 2001/2/5

● ان قناعة المؤلف بمسألة القدس تتجاوز النواحي العاطفية والحدثية فهي مسألة جامعة ومانعة لتقسيم العرب الى اغنياء وفقراء والى داخلين في اطار الاطماع الاسرائيلية وخارجين منها...
التقوى في 2001/3/1

قالوا في كتاب

«سيكولوجية السياسة العربية»

□ ... ان القيمة القصوى للمعرفة نابعة من استخدامها في التفكير. وحيث كل نظر مستقبلي فان قيمته في جموده وتماسكه وضمانه وفي الخصوبة التي يقومها لتعاملنا مع المستقبل.

الكتب ـ وجهات نظر/سبتمبر ١٩٩٩

□ ... ميزة الكتاب انه لا يكتفي بحد بل يمضي بعيداً في الافق ليطاول المحرم. ذاك الذي يمكث في مناطقه السرية المعمل الرهيب للسلطة. هناك حيث ترسم للناس خطوط سيرها ودرجات تعلقها...

شؤون الاوسط/اوكتوبر ١٩٩٩

□ ... ان من يقرأ هذا الكتاب ويتعرف الى ما تحمل محتوياته من مضامين مستقبلية خطيرة سيجعل منه مرجعاً «اميرياً» لكل من يتطلع للوقوف في وجه الاندفاعية المادية الشرسة التي تشعلها اميركا والصهيونية...

الدفاع العربي/يوليو ١٩٩٩

□ ... من الانصاف ان نقرر بان نهج الدكتور النابلسي يؤسس لتيار تطبيقي ـ عربي للسيكولوجيا والمستقبليات لخدمة الراهن والمستقبل العربيين...

السفير/١٩٩٩/٧/٢٦

□ ... يطرح الراهن السياسي العالمي التساؤلات عن مستقبل المصالح العربية. وكتاب الدكتور النابلسي يتطرق للاسس التي يرتكز العرب اليها في حماية مصالحهم في مواجهة متغيرات الالف الثالث...

المشاهد/٢٥ ابريل ١٩٩٩

□ ... يقدم المؤلف عروضاً نقدية لاهم الكتب والنظريات المستقبلية فيقدم التلخيص ويتبعه بتبيان رأيه في الثغرات النظرية ومن ثم في انعكاسات الطرح المستقبلي على مستقبل المصالح العربية...

دراسات عربية/اوكتوبر ١٩٩٩

هوية الموقع
دليل الموقع
مستقبليات
محاور سياسية
بكولوجية السياسة
اصدارات عربية
جديد الموقع
منتدى الحوار
مواقع هامة
فهرست الكتب
اتصل بنا

011685
BRAVENET.COM
SITE STATS

التعليق الأسبوعي
النشرة الأسبوعية
كتب جديدة
سيكولوجية الإنتفاضة
العراق ما بعد الحرب
الشخصية العربية
الشخصية الأمريكية
الشخصية اليهودية
متفرقات

الحرب النفسية في العراق

الصفحة التالية

متابعة للجوانب النفسية في الحرب الاميركية على العراق

المؤلف : د. محمد احمد النابلسي

الناشر: مركز الدراسات النفسية السعر: $٥

يعرض الكتاب لتطبيقات مباديء الحرب النفسية على العراق. فيتطرق للشائعات والنكات المطلقة في هذه الحرب إضافة الى الأسلحة النفسية المستخدمة فيها. مع تحليل للجوانب الإعلامية.

ويخصص المؤلف الفصل الثاني للتحليل النفسي للرئيس بوش ويقارنه بسابقيه من الرؤساء الأميركيين. ليقدم في الفصل الثالث التحليل النفسي لشخصية صدام حسين. أما الفصل الرابع فهو مخصص لعرض حالة الإقتصاد الأميركي المتدهورة منذ بداية دخول بوش الى البيت الأبيض . حيث كان المؤلف قد نشر هذه المقالة في ٢٦ /٢/ ٢٠٠١ أي بعد شهر واحد من رئاسة بوش. وفي حينه أكد المؤلف على أن سياسة بوش الإقتصادية تضع العالم على حافة الهاوية . والمؤلف يعود الى هذه المقالة القديمة تجنباً لإدعاء الحكمة بمفعول رجعي . وفي الفصل الخامس يقدم النابلسي قراءة نفسية للحرب العراقية . حيث يجدها حرباً لامعقولة وفاقدة للقواعد البديهية للمنطق . فقد خالفت هذه الحرب إتجاهات الرأي العام العالمي الذي أصبح تواقاً للهرب من مظاهرات العدوانية والطمع بعولمة إنسانية تساعد الفقراء وتطور الدول النامية وتدعم الرفاه العالمي. فإذا ما أضفنا لهذه المعارضة جملة المعارضات الأطلسية والروسية والعربية ومعها المخالفات العديدة للثوابت الاستراتيجية الأميركية فإننا نخلص الى موافقة المؤلف على لامعقولية هذه الحرب . وينسب المؤلف هذه اللامعقولية الى مبدأ بوش المتلخص بالحرب الإستباقية . ويخصص الكتاب فصله السادس والأخير لمناقشة هذا المبدأ فيجده حماقة مناسبة لإسرائيل (مبتدعة المبدأ) لكنها سامة لأميركا. التي تحتاج لجمع الموافقات على حروبها. والعاجزة عن التحول الى مجتمع عسكري والفاقدة لأية عقيدة قتالية تجمع الأميركيين حولها . ويؤكد المؤلف على إعتبار إستغلال الإدارة لخوف الجمهور الأميركي من الإرهاب ، وتخويفه من ارهاب قادم ، إرهاباً تمارسه الإدارة على المواطن الأميركي . حيث ينبه النابلسي الى إستحالة إجتياز بوش للمسافة الفاصلة بين خوف المواطن وبين ارساله للموت بعيداً... للمزيد حول الكتاب

الصفحة التالية

السياسة الأميركية
السياسة العربية
علم النفس السياسي
الأزمات الساخنة
الصراع مع اسرائيل
حوادث ١١ سبتمبر
المخابرات
اسرائيليات
فلسطينيات
مذكرات وسير
الندوات والمؤتمرات
تقارير و وثائق
العرب الأميركيون
الفضائح السياسية
مكتبة المستقبليات
المكتبة السياسية
استراتيجيا
محطات تحليلية
العالم في أسبوع
مقالات جديدة
قضايا سياسية
حروب أميركا القادمة
ملف وكر بوش

مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية

www.filnafs.com

التعريف بالمركز
اصدارات المركز
مجلة المركز
المعجم النفسي
لجان المركز
الدورات التدريبية
الاختصاص وفروع
مشاكل وحلول
قضايا الاختصاص
حوار الاختصاصيين
جائزة المركز
كتب مجانية
بحوث المركز
عضوية المركز
اعضاء المركز
دليل الموقع
المواقع المهمة
اتصل بنا

مؤتمر "نحو علم نفس عربي"

بمشاركة عربية واسعة عقد المركز أول مؤتمراته في الفترة ما بين ١٠ و ١٢ كانون الثاني / يناير من العام ١٩٩٢ وخرج المؤتمر بجملة توصيات من أهمها الدعوة لإنشاء الاتحاد العربي للعلوم النفسية.

رئيس المركز يفتتح المؤتمر

هنا للإطلاع على تقرير المؤتمر اضغط

مؤتمر "مدخل الى علم نفس عربي"

عقد المركز مؤتمره الثاني تحت هذا الشعار وشهد المؤتمر كثافة لافتة في الحضور والبحوث المعروضة. حيث امتدت البحوث على العددين ٢١ و٢٢ من مجلة المركز. وتمثلت فيه غالبية الجمعيات النفسية العربية.

هنا للإطلاع على تقرير المؤتمر اضغط

مؤتمر "الشباب والصحة النفسية"

عقد المركز مؤتمره الثالث بالإشتراك مع الاتحاد العالمي للصحة النفسية والجمعية الاسلامية العالمية للصحة النفسية في طرابلس – لبنان في نوفمبر / تشرين الثاني (١٦ – ١٨). وشارك في المؤتمر ، بالاضافة الى الأساتذة العرب، أساتذة من باكستان وجنوب أفريقيا.

هنا لاطلاع على تقرير المؤتمر اضغط

وزارة الثقافة اللبنانية تكرم المركز

تزامن العيد العاشر لإطلاق مجلة المركز مع احتفالية " بيروت عاصمة ثقافية" فكانت لفتة كريمة من قبل وزارة الثقافة والتعليم العالي تكريم المركز ومجلته في شخص رئيسه ومؤسسه الدكتور محمد احمد لنابلسي. وذلك في احتفال أقيم في قاعة جمال عبد الناصر في جامعة بيروت العربية. وبالمناسبة قدم مدير عام الوزارة الاستاذ محمد ماضي رعا" تذكاريا" لرئيس المركز ثم القى الأستاذ ماضي كلمة تقديرية عرض فيها لجهود المركز ومساهماته.

Risperdal TRADEMARK
RISPERIDONE

Winner of the first International Prix Galien 1996

- The uniquely balanced serotonin-dopamine antagonist
- Effective in positive and negative symptoms
- Low incidence of EPS
- Vast experience worldwide
- No routine blood monitoring required

Full prescribing information available upon request

JANSSEN-CILAG

Janssen Pharmaceutica
Turnhoutseweg 30
B-2340 Beerse /Belgium
Telephone: 32 14 60 21 11

Risperdal TRADEMARK
RISPERIDONE

A first choice in psychosis